

البيان

في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم

تأليف

أ.د. عقيد خالد حمودي العزاوي

البيـان في الإعجـاز والتناسـب

في القرآن الكريـم

تأليف

أ. د. عقيد خالد العزاوي

جامعة بغداد / كلية التربية

قسم علوم القرآن

٢٠١٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

صدق الله العظيم

«سورة الإسراء: الآية ٨٨»



إلى...

زوجتي العزيزة...

الدكتورة ابتسام رحومي

التي سهرت من أجل راحتي لإتمام هذا الكتاب وغيره من الكتب والمؤلفات.

أهدي لها هذا الجهد، مع خالص الود



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد عبده ورسوله، المبلغ عن رب العالمين رسالته بلسان عربي مبين. وعلى أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابتهم المصطفين الأخيار مصابيح الهدى وقدوة الأمة الى يوم الدين.

أما بعد...

فإنَّ الحديث عن إعجاز القرآن الكريم هو من أكثر الموضوعات تشعباً وجدلاً ولا يزال الحديث عنه دائراً من كل وجه فهو تارة قمة البلاغة العربية والبيان، وتارة أخرى هو الإعجاز البياني بكل ما يحتذى به وبيان شافٍ. والناس منقسمون بين هذا وذاك كل له حججه ويعرضها وينافح عنها بكل ما أوتي من قوة، وآخرين أوصلوا الإعجاز الى العدد أو الغيب أو التشريع أو النفسي، وعشرات من التقسيمات التي يراد منها بيان إعجاز القرآن والدفاع عن كتاب الله العزيز، والذود عنه، ودراسات قديمة وجديدة. الغاية منها هي الوقوف على مكامن إعجاز هذا الكتاب العظيم. ولكن أي هذه الآراء صحيح وأيّها اقرب الى بيان ما فاق به القرآن الكريم جميع الكتب السماوية المترلة قبله، فاعجز البشر قاطبة عن معارضته على الرغم من التحدي القائم للبشر منذ نزول الآيات تلو الأخرى تطالب البشر على اختلاف ألوانهم أن يأتوا بمثله فلا يقدرون على ذلك، ويقفون معجزّين أمام آياته، وسوره لا يسعهم سوى البحث عن أوجه إعجازه علّهم يصلوا الى استكناه من أي وجه جاء القرآن معجزاً للثقلين.

ومما لاشك فيه إنَّ أفضل ما صرفت فيه الأوقات وقضيت فيه الأعمار هو كلام الله -جل وعلا- تلاوة وتعلماً ودراسة، وكل ما يعين على فهمه وتدبره، ولّما كانت العلوم تتشرف بموضوعاتها فإنَّ الدراسات القرآنية والإعجازية بخاصة أجل هذه العلوم، وأشرفها لتعلقها المباشر بكتاب الله ﷻ نظرا لذلك، ولأهمية بيان إعجاز القرآن الكريم افردها العلماء بالتأليف وأحسنوا الصنعة في عرضها فساهموا في ذلك شرف المساهمة في بيان إعجاز القرآن الكريم، ولست -بلا أدنى شك- ممن يتطاولون على مدارج أولئك السابقين والمعاصرين من علمائنا الأفذاذ وليس المتطاول -مهما أجهد نفسه- أن يبلغ شاأهم أو أن يصل إليهم في هذا الميدان، فهم أثابهم الله لم يدع زيادة لمستزيدٍ يأتي من بعدهم.

أما أسباب اختياري للموضوع:

فقد دفعني في كتابة موضوع الإعجاز أسباب عدة من أهمها:

١. رغبتي وحرصي الشديدين على دراسة مباحث الإعجاز وتنوعه في كتاب الله وعند علماء الإعجاز قديما وحديثا. وتدريسي لفترة طويلة لهذه المادة لطلبة الدراسة الأولية والعليا.

٢. اتصال هذا الموضوع بكتاب الله ﷻ، وكل مسلم يجد في نفسه ميلاً فطرياً وقلبيا نحو ما تيسر له من المعارف المتصلة بكتاب الله.

٣. معرفة المؤلفين الذين اشتغلوا في الإعجاز، وهذا إحياء لذكرى أسلافنا السابقين والمعاصرين الذين ساهموا بدراسات قيّمة أوقفتنا على ألوان من المعرفة المتصلة بكتاب الله.

٤. التعرف على الكتب والمصنفات التي درست وتناولت الإعجاز القــرآني بأغلب محاوره.

٥. المساهمة في الكشف عن المناهج والدراسات التي تعين على فهم كلام الله من خلال دراسة التفاسير والكتب التي في هذا المجال للاستفادة والاستزادة منها في توضيح وبيان مراد الله من خلال فهم كتابه المعجز، والوقــوف على إعجاز القرآن الكريم بكافة محاوره.

هذه الأسباب والبواعث مجتمعة هي التي دفعتني أن اكتب في هذا الموضوع.

❑ الدراسات السابقة:

لقد اعتمدت على جُلّ الدراسات والكتب التي تناولت الإعجاز كل في مجال اختصاصه وبخاصة القديمة والجديدة وكتب المناســبات، ففــي مجــال الإعجاز والقول بالصِرفة ومرحلة الرسائل واللمحات اعتمدت على كتــب الإمام الخطابي والباقلاني والرماني وعبد الجبار الهمذاني وكتب الجرجاني، وأما فيما يخص المحدثين تناولت كتابات سيد قطب والشعراوي وعبــد الله دراز وغيرهم فضلاً عن طائفة كبيرة من كتب الإعجاز والمناسبات والدراســات الجامعية والأكاديمية التي أثبتها في المصادر فضلا عن دراسات ومصادر تناولت كتب الإعجاز التخصصية كالعلمي والتشريعي والعددي واللغوي والــصرفي والنفسي والبلاغي ذكرناها في مظانها خشية الإطالة.

❑ خطة البحث:

تضمنت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وموضوع البحث من أربعة فصول وخاتمة.

اشتملت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة وخطة البحث.

أما التمهيد ذكرنا فيه حاجة الناس الى إرسال الرسل والأنبياء وتأييدهم بالمعجزات.

وتعريف المعجزة وشروطها، وإمكان وقوع المعجزة ودلالة المعجزة على صدق الرسول.

والفرق بين المعجزة والكرامة والسحر والحكمة من المعجزة ومعجزات الأنبياء السابقين ومميزات معجزة القرآن الكريم، ثم التحدي ومراحله.

ثم جاء الفصل الأول تناولنا فيه تاريخ الإعجاز القرآني وآراء الأقدمين في الإعجاز وكان من أربعة مباحث تناولنا في المبحث الأول دور الإشارات واللمحات وهو من مطلبين: الأول: النظّام والجاحظ وابن قتيبة والثاني الإعجاز عند المعتزلة والزمخشري ومصدر القول بالصرفة والقائلون فيها، وأدلة بطلانها. أما المبحث الثاني فجاء بعنوان دور الرسائل والتأليف وجاء من مطلبين الأول رسالة الرماني ومنهجه في الإعجاز، والثاني رسالة الخطابي ومنهجه في الإعجاز، وأما المبحث الثالث دور التأليف والكتب وجاء بأربعة مطالب، الأول: إعجاز القرآن للباقلاني والثاني إعجاز القرآن لعبد الجبار الهمذاني والثالث دلائل الإعجاز للجرجاني ونظرية النظم. وجاء

المبحث الرابع: المحدثون والإعجاز القرآني: الرافعي، ومحمد عبد الله دراز وسيد قطب والشعراوي. وجاء المطلب الأول: إعجاز القرآن عند الرافعي والثاني: النبأ العظيم محمد عبد الله دراز والثالث إعجاز القرآن عند سيد قطب والتصوير الفني. والرابع: الإعجاز عند الشيخ محمد متولي الشعراوي.

ثم يأتي الفصل الثاني وكان بعنوان: أنواع الإعجاز القرآني وجاء من مباحث عدة فكان المبحث الأول: الإعجاز العلمي وفيه مطالب عدة كان الأول: ضوابط في مبحث الإعجاز العلمي وتفسير الآيات الكونية والثاني: آراء العلماء المجوزين والمانعين القدماء والمحدثين والثالث: المثبتون للإعجاز العلمي من القدماء والمحدثين والرابع: نماذج من التفسير العلمي، خلق الإنسان في رحم الأم والنشأة الجنينية. والجبال، والمياه ثم جاء المبحث الثاني: الإعجاز التشريعي وكان من أربعة مطالب: الأول: العقيدة والثاني الشريعة والثالث الأخلاق والرابع: الكتب والبحوث المختصة بالإعجاز التشريعي. وجاء المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي وكان من مطالب عدة: الأول: أنواع الغيب، الماضي، والمطلب الثاني: في الحديث عن غيب الحاضر والثالث: عن غيب المستقبل والرابع: ما تحدث عنه القرآن الكريم ولم يقع الى الآن.

وجاء المبحث الرابع: فكان الحديث عن الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي. ومن ثم المبحث الخامس: فكان الحديث فيه عن الإعجاز العددي وكان من مطالب عدة جاء الأول الأعداد في القرآن الكريم من (صفر الى العشرة) أما المطلب الثاني فكان طريقة صف الأرقام والمبحث السادس: فكان الحديث عن الإعجاز الدعوي في القرآن الكريم وكان من مطالب عدة: جاء المطلب الأول: مشكلة البشرية والثاني: عبادة الشيطان والثالث: تعريف الناس بحقيقة الإلوهية والرابع: مخاطبة الفطرة.

وأما الفصل الثالث: فكان الحديث فيه عن الإعجاز البلاغي وكان من مباحث عدة: جاء الأول: مظاهر الإعجاز البلاغي وكان من عدة مطالب: كان المطلب الأول: دراسة تطبيقية لمواقع الفتيل والقطمير والنقير والسنة وأخواها ووجوه الإعجاز البلاغي في الرسم القرآني ونماذج تطبيقية من أمثلة خاصة بالقرآن الكريم ذكرناها في مظانها ومطالب أخرى وجاء المبحث الثاني: وكان بعنوان الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم وكان من عدة مطالب: جاء الأول: دلالة الاسم والفعل في القرآن الكريم والثاني: للنماذج التفصيلية للاختيار في الصيغ وأما المطلب الثالث: فكان الحديث فيه عن النماذج التفصيلية للعدول في صيغ الاسم والمصادر واسم المرة واسم الفاعل الخ. ثم يأتي المطلب الرابع: وكان بعنوان النماذج التطبيقية للتكرار الصيغي في اسم الفاعل.

ومن ثم يأتي الفصل الرابع والأخير وكان الحديث فيه عن علم المناسبات القرآنية أو المدخل الى علم المناسبات. وجاء من خمسة مباحث: الأول: تعريف المناسبة، وموضوعه وثمرته والثاني: نشأته والثالث: موقف العلماء من علم المناسبات والرابع: أهميته وفائدته وأشهر المؤلفات فيه والخامس: أنواع المناسبات وجاء على شكل أقسام:

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة.

١. التناسب في كلمات الآية الواحدة.

٢. التناسب في ترتيب الآيات.

٣. تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

٤. تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

٥. تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله أنواع:

١. تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

٢. تناسب فاتحة السورة مع خاتمة ما بعدها.

٣. تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها.

ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم قائمة بأهم المصادر التي اعتمدها الكتاب.

والله من وراء القصد

أ. د. عقيد خالد العزاوي

بغداد / ١٤٣٤هـ / ٢٠١٤/٣/٣٠



بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد:

حاجة الناس إلى إرسال الأنبياء وتأييدهم بالمعجزات

إنَّ الله ﷻ لم يخلق البشرية والناس ويدعهم وشؤونهم، إنَّما تكفَّل بما يصلح أمورهم وشؤونهم، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك لأنَّ الإنسان مهما أودع الله فيه من العلم والمعرفة والعقل، فإنَّ ذلك لا يغنيه عن الهداية الربّانية، لذا كان من رحمة الله تعالى وفضله أنَّه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين يدعون الناس إلى الإيمان بالله تعالى، ولحاجة البشرية إلى الرسالة لكي تتضح أمامهم معالم الرشد والهدى وليعرف الناس الحكمة من إيجاد الرسل، وتظهر الهدايات الربانية لحل مشاكل البشرية[1] قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

ولمَّا كان الناس حريصين على ما ألفوه، شديدي التعلق بما عرفوه، يأسرهم التقليد، ويستهويهم الهدى، كان أكثرهم بل أغلبهم لا يستمعون ولا يستجيبون إلى الرسل، فيكذبونهم في دعواهم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1].

وبهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرسل بشراً يوحى إليهم، ويؤيدهم الله تعالى بالمعجزات التي تثبِّتُ المنهج، وتدل على أنَّ ما جاء به الأنبياء حق، وأنَّه من عند الله، وينبغي الإيمان به والإذعان له، فالمعجزة أمر خارق لنواميس الكون، أي: لقوانينه وعاداته، يعجز به الخصم عن التحدي وينبهر بها. ولولا المعجزة لأشكل الأمر على الناس والتبس أمر الصادق بغيره، ولما سلمت الدعوات من مدّعين كاذبين[2].

وبهذا تتميز معجزات الأنبياء بأنَّها أتت للتحدي، حيث يتحدى بها الله ﷻ من أرسل إليهم الرسل، ودلالة على صدقهم في دعوى النبوة حتى لا تبقى شبه تحيك في نفس، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٩-١٢.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص١٥.

مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[1].

ولذا جاءت معجزة كل نبي من جنس ما تفوَّق فيه قومه ونبغوا، فمعجزة عيسى عليه السلام كانت إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، لأنَّ قومه قد نبغوا في ميدان الطب وتفوقوا فيه، حيث بعث عليه السلام في زمن تفوَّق فيه بنو إسرائيل في الطب ونبغوا فيه[2]، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[3].

❑ تعريف الإعجاز في اللغة:

قال ابن فارس: «العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على الشيء يَعْجِز عجزاً فهو عاجز أي: ضعيف... ويقولون: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه»[4] وأصلها في الاشتقاق من مادة عجز والإعجاز أصلاً مصدر للفعل أعجز، ومنه المُعجِزَة، وقد أجاد علماء اللغة العربية في تعريف معنى العَجْزِ، الإعجاز، المُعجِزَة، وتعددت أقوالهم في ذلك.

١- الإعجاز من «العَجْز بمعنى الضعف وعدم القدرة ومنها المعجزة وهي مفعلة من العجز»[5].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٢) ينظر: روافد من نهر الإعجاز البلاغي: ص١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/٤، مادة (ع ج ز).

(٥) لسان العرب: ٥٨/٩.

٢- ومن العَجْزِ أيضاً «عَجزَه تعجيزاً أي: ثبّطه أو نسبه إلى العجز»[(١)].

٣- الإعجاز من أعجزَ: «وهو يعني الفوت والسبق، قال الليث: أعجزَني فلان إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه، يقال: أعجز الشيء فلاناً: أي: فاته ولم يدركه»[(٢)].

٤- منه المُعجزةُ: «وهي أمر خارق للعادة يَعْجَزُ البشر عن الإتيان بمثله»[(٣)] والإعجاز أيضاً: من التعجيز والتثبيط والنسبة إلى العجز، يقال: أعجزه الشيء أي: فاته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾[(٤)].

وقال الجوهري: «أعجزه: صيّره عاجزاً، أي عن إدراكه واللحوق به»[(٥)].

ونجد إنَّ الإعجاز هو الفَوْت والسبق[(٦)] بالنظر إلى حال المُعْجِز، وهو الضعف بالنظر إلى حال العاجز. وقد يُجمع بين أصلي معنى الإعجاز فيقال: «العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجزُ الأمر أي: مؤخّرِه... وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى:

---

(١) مختار الصحاح: ص٢٣٠.

(٢) لسان العرب: ٥٨/٩.

(٣) المعجم الوسيط: ٥٨٥/٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣١.

(٥) تاج العروس: ١٧/٨، مادة (ع ج ز).

(٦) لسان العرب: ٦٩١/٤.

﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3].

إذن فالإعجاز: إفعالٌ من العجز الذي هو زوال القدرة على الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير»[4].

وعليه فإنَّ معاني العجز في اللغة تدور على الضعف والانقطاع وعدم القدرة على تحصيل الشيء[5].

❑ الإعجاز اصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريف الإعجاز والمعجزة، ومن تلك الأقوال:

١- يقول د. محمد عبد المنعم القبعي: «الإعجاز هو إظهار عجز الثقلين، ومعنى إعجاز القرآن أي: بلوغه طوراً غير مألوف ولا معتاد، وحيثما توجه الذهن إلى أي ناحية أو موضوع تناوله القرآن، أدرك وجهاً من وجوه الإعجاز، فهو معجز من كل موضوع تناوله، معجز في المنهج، وتشخيص القضية، ووضع الحلول العملية لها[6].

٢- ويقول د. محمد أحمد معبد: «الإعجاز: هو إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة، وإظهار عجز العرب عندئذٍ عن معارضته ﷺ في معجزته

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢٢.

(٤) بصائر ذوي التمييز: ١/٦٥.

(٥) ينظر: معترك الأقران: ص٢٥-٢٧.

(٦) الأصلان في علوم القرآن: ص٢٠٩-٢١٠.

الخالدة وهي القرآن الكريم، وكذلك عجز الأجيال القادمة من بعدهم إلى ما شاء الله[1].

٣- يقول د. عبد السلام اللوح: «إعجاز القرآن: أي: كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له»[2].

٤- ويقول د. رشاد محمد سالم: إعجاز القرآن معناه: إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، وليس للتعجيز فهذا معلوم لكل عاقل، إنما الغرض منه إظهار أن القرآن الكريم حق، وأن النبي ﷺ الذي جاء به صادق [3].

ولهذا نجد إن معنى إعجاز القرآن عجز الناس عن أن يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله فكأن التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أن القرآن دلّ بما فيه من بيانٍ على إنه من عند الله تعالى، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله[4].

ويذهب الباحث إلى أنَّ الإعجاز هو عدم الاستطاعة مع القدرة وأن أوتيت لهم مجتمعين أو منفردين في كل زمان ومكان، وعدم إدراك مضمون الكتاب العظيم بكل ما حواه من علوم مع جميع إمكانات التطور الحاصل في الحياة، إلى يوم الدين، فلن يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

---

(١) نفحات من علوم القرآن: ص١٠١-١٠٢.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن: ص٦-٧.

(٣) ينظر: مع القرآن الكريم في إعجازه اللغوي: ص١٥-١٦.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: ص٢٨.

❑ تعريف المعجزة لغةً واصطلاحاً:

١. تعريف المعجزة لغةً:

قال ابن فارس: «العين والجيم والزاي تدل على أصلين: أحدهما الضعف والآخر مؤخر الشيء»[١].

وقال الراغب الأصفهاني: «عجز: عجزُ الإنسان مؤخره، وبه شُبِّه مؤخر غيره، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٢] والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي: مؤخره، كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ﴾[٣] وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته جعلته عاجزاً، وأُطلق لفظ العجوز على المرأة الكبيرة في العمر؛ وذلك لعجزها عن القيام بكثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[٥]»[٦].

ومادة: عَجُز، وهي مؤخر الشيء، مؤنث ومذكر، وهي للرجل والمرأة جميعاً[٧]. والمعجزة تعني أيضاً: إعجاز الخصم عند التحدي، وهي مشتقة من

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٢٣٢/٤.

(٢) سورة القمر، الآية: ٢٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣١.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٧١.

(٥) سورة هود، الآية: ٧٢.

(٦) المفردات: ص٣٢٣.

(٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٨٨٣/٣.

الفعل الثلاثي «عجز» ومصدره العجز، وهو ضد القدرة وأصبح اسماً للقصور عن فعل الشيء، فيقال: عجز فلان عن الأمر، إذا حاوله و لم يستطع المحاولة.

والعجز هو التأخر عن الشيء، وعَجْزُ الأمر أي: مؤخره، وتعني القصور، وعدم القدرة على فعل الشيء[1].

وقد جاء في لسان العرب عدة معانٍ لكلمة العجز، وكلها تدور في محور واحد وهي كالآتي:

١- **العَجْزُ**: يعني نقيض القدرة والعزم، فيقال: عَجَزَ عن الأمر، يَعجزُ عَجْزاً، فهو غير قادر على فعله، فهو عَاجِز عن القيام بالأمر واسم الفاعل عَاجِز.

٢- **العَجَزُ**: تعني الضعف فحينما تقول: عَجَزْتُ عن كذا، أي: ضَعُفتُ، ويصدّق ذلك قول عمر ﵁: «لا تُلِثُّوا بدار معجزة» أي: لا تقيمون ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش؛ لشدة ضعفها الاقتصادي.

٣- **العُجْزُ**: يأتي بمعنى التثبيط، تقول: عجز الرجل غيره، وأعجز الرجل غيره أي صار الخصمُ ضعيفاً عاجزاً عن متابعته[2].

◻ المعجزة اصطلاحاً:

وعرّفها الجرجاني بأنّها: «أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قُصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول الله»[3].

عرّفها مصطفى مسلم بأنّها: «أمر خارق للسنّة التي أودعها الله ﷻ في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن

---

(١) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب القرآني: ص٣، وتيسير العزيز المنان: ص٣.

(٢) ابن منظور: ٤/٦٩١، وينظر: المعجم الوسيط: ٢/٥٨٥.

(٣) التعريفات: ص٢١٩.

طريق الجهد الشخصي والكسب الذاتي وإنما هي هبة من الله ﷻ يختار نوعها وزمانها ليبرهن بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة»[١].

وعُرّفت في معجم لغة الفقهاء: «أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد مدّعي النبوة تصديقاً له في دعواه»[٢].

وعرّفها د. فضل عباس بأنَّها: «ما يدل على تصديق الله تعالى للمدّعي في دعواه الرسالة»[٣].

وأنَّ المعجزة: «هي أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»[٤] وقال د. صلاح الخالدي: «هي الأمر الخارق للعادة، سالم عن المعارضة يجريه الله على يدي النبي تصديقاً له في دعوة النبوة»[٥].

وأجمع هذه التعاريف بحسب رأينا: «هي أمر خارق للعادة والمألوف من الفعل أو الترك يجريه الله على يد نبي أو رسول على وفق مراده؛ ليبرهن على صدقه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة وذلك في زمن التكليف»[٦].

❑ شروط المعجزة:

من خلال التعريفات السابقة نستطيع أن نلتمس الشروط التي ينبغي توافرها في المعجزة وهي كما يأتي:

---

(١) مباحث في إعجاز القرآن: ص١٨-١٩.

(٢) محمد رواس: ص٤٣٩.

(٣) إعجاز القرآن: ص٢١.

(٤) مباحث في علوم القرآن: ص٢٥٩.

(٥) البيان في إعجاز القرآن: ص٢٣، وينظر: نظرات في الإعجاز القرآني: ص٧١.

(٦) الإعجاز العلمي: ص٦.

١- أن تكون المعجزة من فعل الله ﷻ وليس للنبي أو الرسول يد في فعلها سوى أنَّها جرت على يديه، وإنَّما دور النبي الدعاء والتأييد والتثبيت؛ لأنَّ الذي يخرق النواميس الكونية ليس البشر، وإنَّما الله ﷻ، والدليل على هذا الشرط، حادثة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[1] لم يقل بنبيه أو رسوله ليقرر في وسط المعجزة أنَّ محمداً عبد وبشر، وليس في مقدوره التغيير، وإنما التغيير بيد الله ﷻ وهو على كل شيء قدير.

٢- أن تكون المعجزة من الأمور الناقضة والخارقة للعادة والمألوف: بمعنى أن تكون خرقاً لسنن يراها الناس ويلمسونها، وسواء كان هذا الأمر الخارق من قبيل الأقوال: كتسبيح الحصى وحنين الجذع ومثل القرآن الكريم، أو يكون من قبيل الفعل كانفجار الماء من بين أصابع الرسول الكريم وتكثير الطعام القليل وكفايته للجمع الكثير. أو من قبيل الترك: مثل عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام وذهاب خاصية الإحراق هذه، وكذلك عدم إغراق الماء لموسى عليه السلام وقومه، ويضرب سيدنا موسى الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، أو ينبع الماء من بين أصابعه[2].

٣- أن تكون المعجزة بعد ادِّعاء النبوة، أما إذا كانت قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة، وإنما يسمى ذلك إرهاصاً، ومثال ذلك كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ص٥، ومباحث في علوم القرآن: ص١٩، وتيسير العزيز المنان: ٣.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ص٢٠، والإعجاز في القرآن والسنّة النبوية: ص١٦.

٤- إنَّ غرض المعجزة تصديق النبي في دعوته، فيجب أن تأتي موافقة لدعواه، مصدقة له[١].

٥- التحدّي بها: وهذا شرط أساس في المعجزة لإثبات عجز الجاحدين وإقامة الحُجّة عليهم فإنَّ عدم التحدّي للمعجزة لا يبرزها كدليل وبرهان، والتحدي يكون بالقول الصريح بأن يقول الرسول: دليل صدقي وهو عجزكم عن الإتيان بمثل هـــذا الأمر الذي أفعله، وهذا هو الغالب في معجزات الرســـل - عليهم الصلاة والسلام -، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢].

٦- أن يعجز المتحدي بها الإتيان بمثلها: بمعنى أنَّه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، وبهذا الشرط يخرج ما يحدث عن طريق السحر والشعوذة والكهانة لأن ذلك ليس من قبيل المعجزة، وإنَّما من قبيل التخييل وخفة اليد والتخمين[٣].

٧- أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله ﷻ: أي: يجعلها الرسول دليل صدق رسالته لإثباتها وينسب هذا الأمر إلى الله ﷻ فيقول مثلاً: آيتي أن يقلب الله ﷻ هذه العصا ثعباناً، أو أن يحيي الله تعالى هذا الميت عند قولي له (قم)[٤].

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي: ص٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٣) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ص٥.

(٤) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٢١.

ومن هذه الشروط ندرك أن المعجزة تختلف كثيراً عن كل ما يراه الناس غريباً عمّا ألفوه وعرفوه كالكرامة والسحر والمخترعات الغريبة.

❑ إمكان وقوع المعجزة:

إنَّ النواميس الطبيعية التي يسير عليها الكون والتي يخضع لها الإنسان في أغلب أموره هي من صنع الله تعالى خالق الكون. فالله تعالى له القدرة المطلقة والسلطان الذي لا يُحَدّ في إبقاء السنن أو تغييرها.

إنَّ الذي أوجد الماء من العدم لا يعجز أن يجعله ينبع من بين أصابع الإنسان. وإن العقل السليم الذي يؤدي بصاحبه إلى الإيمان بالله تعالى صاحب القوة المطلقة لا يستبعد صون الأمور الخارقة لهذه الأسباب والسنن مادامت الحياة والإنسان والكون خاضعاً لإرادة الله الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ولا ينكر الأمور الخارقة للعادة ومعجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – إلا أن يكون إنساناً ملحداً ينكر كل ما غاب عن الحواس فهو كافر بالغيب، ويقول: إنَّما نحيا ونموت وما يهلكنا إلا الدهر، فمثل هذا الإنسان يحتاج إلى عملية فكرية جذرية للإيمان بخالق الكون. أو يكون إنسان يؤمن بإله محدود القدرة عاجز عن التصرف في الكون والمخلوقات بحسب إرادته، فمثل هؤلاء يحتاجون إلى معرفة الإلوهية الحقة ومستلزماتها من صفات الكمال، والتنزّه عن النقص والعجز الذي لا يليق بخصائص الإلوهية[1].

❑ دلالة المعجزة على صدق الرسول:

إنَّ دلالة إعجاز القرآن للناس أن يأتوا بمثله يراد من وراء ذلك إقامة الحجة على الناس كافة، وهذا الكلام كلام رب العالمين، وإن الرسول الذي

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٢١.

أرسل به يبلِّغ عن ربه، وإنَّ الأوامر والنواهي التي يجعلها هي سبيل النجاة، وكذلك الحال في جميع معجزات الأنبياء السابقين، هو إبراز صدق من ظهرت على يديه، ليؤمن لهم الناس ويتبعوهم، وذلك لأنَّ بعثة النبي لا تصح من غير أن يؤتى دلالة ويؤيَّد بآية، لأنَّه لا يتميز من الكاذب بصورته، ولا بقول نفسه ولا بشيء آخر، سوى البرهان الذي يظهر على يديه فيُستدلّ به على صدقه، وأنه مبلغ عن الله تعالى[1] ومن المحال والمستحيل على الله ﷻ أن يؤيد الكاذب، فإنَّ تأييد الكاذب تصديق له، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله تعالى، فمتى ظهرت المعجزة وهي محالاً يقدر عليه البشر، وقارن ظهورها دعوى النبوة، عُلم بالضرورة أنَّ الله ما أظهرها إلا تصديقاً لمن ظهرت على يديه، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرةً[2]، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3].

❑ الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر:

١. الفرق بين المعجزة والكرامة:

المعجزة: هي فعل الله ﷻ تأتي تصديقاً للرسول الذي أرسله، وهي أمر خارق للعادة أي: خارجة عن المألوف الذي اعتاده الناس ومعارضتها غير

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٦٣.

(٢) ينظر: رسالة التوحيد: ص٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩، ٨٠.

ممكنة، وأن تظهر على يد من ادّعى النبوة، وأن تأتي المعجزة موافقة لما ادّعاه النبي ﷺ فلو قال: معجزتي إحياء الموتى ولكن الذي حصل على يديه نطق الحجر مثلاً لم تكن هذه معجزة، وأن تكون بعد ادّعاء النبوة أما إذا كانت قبل دعوى النبوة فلا تكون معجزة وإنما يسمى ذلك إرهاصاً ومثال ذلك كلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد.

أما الكرامة: فهي فعل لله سبحانه وتعالى يكرم بها الله عز وجل من يشاء من عباده الصالحين وذلك مثل ما أكرم الله به مريم – رضي الله عنها – قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]، ومن هذا القبيل ما أكرم الله به الفتية الذين آمنوا بربهم وهم أهل الكهف[2].

وكل كرامة لولي من الأولياء الصالحين تُعدُّ معجزة لنبينا محمد ﷺ قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة إتباع رسوله فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ»[3].

٢. الفرق بين المعجزة والسحر:

وتفترق المعجزة عن السحر:

١– إنَّ المعجزة فيها خير للناس وصلاحهم، أما السحر فليس فيه إلا الأذى والشر والشحناء، هذا إذا قلنا: إن للسحر حقيقة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: ص٢٢، ومقدمة في الإعجاز: ص١٢.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ص١٢٩.

٢- إنَّ المعجزة فعل الله، لا يستطيعه أحد من الناس، أما السحر فهو من فعل الساحر وهو أمر يمكن تعلمه.

٣- إنَّ المعجزة تظهر على يد نبي، والنبي من صفوة خلق الله تعالى، أما السحر فهو من ساحر، والساحر من أخبث الناس نفساً[١].

❑ الحكمة من المعجزة:

إذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، كان من حكمة الله تعالى أن تكون هذه المعجزة منسجمة مع أحوال الناس الذين ظهرت فيهم، وذلك لأنَّ الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم لهذا كان لابد أن تكون المعجزة جارية مع تفكيرهم، ومع طبيعة بيئتهم. فمعجزة النبي موسى عليه السلام كانت العصا الجافة التي ألقاها باسم الله، فإذا هي حية تسعى، وهي تشبه السحر، والقوم الذين تحداهم تفوقوا في السحر[٢] ومعجزة عيسى عليه السلام كانت منسجمة مع البيئة؛ ذلك لأنَّ العهد الذي أرسل فيه عليه السلام كان عهداً قد طغت عليه المادة وبخاصة بني إسرائيل، فكانت معجزته تقويضاً للمادة رأساً على عقب، وصفعة للماديين، وليس الأمر كما قيل من إنَّ القوم قد برعوا في الطب فكانت معجزته عليه السلام مما برعوا فيه؛ ذلك أنه لم يثبت أن القوم برعوا في الطب أولاً، وأما ثانياً فلأنَّ معجزاته عليه السلام ليست مما للطب فيه حيلة ومعرفة، فإحياء الموتى وكذلك إبراء الأكمه والأبرص، أمر ليس للطب فيه مجال، وكذلك إخباره عليه السلام عما يأكلونه ويدخرونه في بيوقم بعيد عن مجال الطب.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: ص٢٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: ص٢٣.

إذن إنَّ جميع المعجزات التي تتعلق بالأنبياء هي عبارة عن معجزات مادية غير دائمة تنتهي بانتهاء النبي الذي جاء بها، بل ربما تنتهي بحياته، ونجدها من جهة أخرى ملتئمة ومتناسبة مع العصر(١).

أما معجزة النبي محمد ﷺ فهي معجزة عقلية إنسانية، ليست محددة بزمان معين؛ وإنما هي باقية على مدى الدهر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٢) وهي من جهة أخرى تتفق مع حال أولئك الذين أرسل فيهم النبي محمد -عليه الصلاة والسلام-، حيث كانوا أئمة القول، وفرسان حلبة الكلام شعره ونثره.

والحكمة الإلهية في اختيار المعجزة من جنس ما اشتهر بين القوم هي إنَّ الإنسان إذا أُتي من قبل ما يعتبره مفخرته ومجال إجادته واعتزازه تكون الحجة أقوى والمعجز أكثر فعلاً وأثراً(٣).

❑ معجزات الأنبياء السابقين:

قد يعطى الرسول (المعجزة) عند تبليغه الوحي أول مرة من غير سؤال، كما حدث لموسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ص٢٤.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٢٩.

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾(١). وقد يُعطاها الرسول بعد تكذيب القوم له ومطالبتهم بالآية، كما حدث لأغلب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾(٣).

وعلى كلتا الحالتين فإنها هبة من الله تعالى لرسله، فهو المعطي وهو الذي يختار نوعها ومكانها، ودور الرسول فيها يتجلى على يده.

ومن خلال استعراض معجزات الأنبياء السابقين ومعجزات خاتم الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- نلاحظ أن المعجزة تُختار من بيئة القوم الذين يُرسل الرسولُ إليهم ومن المشهور في عصرهم مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيّهم الحضاري، لتكون الحجة أقوى، فإن الأنبياء الذين عاشوا في البلاد العربية كانت معجزاتهم مناسبة لبيئة العرب الصحراوية، فمعجزة صالح عليه السلام كانت ناقة غريبة المنشأ والمولد بين نوق أهل البادية قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾(٤). فمعجزات النبي سليمان عليه السلام جاءت مناهضة لتلك النظرية التي

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٨-١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٣-١٥٥.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٣-١٥٦.

تقول: إنّ المخلوقات نشأت عن الموجد الأول نشوء العلة من المعلول، فكانت حياة النبي سليمان عليه السلام في ملكه تجري على هدم هذا النظر فمن معجزاته تسخير الجن والطير له، وتعليمه منطق الطير والحيوان قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾[1].

وتسخير الطير له لقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

وكانت معجزة النبي عيسى عليه السلام خرقاً للأسباب الطبيعية الجارية في عصره؛ فإنَّ المعتاد في حياة الكائنات الحية أن المولود يولد من أبوين، فجاء عيسى عليه السلام من غير أب فكان ذلك خرقاً لهذه الأسباب الطبيعية، قال تعالى: ﴿... فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا (١٧) قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا (١٩) قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ

---

(١) سورة النمل، الآيات: ١٦-٢٠.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٢.

عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[1]. وتحدثه في المهد حديث الحكماء، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[2].

وقبل بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام- بلغت الفصاحة والبلاغة شأواً بعيداً، وأخذت الكلمة مكاناً في نفوس العرب من التقديس والتعظيم، مما ذهب بهم إلى أن يُعلقوا المعلقات السبع في جوف الكعبة. ولتكن معجزة النبي الكريم أشد لمعاناً وأسطع برهاناً فقد جعل الله معجزته كتاباً متلوًّا معجزاً، وهو الإنسان الأمي الذي لم يخط بيده كتاباً، ولم يتلقّ من أحد من البشر معرفة[3].

❑ مميزات معجزة النبي الكريم ﷺ (القرآن الكريم):

إنَّ الأمر المعجز الذي أُيّد به النبي محمد ﷺ هو القرآن الكريم، قال تعالى عنه: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[4]. فكتاب ينير درب الناس، ويهديهم إلى سواء السبيل، ويأخذ بأيديهم إلى الخير، لابد وأن يكون كتاباً معجزاً فوق

---

(١) سورة مريم، الآيات: ١٧-٢٢.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٢٩-٣٣.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٢٨-٢٩.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١.

قدرة البشر[1] وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2]. ولمّا كان سماع القرآن ممن يفهمه حُجّة عليه، فقد طلب الله تعالى من نبيه إجارة المستجير حتى يسمع كلام الله، وحجيته دليل على كونه معجزاً[3].

ولقد جعل الله سبحانه معجزة الرسول الكريم من نوع خاص، إلى جانب تحقيق سنّته في معجزات الأنبياء جعلها القرآن الكريم لحِكَم جليلة ندرك منها ما يلي:

١- كون القرآن الكريم المعجزة الخالدة: فمن هذه المعجزة تُستنبط أحكام الشريعة فآية تصديق الرسالة في الرسالة نفسها، وليس في معجزات الأنبياء السابقين ما يُستنبط منها حكم تشريعي. وهذه ميزة فريدة لمعجزة رسول الله ﷺ دلالتها على مصدرها الرباني كامن فيها نفسها، فالمعجزة هي الرسالة وبالعكس.

٢- مواءمة طبيعة الرسالة: لقد كان الرسول في السابق يُرسَل إلى قوم مخصوصين ولفترة زمنية محددة، فكان التحديد سواء أكان زماناً أم مكاناً فإنّه يحدد مهمة الرسول.

أما رسالة النبي فقد امتازت عن الرسائل الأخرى بشمولها وعمومها وعالميتها زماناً ومكاناً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) ينظر: البرهان: ٢/١٠١، وإعجاز القرآن: ص٣٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) ينظر: البرهان: ٢/١١٠، والإتقان: ٢/٣٢٥، وإعجاز القرآن: ص٣٢، والإعجاز التشريعي في الميراث: ص٤.

﴿ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

وكانت المعجزة تنتهي بوفاة الرسول ولا يبقى إلا الحديث عنها، ولا تنفك المعجزة عن شخص الرسول فلا تبقى بمنأى عنه في الزمان والمكان. أما الرسالة المحمدية فهي مستمرة إلى قيام الساعة، ولابد من معجزة مستمرة تقيم الحجة على الأجيال اللاحقة بصدق الرسول ﷺ ورسالته[2].

وبهذه المزايا الرائعة والفريدة من نوعها لم تكن هذه المعجزة دليل صدق رسول الله ﷺ فحسب بل كانت شاهد صدق على رسالات الأنبياء السابقين وتبليغهم رسالات الله لأممهم. وبهذه المزايا أصبحت أمة محمد ﷺ جديرة بالاستشهاد على الأمم الأخرى يوم القيامة؛ حيث تزعم الأمم أن رسلها لم يبلغوا الرسالات، عندئذٍ تُدعى أمة محمد ﷺ لتشهد على تبليغ الأنبياء أقوامهم رسالات ربهم[3]، وهذا دليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[4].

❑ متى ظهرت كلمة الإعجاز:

إنَّ هذا المصطلح (كلمة إعجاز) لم يكن معروفاً في زمن النبوة والصحابة والتابعين، إنّما عُرف فيما بعد، ودليل ذلك في كتاب الله تعالى

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٣٠.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٣١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي الآية. وهذا ما ورد في كثير من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2] إذن فالآية والآيات هي التي عبّر عنها بالمعجزات فيما بعد.

إنَّ مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الزنادقة والملاحدة وأهل الزيغ. ولم يبرز مصطلح إعجاز القرآن على الساحة إلا بعد أن نُقل عن واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ) شيخ المعتزلة في البصرة قول غريب وهو: إنَّ إعجاز القرآن ليس شيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته، وهو القول الذي تبنّاه فيما بعد إبراهيم بن سَيَّار النظَّام (ت: ٢٣١هـ) أحد شيوخ المعتزلة في البصرة، وعُرف هذا القول فيما بعد (بالصرفة). عند ذلك بدأ العلماء يتعرضون في ثنايا كتبهم لوجه الإعجاز ويتحدثون عن إعجاز القرآن، ولعل أول من تولى الرد على القول بالصرفة هو الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) تلميذ النظام، فإلى جانب تناوله موضوع إعجاز القرآن في إشارات مقتضبة في بعض كتبه الأدبية (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) فقد ألّف كتاباً سمّاه (نظم القرآن)، ليتعرّف القارئ من خلال بيان المعاني الغزيرة في الآيات القرآنية ذات الكلمات القليلة على نظم القرآن

---

(١) سورة الإسراء، من الآية: ١٠١.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ٥٠-٥١.

الكريم وتفرّده بنمط معين لا يتوفّر في كلام غيره، وهذا النظم هو سرّ الإعجاز فيه، حيث يقول في وصف خمر أهل الجنة قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: «هاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا»[1].

❑ وجوه الإعجاز القرآني:

ذهب أكثر العلماء، إلى إن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي والخلقي، وهناك الإعجاز العلمي إلى غير ذلك من الوجوه، والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على إنَّ الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمّها وأعمّها؛ ذلك لأنَّه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى، أما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي معروفة فيه. وكانت آراء العلماء كثيرة في مناقشة وجوه الإعجاز فكان الصواب أن القرآن معجز، والإعجاز فيه يتخطى مدارك عقول البشر، فمع كل زمان تتجلى أوجه من الإعجاز لم تكن العقول قد وقعت عليها. يقول الزركشي بعد أن عرض أحد عشر وجهاً من وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء: «إنَّ الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد على انفراده؛ فإنَّه جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل وغير ذلك مما لم يسبق»[2].

ويؤكد كلام الزركشي وجوه الإعجاز التي أظهرتها الحقائق العلمية المستجدة مما لم يقف العلماء عليها سابقاً. ويمكن ذكر بعض وجوه الإعجاز المهمة لا على سبيل الحصر، منها:

---

(١) البيان والتبيين: ٢٤٦/١، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٤٦-٤٧.

(٢) البرهان: ١١٤/٢.

أولاً: الإعجاز البياني: لقد اتفق العلماء على إنَّ أعظم وجوه الإعجاز القرآني هو الإعجاز البياني في نظمه، وبلاغته، وفصاحته، وترتيبه، وما إلى ذلك من فصاحة وبلاغة[1].

ثانياً: الإعجاز في الإخبار عن أمور لم تقع (الغيبي)[2]: فقد أخبر القرآن عن وقائع لم تحدث بعد، وقد جاءت مصداقاً لما أخبر به منها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[3].

ثالثاً: الإعجاز العلمي: مع التطور العلمي المستمر فقد اكتشف العلماء حقائق علمية دقيقة، وقد وُجِد أن القرآن قد أشار إلى بعض هذه الحقائق، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[4].

ثبت علمياً حاجة الإنسان الضرورية للأوكسجين، فلو قلّت نسبته في الهواء لأي سبب فإنَّ ذلك يؤدي لضيق الصدر، وصعوبة التنفس، وهذا ما يحدث لمن ارتفع إلى طبقات الجو العليا، حيث تقل فيها نسبة الأوكسجين، وهذا المعنى قد أشارت إليه الآية[5].

رابعاً: الإعجاز التشريعي: إنَّ القرآن الكريم جاء ليكون منهجاً متكاملاً للحياة؛ يرسم طريق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال

---

(١) البرهان: ١٠٧/٢، وينظر: إعجاز القرآن: ص١٦٥.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ١٤.

(٣) سورة الروم: الآيات: ١-٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٥) ينظر: علوم القرآن: ص٢٧٠-٢٧٣، وعلوم القرآن: ص١٠٧-١٠٩.

تشريعات دقيقة تتصف بالتكامل، والشمول، والواقعية، فكانت صالحة عبر الأزمان المختلفة للأخذ بيد الإنسان، ومازالت إلى قيام الساعة. والإعجاز التشريعي نجده في كافة التشريعات، في العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والسياسة الشرعية[1]، وغير ذلك[2].

ونجد إنَّ السيوطي قد حصر وجوه الإعجاز في جهات هي:

١- عجز العرب عن الإتيان بمثله رغم تحديه لهم مراراً.

٢- التحدي للكافة.

٣- إخباره بالمغيبات والأمور المستقبلية.

٤- احتواءه على كل العلوم.

٥- خرقه العادة في أسلوبه وبلاغته[3].

❑ التحدي:

امتاز العرب بسرعة البديهة، وسلامة السليقة، لذلك لما سمعوا القرآن الكريم يتلى عليهم، وقد بلغت اللغة عند نزوله أشدها، استولى على مسامعهم، وصار حديث نواديهم، تهتز له أفئدتهم، فكان حرياً بهم، وقد تذوقوا حلاوته أن يؤمنوا به، وبالنبي المرسل، لكنهم كانوا أشد عناداً، فتحداهم القرآن، وأرخى لهم العنان من التحدي، ولكنهم وقفوا أمام القرآن موقف العاجز فلم يستطيعوا معارضته، مع إنَّ الأسباب الباعثة على المعارضة كانت متوافرة. وأي شيء أقوى في استثارة حمية خصمك من ذلك التقريع.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٢٩٥، وعلوم القرآن: ص٢٧٣-٢٧٥.

(٢) ينظر: الإعجاز التشريعي في المواريث: ص٥٠١-٥٠٢.

(٣) الإتقان: ١١/١١٧-١١٨.

لذا كان هذا القرآن شغلهم الشاغل، فلجئوا إلى وسائل كثيرة لمقاومته باللطف أو بالعنف، فأغروا الرسول الكريم بالمال ليكف ويترك دعوته، وتواصوا على مقاطعته وحبسه، ومنعوا صوت القرآن أن يخرج من دور المسلمين خشية أن يسمعه أحد من أبنائهم، فألقوا فيه الشبهات والمطاعن فقالوا: كاهن أو مجنون أو ساحر ليصدوا عنه الآخرين، لأنَّهم أحسوا في هذا القرآن قوة وغلبة، وأنَّهم لم يجدوا سبيلاً لمقاومته عن طريق المعارضة الكلامية، فكان الحل الوحيد لمقاومته هو الحيلولة بين هذا القرآن وبين الناس، فخاضوا مع النبي ﷺ الحروب الطويلة وضحوا بالغالي والنفيس من أجل إيقاف هذه الدعوة، وأحوالهم هذه كلها تدل على عجزهم[1]، وعندما دُعُوا إلى معارضة القرآن والإتيان بمثله شعروا بضعفهم وعجزهم في قرارة أنفسهم، لكنهم عاندوا و لم يستجيبوا لنداء العقل وأحاسيس الفطرة التي يستشعرونها في داخلهم، وقالوا: عند سماع آيات القرآن، وهي تتحداهم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2]. لم يتركهم القرآن الكريم يقولون قولتهم وينصرفون، بل لاحقهم بقوارع بنيانه وسجّل كذبهم وافتراءهم فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٣١، وينظر: إعجاز القرآن: ١٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

ونجدهم قالوا: إنَّ الذي يعلّمه ليس من قريش وإنما هو رجل لديه علم ومعرفة، ولكن أنّى لأعجمي أن يأتي ببيان معجز للعرب الفصحاء؟! قال تعالى رداً عليهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

ولهذا نجد إنَّ القرآن الكريم لم يكتف بتسجيل العجز مجتمعين، بل أثارهم فرادى وسجّل على زعمائهم الخزي والعار. واقرأ ما ورد في شأن الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[2] ومثله في حق أبي جهل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[3] وكذلك ما نزل في ثالث الأشقياء أبي لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١١-٢٦.

(٣) سورة العلق، الآيات: ٩-١٨.

(٤) سورة المسد، الآية: ١.

إنَّ هذا التحدي الخاص بعد ذاك التحدي العام كان من شأنه أن يثير هؤلاء الزعماء، فلا يرون لذة للعيش، ولا يذوقون طعم النوم حتى يستفرغوا جهودهم، وجهود من يلوذون بهم في الشدائد للرد على القرآن. ولم يبق للمشركين أرضاً يقفون عليها ولا حجة يستندون إليها، فقالوا: إنَّ هذه الأمور الغيبية والعلوم الواردة في القرآن لا عهد لنا بها، وهذا سبب عجزنا عن معارضة القرآن، فإن عجزتم مع آلهتكم ومع من تلوذون بهم في الشدائد فعليكم أن تعترفوا بالحقيقة وتستسلموا لمُنَزِّل القرآن الذي يعلم السرَّ إليكم وكفّوا عن الجهالات والضلالات[1].

❑ مراحل التحدي:

إنَّ تحدي القرآن كان في أكثر من آية، وفي أكثر من وقت واحد، وفي أكثر من مكان، حيث تعددت آيات التحدي، وتعددت مراحله كذلك:

أولاً: تحدوا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين، قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[2].

ثانياً: ولما عجزوا أن يأتوا بمثله، أرخى لهم العنان مرةً أخرى[3]، حيث قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[4].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٣٩.

(٢) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ص٣١، وتيسير العزيز المنان: ص٦.

(٤) سورة هود، الآيتان: ١٣-١٤.

ثالثاً: وفي نهاية المطاف رضي منهم أن يأتوا بسورة مثل أيَّ سورة من سور القرآن الكريم، ولم يحدّد لهم نوعية السور، بل تركها لرغبتهم، فإن يشاءوا من السور الطويلة كان بها، أو من السور القصيرة فلهم ذلك، سواء جاؤوا بها فرادى أو جماعات[1]، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[2].

رابعاً: إنَّ الطريقة التي يسلكها القرآن إلى تحديهم، هي أنَّ التحدي كان مقصوراً على طلب المعارضة بمثل القرآن، ثم بعشر سور مثله مفتريات لا يلتزمون فيها الحكمة، وليس إلا النظم والأسلوب، ولن تضيق أساطيرهم وعلومهم أن تسعها عشر سور، ثم قرن التحدي، بالتأنيب والتقريع، ثم استفزهم بعد ذلك جملة واحدة وتحداهم أن يأتوا بسورةٍ تشبه القرآن، ولو بوجه من الوجوه، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[3] فقطع لهم أنَّهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من عند الله، ولا يقولها عربي أبداً، فقد سمعوها، وعرفوا أنَّها تعجزهم آخر الأجر فما فعلوا ولا طمعوا قط أن يفعلوا[4].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٤١.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٣٨-٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن: ص١٣٥.

الفصل الأول

تاريخ الإعجاز القرآني (آراء الأقدمين في بيان الإعجاز)

لقد برز الحديث عن الإعجاز القرآني، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل سورة من القرآن، فأول ما نشأت الفكرة كانت في مجالس بعض القوم في البصرة في القرن الثاني الهجري، حيث كانت البصرة تزخر بالتيارات الفكرية وتضم كثيراً من الفقهاء والمُحدِّثين واللغويين وأدباء وفلاسفة متكلِّمين، ودعاة إلى مذاهب خارجة عن الإسلام كالثنوية والدهرية وغيرها. ولم يعرف مصطلح الإعجاز إلا بعد أن نقل عن واصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ) شيخ المعتزلة في البصرة قول عنه وهو: إن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تعالى تفكير الناس عن معارضته، وهذا القول تبناه فيما بعد إبراهيم بن سَيَّار النظَّام (ت: ٢٣١هـ) وهو أحد شيوخ المعتزلة في البصرة وعُرف هذا القول فيما بعد (بالصِرفة)، وكان أول من ردَّ على القول (بالصرفة) هو الجاحظ (ت: ٢٢٥هـ) تلميذ النظّام، الذي تناول إعجاز القرآن في بعض كتبه الأدبية كـ(الحيوان) و(البيان والتبيين).

ونجد إن الإمام أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدّينوري (ت:٢٧٦هـ) وهو إمام أهل السنّة والجماعة في طبقة الأدباء، قد تصدّى للطاعنين في القرآن بشكل عام والمنكرين لإعجازه بشكل خاص في كتابه (تأويل مشكل القرآن)[1].

---

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٤٦-٤٧، ونظرات في الإعجاز القرآني: ص٧٥، والبيان في إعجاز القرآن: ٦١.

ولهذا نجد إنَّ الكتابة في الإعجاز القرآني كان حصيلة جهود متعددة متعاونة، أسهم فيها علماء اللغة والنحو والبيان والأصول وغيرهم، كلّهم كانت لهم لَبِنات في بناء صرح الإعجاز فالخليل بن أحمد وسيبويه، وأبو عبيدة، والفرّاء، والشافعي والجاحظ، وابن قتيبة، وغيرهم كانت لهم شذرات رائعة في إرساء قواعد وأصول هذا العلم وتشييد بنيانه، وإرساء أركانه. ويمكن القول بأنَّ الكتابة في إعجاز القرآن قد مرّت بأدوار ثلاثة هي:

- **الأول**: اللمحات والإشارات.
- **والثاني**: مرحلة الرسائل.
- **والثالث**: مرحلة الكتب[1].



(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٣٧.

المبحث الأول

دور الإشارات واللمحات

من أقدم الكتب التي أُلّفت عن القرآن الكريم، التي كانت تتحدث عن معاني القرآن هما مجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفرّاء، وهذين الكتابين كتبا في القرن الثاني للهجرة على الترجيح، لأنَّ مؤلفيهما توفيا في أول القرن الثالث، ونجد هذين الكتابين قد تحدثا عن أسلوب القرآن ونظمه وبخاصة كتاب مجاز القرآن ففيه حديث عن التشبيه، والكناية والإشارة، وإلى غير ذلك مما كان الأساس الذي يبني عليه العلماء اللاحقون كثيراً من قضايا الإعجاز، ونجد إنَّ قضية الإعجاز لم تقرر تقريراً مباشراً، في هذين الكتابين، بل كان فيهما إشارات ولمحات لم تذكر فيها كلمة الإعجاز، فجاء القرن الثالث الهجري فظهرت فيه لفظة الإعجاز، وكثيراً من الإشارات واللمحات في قضايا الإعجاز، وكانت هذه الإشارات عند النظّام المعتزلي، وتلميذه الجاحظ، وهم من أشهر أئمة الاعتزال[1].

وفيما يلي شرح لكل من هذين الإمامين:

المطلب الأول: النَّظّام (ت: ٢٣١هـ)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن سَيَّار بن هانئ النظام البصري. وهو ممن حملوا لواء الاعتزال بعد –واصل بن عطاء– حيث يدلي برأيه بعد أن قرأ في كتب الفلاسفة واتصل بالثقافات الفارسية والهندية واليونانية، وكان يميل في علمه إلى التجربة والقياس، ولا يقبل التسليم بالمنقول والمأثور. وسمي النظّام؛ لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. وتتلمذ للعلاف في الاعتزال ثم انفرد

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٣٧-٣٨.

عنه وكوّن له مذهباً خاصاً، وعاشره في بغداد حيناً ومات وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة ٢٣١هـ، وكان أستاذ الجاحظ[1].

وقد ترجم الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه (الفرق بين الفِرَق) فقال: «عاش النظّام في شبابه قوماً من الثنوية وقوماً من السُّمَنية القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط بعد كبره قوماً من ملاحدة الفلاسفة، ثم دوّن مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة، وأُعجب بقول البراهمية بإبطال النبوات، وأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما رُوي في معجزات نبينا محمد ﷺ من انشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده... الخ، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا محمد ﷺ إلى إنكار نبوته، ثم استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، وأنكر حجية الإجماع، وحجية القياس في الفروع الشرعية، وأنكر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة ﷺ، وجميع فرق الأمة من فريقي الرأي والحديث»[2].

ونجد أنَّ النظّام قد تحدّث عن القرآن، من حيث هو دليل على صدق النبي ﷺ، ولكنه يدلّ على صدق النبوة من حيث أخبار الغيب التي تضمنها، لا من حيث نظمه وأسلوبه، وهذا ما جعل العلماء يردون عليه فيما بعد[3].

وكان رأيه أيضاً: «أنَّ الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أنَّ الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم»[4] وهذا الذي ذهب إليه النظّام هو

(١) ينظر: النقد الأدبي: ١/٢١، ومباحث في إعجاز القرآن: ص٥٩.

(٢) الفرق بين الفرق: ص١٣١-١٣٢.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ص٣٨.

(٤) مقالات الإسلاميين: ١/٢٧١، وينظر: معترك الأقران: ص٧٠.

ما عرف بمذهب الصِرفية[1] ومعناها أنَّ الله صرف العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن، وإن كان ذلك مقدوراً لهم، لأنَّهم كانوا بلغاء بطبيعتهم، فصحاء بسليقتهم، والله ﷻ قد أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن أو بسورةٍ من مثله، لأنَّه سبحانه قد صرفهم عن ذلك وأمسك بهم أن يقوموا له، ولو قاموا له وقالوا لكان في وسعهم أن يقولوا مثل قوله؛ لأنَّه من جنس الكلام الذي جرى على ألسنتهم.

ويقول الشهرستاني عن زعم النظّام: «قول النظّام في إعجاز القرآن أنَّه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورةٍ من مثله بلاغة وفصاحة ونظماً»[2].

ولهذا نجد إنَّ ما ذهب إليه النظّام ينحصر في اتجاهين هما:

١- بأنَّ إعجاز القرآن كان لما فيه من إخبار عن الغيب، وهو ما لم يقدر عليه البشر أن يأتوا بمثله.

٢- أنَّ الإعجاز كان أيضاً بهذه الصرفة التي أحدثها الله في الناس، حتى إنَّهم عجزوا كذلك عن الإتيان بمثل هذا القرآن[3].

ونجد إنَّ الفرقة النظامية التي تنسب إلى النظّام قد تبنّوا آراء شاذة في العقائد منها: أنَّ الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح فيه، ولا أن يزيد وينقص من عقاب وثواب، وكونه مريداً لفعله كونه خالقاً ولفعل

---

(١) الصرفة (بالفتح) بمعنى أن يصرف الله عبده عن أمر من الأمور.

(٢) الملل والنحل: ص٨٢.

(٣) ينظر: النقد الأدبي: ١/٢٢.

العبد كونه أمر به، والإنسان هو الروح والبدن، والأجسام لا تبقى، والجسم مؤلف من الأعراض، والعلم والجهل المركّب مثلان، والإيمان والكفر كذلك. وأوجبوا النص على الإمام، وثبوته لعليّ لكن عمر كتمه[1].

ويلاحظ بعض الكاتبين المحدثين مُحاولاً أن يعتذر عن النظّام، مفسراً الصرفة بغير التفسير الذي اشتهر عند العلماء، فهو يرى أن الصرفة التي قال بها النظّام لا تعني قدرة العرب على الإتيان بالقرآن، وإنَّما تعني انصرافهم عن ذلك حينما نظروا في القرآن، ونظروا في أنفسهم، فوجدوا أنَّهم لا يمكنهم معارضته فانصرفوا عن ذلك، فهو انصراف لا صرفة[2] ومع تقديرنا لهذا التحليل، إلا أننا لا نوافقه عليه، ذلك لأن الجاحظ نفسه، وهو من تلاميذ النظّام قد ردّ عليه في كتابه نظم القرآن، والجاحظ أقدر على فهم أستاذه ممن جاءوا بعده وهو أقرب زماناً ومكاناً مما قالوا وافهم بمراد ما قاله غيره ونحن معهُ في رأيه هذا.

ومهما يكن من أمر فلقد كان للنظّام كلمات في الإعجاز، بقطع النظر عن الوجه المعجز للكتاب الكريم.

١- الجاحظ (ت: **٢٥٠هـ**):

هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته في البصرة.

كان الجاحظ يرى أن إعجاز القرآن إنما هو في نظمه وتأليفه لذلك كان أول من أفرد الإعجاز القرآني بمؤلف مستقل، وهو كتاب (نظم القرآن) أظهر

---

(١) ينظر: لوامع الأنوار: ٧٨/١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة: ٧١.

فيه رأيه في بيان القرآن بشكل يوضّح الحجة في إعجازه، وهذا الكتاب وإن لم يعثر له على أثر، إلا أننا عرفناه من خلال مؤلفات أخرى للجاحظ مثل كتابي «الحيوان والبيان والتبيين» ولكن يمكن من خلال قراءة كتبه ورسائله استخلاص رأيه في الإعجاز(١)، فمثلاً يذكر ابن الخياط كتاب نظم القرآن فيقول: «ومن قرأ كتاب عمرو الجاحظ في الرد على المشبهة، وكتابه في الأخبار وإثبات النبوات وكتابه في نظم القرآن علم أنَّ له في الإسلام غناء عظيماً، لم يكن ﷻ ليضيعه عليه، ولا يعرف في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأنَّه حجَّة لمحمد ﷺ على نبوته غير كتاب الجاحظ»(٢) وفي رسالة (حجج النبوة) يقول: «فكتبت له كتاباً أجهدت فيه نفسي، وبلغت فيه أقصى ما يمكن لمثلي في الاحتجاج للقرآن والرد على الطعان، فلم أدع فيه مسألة... إلى أن قال: ولا لأصحاب النظّام ولمن نجم بعد النظّام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنَّه بتنزيل وليس ببرهان ولا دلالة»(٣) ولهذا نجد أنَّ في كتابه (حجج النبوّة) فقد صدّره بمقدمة طويلة بيّن فيها مراده من كتابه، وهو جمع حجج الرسول ﷺ وهي المعجزات التي جرت على يديه ﷺ، في مكان واحد حتى تكون أدعى للحفظ والتفهّم، وأهدى لمن عَمِيَ عن الطريق القويم(٤) ثم ذكر -بعد تشعب كثير واستطراد-(٥) كيفية مجيء أخبار معجزات رسولنا ﷺ وغيره من الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأنَّها

---

(١) ينظر: النقد الأدبي: ١/٢٥، ونظرات في الإعجاز: ص٨٢.

(٢) أمراء البيان: ص٤٣٩ نقلاً عن الانتصار.

(٣) صحيح النبوة: ص١٤٨.

(٤) مجموع الرسائل: ٣/٢٣٤-٢٣٦.

(٥) المصدر السابق: ٣/٢٣٦-٢٦٦.

خرجت مخرج التواتر، وأنّها قد نُقلت لنا النقل الذي لا يخالجه شك. ثم ذكر بعض الدلائل على نبوته ﷺ[1] وانتهى إلى معجزة النبي العظمى، وهي القرآن، فبيّن أن العرب كانوا أفصح الناس إلا أنّهم لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئاً من كلام الله تبارك وتعالى مع إنّه تحداهم ودعاهم إلى هذا مُدداً متطاولة[2] فلذلك نجد إنَّ في كتابه نظم القرآن قد تحدّث فيه عن مفردات القرآن وبعض أساليب البيان التي اصطلح عليها فيما بعد بعلم البلاغة، وهذا الكتاب قد حرمنا منه ولكن كل ما وصلنا منه شذرات وبعض عبارات ذكرها هو في كتبه المتفرقة.

وأما في كتابيه (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) فقد تحدّث فيها عن بلاغة القرآن ونظمه[3]، وكان من أهم ما التفت إليه الجاحظ هو براعة النظم في القرآن حيث إنَّ التنزيل قد أولى اللفظ عناية خاصة فاختاره بدقة ليدل على المعاني بدقة، وقد يشترك لفظان في المعنى، ولكن أحدهما أحق من الآخر في الدلالة عليه، كما أن النظم القرآني له براعته في تنزيل اللفظ منزلته في الموضوع الذي أُريد له، كما يمتاز بروعته في الاختبار ومراعاة الفروق بين الألفاظ، فلا يأتي بالألفاظ المترادفة دالاً على معنى واحد، وإنَّما للدلالة على معانٍ مختلفة وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم وألفاظ القرآن في نظمه البالغ حد الإعجاز[4].

ونجد إنَّ مما أثار اهتمام الجاحظ... أنَّ القرآن قد يستعمل لفظاً بعينه، فيستغنى عن ألفاظ ويدل على معانٍ كثيرة وأسماء مجتمعة، فتكون اللفظة

---

(١) مجموع الرسائل: ٣/٢٦٦.

(٢) ينظر: معترك الأقران: ١/٧٥.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ص٤٠، والبيان في إعجاز القرآن: ٧١.

(٤) ينظر: النقد الأدبي: ص٢٥-٢٦.

جامعة شاملة دالة على المعنى المراد أبلغ دلالة وأتمها، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾[1] فقال لنبيه: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[2].

والجاحظ قد تناول في دراساته أيضاً للأسلوب القرآني في عظمة تصويره وروعة تعبيره، وكان ذلك في تحديده من المواقف، وقد بدا أكثر إدراكاً لما ترمى إليه الآيات المحكمات: حيث يعرض للصورة القرآنية المتواجدة في قوله تعالى في شجرة الزقّوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فيقول: «وليس أنَّ الناس رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين.. وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك: رجع بالإيحاش والتنضير وبالإضافة والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم.. وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن»[3].

ولما كان الجاحظ يرى أنَّ إعجاز القرآن إنَّما يكمن في نظمه وتأليفه، فإنَّه لم يأل جُهداً في هذا السبيل كلما سنحت له الفرصة أو دعاه المقام للحديث عن عجيبة هذا النظم في القرآن... «وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقضى على مخارج الأشعار

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤، وراجع كتاب الحيوان: ١٨٨/٢، ط. هارون، وأثر القرآن في النقد الأدبي: ٨٣.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ٦٤-٦٥.

(٣) الحيوان: ٣٩/٤، وينظر: مجاز القرآن: ٢١/١.

والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البراهين وتأليفه من أكبر الحجج»[1]. ولعل ما دعاه إلى الحديث عن النظم القرآني وبعده عن أن يتشابه في دقته وبديع تأليفه مع غيره من الكلام: هو ما أثير حول القرآن منذ نزوله، حيث وجده الناس منسجماً منساباً على نظم رتيب خاص به، وقد استرسلت آياته في وحدات مترابطة فحسبوه من وهمهم شعراً، كما رأى آخرون أن القرآن قد التزم أحياناً في بعض فواصله (روِّيا) معيناً، فظنوه على مثال القصيدة حيث تلتزم قافية بعينها. وظن فريق ثالث أنه يوجد تشابهاً بين هذا النظم وما كان يجري على ألسنة الكهان العرب من كلام مسجوع، فتوهموا أنه سجعاً[2].

ومع إنَّ القرآن قد حسم الأمر، وأنَّه من عند الله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

ونستطيع أن نلخص نظرية الإعجاز عند الجاحظ بما يلي:

١- القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، ومن حيث نظمه ورصفه، التي تقوم على إبداع في الإيجاز والمجاز والتشبيه.

٢- القرآن معجز من حيث الصِرفة، ولكنها تختلف كثيراً عن تلك التي ذكرها أستاذه النظّام من قبل، ولذا فهو يردُّ عليه في كتابه نظم القرآن،

---

(١) ينظر: النقد الأدبي: ١/٢٩.

(٢) ينظر: النقد الأدبي: ١/٢٩.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤١-٤٣.

فأساس نظرية الإعجاز، وعمود القول فيه بلاغته أولاً، أما القول بالصرفة فإنَّما تأتي في المرتبة الثانية، فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه[1].

٢- ابن قتيبة:

هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ) في أواخر خلافة المأمون إمام من أئمة أهل السنّة، عرض في كتبه لكثير من أساليب القرآن، كما ردّ على الملاحدة والشعوبيين، على الرغم من الخلاف بين اتجاه المعتزلة -ويمثلهم الجاحظ- واتجاه أهل السنّة، حيث يرى الأولون في المجاز وسيلة من وسائل التعبير في القرآن... بينما يرى أهل السنّة أنه لا يصح التجوّز في كلام الله، وأنَّ المجاز من الضرورات التي لا يلجأ إليها القرآن، إذا صحَّ وجودها أو أضطر إليها البشر من الشعراء والبلغاء في كلامهم، وما ذلك -عندهم- إلا لقصر باعهم وضعف أدائهم، ولا يأتي الله به في كلامه وهو أعرف بموضع الكلم بمواقعه، ومن ثم فإنَّ الصور البيانية الواقعة في القرآن إنَّما هي على حقيقتها... فهناك يد الله ولكنهم لا يدرون ما كنهها، وهناك كرسي وهناك استواء... الخ[2].

وعلى الرغم من هذا الخلاف.. فإنَّ المقتصدين من أهل السنّة وعلى رأسهم ابن قتيبة، فقد أدركوا مع كثرة الدراسة والمقارنة أن المجاز واقع في

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٤٠، وينظر: الإعجاز البلاغي في كتب الجاحظ، بحث في مجلة الخطيب، العدد ٣١ لسنة ٢٠٠٤، بغداد.

(٢) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي: ص١٠٥، وينظر: البيان القرآني عند الشنقيطي: ص ١٢٥.

القرآن وهو جائز، لأنَّه من مستلزمات التعبير، وللعرب المجازات في قولها. فلم يكن بغريب عليهم أن يكون المجاز في القرآن الكريم، وأن ابن قتيبة لم يتوسع في المجاز توسع أهل الاعتزال بل كان أكثر اعتدالاً وتحفظاً، وكان المجاز عنده محدداً بقواعد وأصول من الواجب مراعاتها، ولا يتوصل إليها إلا بدراسة ما جاء مشابهاً لها في كلام العرب وطرق القول عندهم، ومن ثم لا يصح حمله على غير ما يحتمل[1].

ومن كتب ابن قتيبة الخاصة بالقرآن الكريم (تأويل مشكل القرآن) و(غريب القرآن) حيث يتحدّث عن التشبيه والاستعارة والمجاز، كما يتحدث عن قضيتي التكرار والزيادة، ويظهر على كتبه الطابع اللغوي؛ وخاصةً وهو يرد على اللغويين الذين أنكروا المجاز، وعلى المعتزلة الذين أفرطوا في التأويل، وليس له بحث مستقل في إعجاز القرآن. ونجد في كتابه تأويل المشكل الذي يعد من أكثر الدراسات القرآنية اتصالاً بالبيان ولصوقاً بفن الأدب، ويعرض ابن قتيبة من خلال كتابه هذا أسلوب الدفاع القويم الذي أبلى فيه بلاءً حسناً، وذلك لمّا رأى من كثرة الشكوك التي تثار حول القرآن والمطاعن التي تسدد نحوه، فجاء كتابه مزيجاً من الدراسات الأدبية والنقدية والعقيدية... وكلها مما يدافع به عن القرآن. وبهذا نجد إنه يعرض في القصة الأولى من كتابه (تأويل المشكل) يبدأ بإثارة قضية الإعجاز حيث يبدأ تقديمه قائلاً: «الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ بل نزّله قيماً مفصلاً بيّناً.. وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكاذبين، وأبان بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلواً لا يمل على طول التلاوة

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ص٤١، والنقد الأدبي: ١/٣٥.

ومسموعاً لا تمجّه الآذان، وغضّاً لا يخلق على كثرة الرد، وعجيباً لا تنقض عجائبه ومفيداً لا تنقطع فوائده»[1].

وهو بهذا يشير إلى إن الإعجاز -كما سبق عند الجاحظ- إنما هو بالنظم والتأليف.. والقرآن كله معجز، يقول: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2] فيقول: وهل شيء أبلغ في العبرة والعظة من هذه الآية؟ وأنَّه أراد: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو وأبادهم بالمعصية، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية قد سقطت عن عروشها، وبئراً كانت لشرب أهلها قد عطل رشاؤها وغار معينها، وقصراً بناه ملكه بالشيد[3] قد خلا من السكن، وتداعى بالخراب فيتعظوا بذلك ويخافوا من عقوبة الله وبأسه مثل الذي نزل بهم...

وبهذا حرص ابن قتيبة على تأكيد أمر الإعجاز في كتاب الله تعالى من ناحية نظمه وتأليفه، وليبين لكل من وقف على مثل هذه الآيات المحكمات أن فصحاء البيان لم يسعهم إلا أن يعرفوا للقرآن قدره، وكان عجزهم عنه شهادة له بالإعجاز[4]. ويتحدّث ابن قتيبة أيضاً عن اللغة العربية التي اختارها

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ص٣.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٣) كل ما يطلى به الحائط من جص وبلاط. ينظر: غريب القرآن: ص٢٢٥.

(٤) ينظر: النقد الأدبي: ١/٣٥-٣٦.

الله لتكون لغة القرآن.. فيقول: ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها وحالية لنظامه وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهم إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي (بالتنوين) وقال آخر: هذا قاتل أخي (بالإضافة) لدلَّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلَّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

ويتحدث ابن قتيبة أيضاً عن المجاز وأهميته في لغة العرب التي نزل القرآن ولم يكن مجرد قول في المجال، ولكنه جعله مدخلاً للكلام عن قضية من أهم القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم حيث يقول: «وللعرب إنجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز»(1).

المطلب الثاني: الإعجاز عند المعتزلة

اتسم علماء المعتزلة إلى جانب قدراتهم في علم الكلام، بسعة الفصاحة والبيان، والإطلاع الواسع على فنون البلاغة، ومن أبرز من كتب في الإعجاز القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥هـ) الذي خصص الجزء السادس عشر من كتابه (المغني) للحديث عن إعجاز القرآن، يلحظ فيه المسالك الدقيقة التي سلكها لإبراز نظم القرآن المعجز. ثم يأتي الإمام الزمخشري والذي هو أيضاً من أبرز علماء المعتزلة حيث جعل كتابه تطبيقاً عملياً لآرائه في

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٦، وينظر: النقد الأدبي: ص٤٠.

الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

فلابد من أن نقف مع الزمخشري وتفسيره لمعرفة أسلوبه في الحديث عن إعجاز القرآن، باعتبار كتابه نموذجاً من كتب تفسير المعتزلة.

جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ):

هو محمود بن عمر الزمخشري لقب بـ(جار الله) لمجاورته الحرم المكي فترة من الزمن. وألّف كتابه في التفسير وهو مجاور لبيت الله الحرام، ويقول إنه أتم تأليفه في زمن يقدره بمدة خلافة أبي بكر ﷺ وهي سنتان وبضعة أشهر[1].

يُعدُّ الزمخشري من رؤوس المعتزلة، ومن أئمة النحو واللغة والأدب، وله في كل ذلك مؤلفات من أشهرها (أساس البلاغة) في اللغة، (المفصَّل) في النحو، وكتاب (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).

لم يؤلف الزمخشري مؤلفاً خاصاً بالإعجاز، إلا إنه سلك في تفسيره مسلكاً دقيقاً أبرز فيه وجوه إعجاز القرآن من خلال الأساليب البلاغية التي نبّه عليها، وهو يفسر الآيات القرآنية. وعلى الرغم من إنَّه لم يقف عند كل كلمة، إلا إنَّه يطيل الوقوف عند الآيات التي تكشف له وجوهاً من روائع البيان وعجيب النظام في تقديم كلمة على كلمة أو حرف مكان حرف، ويتحدث عن كل ذلك بأسلوب الأدبي الضليع والبلاغي الذوّاقة التي يتذوّق جمال الكلام وأفانين القول.

يقول الزمخشري في مقدمة تفسيره: «... قرأناً عربياً غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية، مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية،

---

(١) ينظر: الأعلام: ١٤٧/٣.

معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان، أفحم به من طُولب بمعارضته من العرب العربان، وأبكم به من تحدّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدَّ للإتيان بما يوازيه أو يُدانيه واحد من فصائحهم...»[1].

ويبين أنه لا ينبغي أن يتصدى لعلم التفسير إلا من كان على قدر كبير من معرفة علم المعاني والبيان[2].

ونجده يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[3] (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين: إما بما دل عليه لا بشرى، أي: يوم يرون الملائكة يُمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ للتكرير، وإما بإضمار أذكر: أي: أذكر يوم يروه الملائكة»، ثم قال: «لا بشرى يومئذ للمجرمين»، وقوله للمجرمين إما ظاهر في موضع ضمير، وإما لأنَّه عام فقد يتناولهم بعمومه (حجراً محجوراً) ذكره سيبويه في باب المصادر غير المنصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها، نحو: معاذ الله وقصدك الله، وعمرك الله، وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة، قال سيبويه: ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول: حجراً وهي: حجره أو منعه، لأنَّ المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى: أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً، ومجيئه على فِعل أو فُعل في قراءة الحسن

(١) ينظر: مقدمة الكشاف: ١٠.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٥٤.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٢.

تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قصدك وعمرك كله.

فإن قلت: فإذا ثبت أنَّه من باب المصادر فما معنى وصفه بـــ«محجوراً»، قلت: جاءت هذه الصفة لتأييد معنى الحجر، كما قالوا: ذيل ذائل والذيل الهوان، وموت مائت. والمعنى في الآية أنَّهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم؛ لأنَّهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة[1].

وقيل: هو من قول الملائكة، ومعناه حراماً محرّماً عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي جعل الله ذلك حراماً عليكم[2].

❑ الصَّرْفة: لغةً:

معاني (الصِّرْفة) في اللغة تدور على صَرْف الشيء عن وجهه إلى جهة أخرى، فتصريف الرياح: جعلها جنوباً وشمالاً، والصيرفيّ: المحتال المتغلب في أموره، والصَّرْفِ: التقلب والحيلة، ومعناه -أيضاً- أن تصرف إنساناً عن وجه يريد إلى مَصْرِفٍ غير ذلك[3].

وفي الاصطلاح: هي «صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً عليها، وغير مُعَجَّزَةٍ عنها إلا إن العائق[4] من حيث كان أمراً خارجاً عن

---

(١) الكشاف: ٨٧/٣، وينظر: الكتاب: سيبويه: ١٩٣/٢، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: الكشاف: ٨٨/٣.

(٣) لسان العرب: مادة (ص ر ف): ٣٨١/٧.

(٤) أي: الصارف.

مجاري العادات صار كسائر المعجزات»[1]. وعليه فإن معنى الصَّرفة أنَّ الله تعالى لم يمكّن الناس من إنشاء مثل هذا القرآن، وأنَّ نظم القرآن غير معجز في ذاته، وإنَّما عجز القوم عن تأليف مثله؛ لأنَّ الله تعالى، صرف قُدرهم وأفكارهم عن هذا، فالإعجاز إذاً عند القائلين بـــ(الصَّرْفة) تأثير خارجي لا يرجع إلى ذات اللفظ القرآني[2].

❑ مصدر القول بالصرفة:

إذا أردنا أن نقف عند المصدر الذي نبعت منه هذه الفكرة في التراث العربي فإنَّه يمكن القول بأنَّ في هذه المسألة رأيين مختلفين:

الأول: يذهب إلى إنَّها فكرة مستقلة من التراث غير العربي، حيث يرى بعض الباحثين أنَّ هذه الفكرة مأخوذة عن غير العرب، ذلك أنَّ هذه الفكرة ذات أصول في كلام الهند، ومصدرها أقوال خاصة للبراهمة في كتابهم الفيدا[3]، الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار، ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، ويقول علماؤهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها؛ لأنَّ (براهما) صرفهم عن أن يأتوا بمثلها[4] ولكن خاصتهم يقولون: إن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها، ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراماً لها.

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ص٢٢، وينظر: الطراز: ٣/٣٨٨.

(٢) ينظر: معترك الأقران: ١/٩٣.

(٣) الفيدا: يطلق على كتب الهندوس المقدسة الأربعة، وقد يطلق على كل واحد منها على انفراد، وكُتبت هذه الأسفار باللغة السنسكريتية ويعود تاريخها إلى ما بين عام ٣٠٠٠-١٠٠٠ ق. م، ومعنى كلمة (فيدا) بالسنسكريتية «المعرفة». ينظر: موسوعة المورد: ١٠/٨٢.

(٤) ينظر: المباحث البلاغية: ص٢٧.

وعندما دخلت الأفكار الهندية في عهد أبي جعفر المنصور ومن والاه من حكام بني العباس، تلقف الذين يحبون كل واحد من الأفكار ويركنون إلى الإغراب في أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول ويطبّقون على القرآن وإن كان لا ينطبق[1] فقال قائلهم: إنَّ العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه ومعانيه ونظمه، بل كان، لأنَّ الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله[2].

الثاني: إنَّها فكرة عربية خالصة، ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّها ظهرت بفعل أوهام خاطئة حول وجه إعجاز القرآن اعتقدها القائلون بالصرفة. ويشير الجرجاني إلى شيء من ذلك -دون أن يجزم به- فيقول: «الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهّم. إنَّ التحدي كان إلى أن يُعبّر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم وخُيِّروا في المعاني كلها»[3] وهذا يعني أن القائلين بالصرفة قد تبادر إلى ظنهم أن التحدي كائن في لفظ القرآن ومعناه معاً، وبما إنَّ القرآن قد تضمّن من المعاني ما يخرج عن قدرة البشر، كأخبار الأولين والآخرين، والإخبار بالغيب وما حواه من التشريعات والتعاليم والقيم والمبادئ فلا يستطيع الإنسان بطبيعة تركيبه وعقله المحدود أن يعبّر عنها بمثل بيان القرآن وبلاغته، فهم مصروفون عن التعبير بمثل أسلوب القرآن لعدم تمكنهم منه مع معانيه[4].

---

(١) المصدر السابق: ص٢٧.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ص٥٨-٥٩، والقول بالصرفة: ص١٥٧-١٥٨.

(٣) الرسالة الشافية: ص٦١١.

(٤) ينظر: القول بالصرفة: ص١٥٨.

ويبدو إنَّ الرأي الثاني هو الأقرب للصواب، نظراً لعدم ورود أي إشارة من العلماء القدامى الذين تحدّثوا عن هذه القضية تشير إلى كون الفكرة مستقاة من البراهمة أو من غيرهم.

❑ القائلون بالصرفة:

على الرغم من اتفاق الباحثين على المفهوم العام لفكرة الصرفة، إلا إنَّ ثَمَّة اختلافات بين القائلين بها حول تفصيلات معينة تتعلق بكيفية حدوث الصرفة، ويمكن القول هنا بأنَّ القول بالصرفة ظهر في التراث العربي على ثلاث صور ذكرها (العلوي) وهي:

١- أن يريدوا بالصرفة إنَّ الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة، مع أنَّ أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة مع التصريح بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية[1] وهذه الصورة لا تعني قدرة العرب على معارضة القرآن، فهم غير قادرين على ذلك البتّة، إلا أنَّ الله تعالى صرفهم عن محاولة شيء من ذلك لئلا يلتبس الأمر على العامة ممن لا يفرّق بين القرآن وكلام غيره.

٢- أن يُراد بالصرفة أن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسْر عن المعارضة مع كونهم قادرين، وتسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة[2].

٣- أن يريدوا بالصرفة أنَّ الله تعالى سلبهم العلوم التي لابد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إنَّ سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين،

---

(١) ينظر: الطراز: ٣/٣٩١.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣/٣٩٢.

أحدهما أن يقال: إنَّ تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار، لكن الله تعالى أزالها عن أفئدتهم وثانيهما: أن يقال: إنَّ تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم، خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة[1]»[2].

وقد قال جماعة بالصرفة، والمراد أن الله سبحانه صرف العرب والعجم عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع قدرتهم عليه.

ولعل الجاحظ، وهو من القائلين بهذا القول، يعرض وجهة نظره في الموضوع وهو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[3].

يورد الجاحظ هنا اعتراضاً[4] فيقول: «إنَّ الله أعطى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فملكه على الإنس والجن والطير، وسخّر له الريح، فكيف لا يعرف ملكة سبأ مع قرب دارها؟ ثم يقول: لله تدبير تعجز عن فهمه العقول. ويمثل الجاحظ أيضاً بموسى بن عمران عليه السلام، ومن كان معه في التيه لمدة أربعين عاماً في مقدار فراسخ يسيرة ولا يهتدون إلى مخرج منها، وما

---

(١) ينظر: الطراز: ٣/٣٩١.

(٢) ينظر: القول بالصرفة: ص١٦١.

(٣) سورة النمل، الآيات: ٢٠-٢٣.

(٤) الحيوان: ٤/٣٠.

كانت بلاد التيه إلا ملاعبهم، ولكن الله صرف أوهامهم. ويمثل بزكريا ﷺ وكيف صرفه الله عن النطق ثلاثة أيام إلا رمزاً. ثم يقول: ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب، وصرف من نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدّاهم الرسول ﷺ بنظمه. ولذلك لم تجد أحداً طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلّفه ولكثُر فيه القيلُ والقال»[1] وشهد للجاحظ في كلامه هذا ابن حزم حيث يقول: «فما من بلغائهم أحدٌ يتكلف معارضة القرآن إلا سقط وصار مهزاة ومعبرة يُتماجَنُ به، منهم مسيلمة بن حبيب الحنفي لما رام ذلك، لم ينطق لسانه إلا بما يُضحك الثكالى والمفجوعين»[2].

أما النظّام، وهو أستاذ الجاحظ فقد قال: إنَّ الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة[3] وكان يقول: إن الله تعالى ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام. والعرب إنَّما لم يعارضوه، لأنَّ الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم به[4]»[5].

ومن القائلين بالصرفة الشريف المرتضى؛ حيث إنّه فسّر الصرفة بقوله: إنَّ الله سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في معارضة القرآن والإتيان بمثله. ومؤدى كلامه أنَّهم أوتوا القدرة على المعارضة بما كانوا عليه من بيان وبلاغة وفصاحة فهم قادرون على النظم والعبارات، ولكنهم عاجزون عن

---

(١) الحيوان: ٤/٣١-٣٢.

(٢) إعجاز القرآن: ١٤٤.

(٣) ينظر: نهاية الإيجاز : ١٠٨، وينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٩٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٩.

(٥) أسلوب القرآن: ص٤١٣ - ٤١٥.

الإتيان بمثل القرآن بسبب أنَّهم سُلبوا العلم الذي يستطيعون به محاكاة القرآن في معناه[1].

وممن قال بالصرفة أيضاً: الفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ): حيث قال في كتابه (الفصل) في سبب الإعجاز: لم يقل أحد إن كلام غير الله معجز، لكن لمّا قاله الله تعالى، وجعله كلاماً له، أصاره معجزاً، ومنع من مماثلته.. ثم قال: وهذا برهان كان لا يحتاج إلى غيره[2].

وابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ) يقول في كتابه (سر الفصاحة): وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأنَّ سُلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك... ومتى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه[3].

وقالوا في حقيقة القول بالصرفة أنَّ العرب قد عرفوا منذ جاهليتهم بفصاحة الكلم، فلهم القصيد الطويل والنثر والرجز والسجع، ولهم المعلقات، وقد كانت محافلهم تقام لمعرفة ما استجد من أفانين القول، فكيف يعجزون عن الإتيان بمثل أقصر سور القرآن بمثل سطر واحد لا تتجاوز كلماته العشرة، فإن ثبت عجزهم فليس ذاك إلا أنَّ صارفاً صرفهم عن الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه.

ولهذا نجد مما تقدم من أقوال القائلين بالصرفة نتعرف على مذهبين لهم هما:

---

(١) ينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٥٣.

(٢) الفصل في الملل: ١/١٤٧، وينظر: المعجزة الكبرى: ص٨٠.

(٣) سر الفصاحة: ص٨٩، وينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦١.

١- النظّام ومن تبعه: ذهبوا إلى إنَّ العرب صُرِفوا عن المعارضة أصلاً و لم يتوجّهوا إليها، ولو توجّهوا لقدروا على الإتيان بمثل القرآن.

٢- الشريف المرتضى وابن سنان الخفاجي ومن تابعهما: ذهبوا إلى إنَّ الله سلب من العرب علومهم التي يُحتاج إليها في معارضة القرآن والإتيان بمثله، ولو توجّهوا لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن.

ولهذا نجد إن كلا القولين مردود بأدلة نقلية وعقلية[1].

فالأدلة النقلية هي:

١- أجمعت الأمة قبل ظهور القول بالصرفة على إنَّ إعجاز القرآن ذاتي[2] لاشتماله على ميزات جعلته يفضل كلام البشر. والقول بالصرفة يسلب عن القرآن إعجازه الذاتي، ويجعل المعجزة لهذا الصرف والمنع الذي حال بينهم وبين الإتيان بمثله.

٢- وصف الله سبحانه القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في مترلة لا تصل إليها المعجزات الأخرى، ووجوه القرآن بينهم كافياً عن كل معجزة مادية أخرى، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ

---

(١) ينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦١-٦٢، ومباحث في إعجاز القرآن: ص٦٣-٦٤، وإعجاز القرآن: ٩٩.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ٦٦/١، والإتقان: ١١٨/٢ وغيرهما.

(٣) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٠-٥١.

﴿بَلْ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[1]: أي: لو كان من شأن كتاب أن يظهر له أثر في مثل هذه الأشياء لكان هذا القرآن أولى من كل كتاب.

إذن فالقول بالصرفة يسلب هذه الصفات الذاتية عن القرآن الكريم ويجعل الإعجاز في المنع الذي حال بينهم وبين الإتيان بمثله[2].

أما **الأدلة العقلية** فتتمثل بما يأتي:

١- إن قول النظّام ومن تبعه: إنَّ الله صرفهم بصرف الدواعي عن الاهتمام بالمعارضة يكذب الواقع التاريخي، كيف يقال إنَّهم لم يهتموا بأمر القرآن والتوجه لمعارضته، وهم الذين أوفدوا عُتبة بن ربيعة ليفاوض الرسول الكريم على ترك سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، وله مقابل ذلك المال، والجاه والملك. وكيف يقال: إنَّ دواعيهم كانت مصروفة عن القرآن وهم الذين وجّهوا أشرافهم إلى عم النبي الكريم أبي طالب لكي يسلمهم محمدا يقتلوه ويعطوه بدله فتىً من قريش. فلهذا إنَّ ترك المعارضة بالحرف واللسان واللجوء إلى الضرب والطعن باللسان من قريش -ذؤابة العرب وأهل الحجا والنُّهى فيهم- لدليل على إحساسهم بالعجز أمام آيات الله تعالى. فكان العقل الراجح هو الذي يمنعهم من ارتكاب حماقات مثل حماقات مسيلمة عندما زعم أنَّه يأتي بمثل سور القرآن فأصبح أضحوكة الأجيال والأزمان. فتحدى القرآن الكريم العرب وأبطل عاداتهم وتقاليدهم الموروثة من الآباء والأجداد، وطلب منهم إن أرادوا البصيرة لأنفسهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن فقال لهم في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٩٧.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

٢- أما قول المرتضى ومن شايعه: إنَّ الله سلب من العرب العلوم التي يحتاجون في معارضة القرآن، فنقول: إنَّ الذين ادعوا أن إعجاز القرآن كان بسلب العلوم، يثبتون للعرب قدرة هم لم يدعوها لأنفسهم، بل جاء على لسان أهل البيان منهم ما ظهر الحق عليه، وإن كان القرآن غير معجز بشيء ذاتي فيه، وإنَّما لم يعارضه العرب لصرف دواعيهم عن المعارضة أو لسلب العلوم منهم، فهل أحس النظّام والمرتضى بما وصفوا العرب به من صرف وسلب؟ فلماذا لم يأتيا بمعارضته للقرآن.

إننا نقول: إن تحدّي القرآن وإثبات العجز للناس ليس مقتصراً على عهد النبوة فقط. بل هذا التحدّي قائم، وهذا العجز من البشر ثابت إلى قيام الساعة.

إنَّ استعظام العرب لفصاحة القرآن وبلاغته وتعجبهم من ذلك دليل على بطلان الصرفة، فلو كانوا مصروفين عن المعارضة بنوع الصرف لكان تعجبهم للصرف لا للبيان المعجز. ولو كان هنالك سلب علومهم لكان الفرق بين كلامهم بعد التحدّي وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدّي وبين القرآن، ولما لم يكن كذلك بطل القول بالصرفة[2].



(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) ينظر: الفوائد المشوق: ص٢٥٢.

المبحث الثاني

دور تأليف الرسائل في إعجاز القرآن

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: رسالة الرُّماني (ت: ٣٨٤هـ) ومنهجه في الإعجاز القرآني

لعل أول رسالة خاصة بإعجاز القرآن وصلتنا من أحد متكلمي المعتزلة وأدبائهم هي رسالة «النُّكت في إعجاز القرآن» وهي أولى المصنفات التي وصلتنا كاملة في هذا الباب، وهي أيضاً: «أول دراسة فنية ذات وحدة متماسكة فتحت الباب بعد ذلك لدراسات أوسع وأشمل وأعمق»[1].

والرُّمّاني: هو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني، نسبه إلى الرمان وبيعه أو إلى قصر الرمان، وهو قصر بواسط في العراق. ولد سنة ست وتسعين ومائتين (٢٩٦هـ) من الهجرة بمدينة سامراء أو ببغداد. أخذ اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل أبي بكر السراج، والزجاج، وابن الإخشيد المعتزلي. كان محباً للعلم واسع الإطلاع متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو. وبرع في علوم القرآن والتفسير وألّف فيها. وكان إمام من أئمة المعتزلة، لم تقتصر إمامته على نوع خاص من أنواع المعرفة، بل كان أحوذياً جمع إلى العلوم العقلية كثيراً من العلوم النقلية. توفي سنة (٣٨٤هـ).

أما كتابه (النكت في إعجاز القرآن) فقد وضعه نتيجة لسؤال وُجّه للرماني، والذي أوضحه في مقدمة كتابه هذا حيث يقول: «سألت وفّقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في

---

(١) بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: ١١٢، وينظر: النكت في إعجاز القرآن: المقدمة.

بلوغ محبتك والله الموفق للصواب بمنّه ورحمته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

وقد قسّم المصنف رسالته هذه إلى مقدمة وأحد عشر باباً: فالمقدمة اختصرها غاية الاختصار وسرد فيها سبعة أوجه للإعجاز منها البلاغة التي خصها بعشرة أبواب من الرسالة وقد أطنب في الحديث عنها حيث استوعبت أكثر صفحات الرسالة، وأما أوجه الإعجاز الستة الباقية كان حديثه عنها مقتضباً موجزاً. فرسالته تقع في نحو أربعين صفحة، أخذت البلاغة منها نحو خمس وثلاثين، بينما لم تأخذ الوجوه الأخرى إلا أربع صفحات فقط[2]. وقد كان للمباحث البلاغية أيضاً: «أكبر الأثر في تاريخ البحوث البلاغية على مرّ الأزمان، كما كانت مصدراً يستقي منه كل العلماء الذين أتوا بعده، وعُنُوا بالبلاغة العربية عامّة وبلاغات القرآن خاصة»[3].

وقد قسّم البلاغة إلى ثلاث طبقات:

١- **أعلى طبقة**: وهي بلاغة القرآن المعجزة وهي خاصة به، لا يصلها كلام البشر مهما ارتقوا في أساليب البلاغة والبيان.

٢- **أوسط طبقة**: وهي ممكنة للناس، وهي كلام البلغاء والفصحاء.

٣- **أدنى طبقة**: وهي كلام عامة الناس.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن: المقدمة، وينظر: معترك الأقران: ١/١٧٦، ومباحث في إعجاز القرآن: ص٤٩-٥٠، وإعجاز القرآن: ٨٥.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٥١، وينظر: معترك الأقران: ١/١٧٦، وإعجاز القرآن: ٤٣.

(٣) المباحث البلاغية: ١١٣-١١٤، وفكرة تاريخ إعجاز القرآن: ٥٣.

فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس[1]. فالبلاغة تعني: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ... فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أنَّ ذلك معجز للكافة[2].

❑ وجوه الإعجاز عند الرُّمّاني:

ذكر الرماني في رسالته الموجزة سبعة أوجه للإعجاز هي[3]:

١- **الوجه الأول:** ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة[4] وتعني: أن العرب تركوا معارضة القرآن مع إنَّ دواعيهم كانت متوافرة، وكانت حاجتهم لهذه المعارضة شديدة قوية. وفي تقديري -لا يصح- أن يُجعل العجز عن المعارضة وجهاً من وجوه الإعجاز؛ لِما فيه من الدَّوْر[5]؛ ولأنَّ العجز دليل الإعجاز، وليس هو الإعجاز.

٢- **الوجه الثاني:** التحدي للكافة، ليس وجهاً من أوجه الإعجاز بقدر ما هو داعية إلى الإعجاز؛ إذ إنَّ التحدي هو السبيل الذي أغرى الله به البشر كافة؛ لأن يعارضوا القرآن فانقطعوا و لم يستطيعوا.

---

(١) النكت: ٧٥، وينظر: دراسات في الإعجاز: ٤٣، وإعجاز القرآن: ٨٧.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٦، والإعجاز في نص الخطاب: ٤٠٩.

(٣) الرسالة: ٧٥، وينظر: دراسات في الإعجاز: ص٤١.

(٤) المصدر السابق: ١٠٩.

(٥) الدَّور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه... كما يتوقف (أ) على (ب)، و(ب) على (ج) و(ج) على (أ)، التعريفات: ١٤٠.

٣- **الوجه الثالث:** الصَّرفة: تعني عند الرمانيّ: صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في إنَّ القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن الجادة كخروج سائر المعجزات التي دلّت على النبوة، ولهذا عرف الرمّاني (صرف): بأنَّها الصرفة للهمم عن المعارضة، وأظهر أنَّ هذا القول اعتمد عليه بعض أهل العلم. ولعله قصد (المعتزلة) الذين تزعموا ذلك القول، ولذلك نجد (الرماني) قد قال بالصرفة وعدّها وجهاً من الوجوه التي لا تقدح في بلاغة القرآن، وحسن تأليفه، فقد ذكر أنَّ القرآن في أعلى مراتب البيان، ولا يدانيه شيء من كلام فصحاء العرب، وبلاغييهم، فهو مقتنع بإعجاز البلاغة القرآنية، التي لولاها لجاءوا بمثله[1].

٤- **الوجه الرابع:** البلاغة، فقد قسمها الرماني إلى عشرة أقسام هي:

١. **الإيجاز:** (وهو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقلّ منها، وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها»[3] وللإيجاز أقسام.

٢. **التشبيه:** هو «عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم»[4].

---

(١) ينظر: حوار مع الرماني: ١١١-١١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) النكت: ٧٦-٨٠، وينظر: جواهر البلاغة: ٢٢٢ وما بعدها.

(٤) المصدر السابق: ٨٠-٨٥، وينظر: المصدر السابق: ٢٤٧.

٣. **الاستعارة:** وهي «استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليس إلا تشبيهاً مختصراً ولكنها أبلغ منه»[1].

٤. **التلاؤم:** عدم تنافر الحروف. والتنافر وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج[2].

٥. **الفواصل:** الفاصلة: «كلمة آخر الآية»[3]، «وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر -جَلَّ كتاب الله تعالى- واحدتها فاصلة»[4].

٦. **التجانس ويعني بها المشاكلة:** هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته نحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: أهملهم، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته»[5]. وازدواج: هو «تجانس اللفظين المجاورين نحو: من جدّ وجد»[6].

٧. **التصريف:** يعني به تصريف المعنى من المعاني المختلفة كتصريف الملك في معاني الصفات فصُرف في معنى مالك، وملك، وذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التمليك[7].

---

(١) المصدر السابق: ٨٥-٩٤، وينظر: المصدر السابق: ٣٠٣-٣٠٤.

(٢) المصدر السابق: ٩٤-٩٧، وينظر: المصدر السابق: ٨.

(٣) البرهان: ١/٥٣.

(٤) لسان العرب: مادة (ف ص ل)، وينظر: النكت: ٩٧-٩٩.

(٥) جواهر البلاغة: ٣٧٥.

(٦) المصدر السابق: ٤٠٤.

(٧) ينظر: النكت: ١٠١-١٠٢.

٨. **التضمين**: «وتضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة وكل آية فلم تخل من تضمين لم يذكر باسم أو صفة، فمن ذلك قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قد تضمن التعليم الاستفتاح الأمور على التبرك به، والتعظيم لله بذكره، وأنه أدب من آداب الدين، وشعار للمسلمين...»[١].

٩. **البيان**: هي «أن يدّعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستبعداً أو مستحيلاً» ولها أنواع[٢].

١٠. **البيان**: يعني به علم البيان المعروف الذي هو (أصول وقواعد يعرف بها إيراد الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى»[٣].

٥- **الوجه الخامس**: الإخبار عن الغيوب: سبق أن ذكر أنَّ الإعجاز فيها إعجاز جزئي لا كلّي، بمعنى أنَّه ليس في كل آيات القرآن العظيم[٤].

٦- **الوجه السادس**: نقص العادة: يعني به الرمّاني أنَّ القرآن قد أتى نظمه على طريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل منزلة[٥].

٧- **الوجه السابع**: قياس القرآن بكل معجزة، ويوضح مراده بقوله: «وأما قياسه بكل معجزة فإنَّه يظهر إعجازه من هذه الجهة؛ إذ كان سبيل فلق

---

(١) النكت: ١٠٢-١٠٤ وهو غير التضمين المشهور في علم البلاغة وهو أن يضمّن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير. ينظر: جواهر البلاغة: ٤١٦.

(٢) المصدر السابق: ٤١٦، وينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث: ١٩٧.

(٣) جواهر البلاغة: ٢٤٤ وما بعدها من أبحاث التشبيه والمجاز والكناية.

(٤) ينظر: معترك الأقران: ١/١٨٢ وراجع ص١٣٤ من نفس الكتاب.

(٥) النكت في إعجاز القرآن: ١١٠.

البحر وقلب العصا حيّة، وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز، إذا خرج عن العادة وقعد الخلق منه عن المعارضة»[1] وقد فُسر كلامه هذا بأنَّه «مادام الناس قد عجزوا عن أن يأتوا بما أتى موسى من قلب العصا حيّة وفلق البحر فإنَّهم قد عجزوا أيضاً عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ بعد أن تُحدوا إليه، فكان السبيل واحداً بالنسبة لما جاء به موسى وما جاء به محمد ﷺ وهو العجز؛ لأنَّ كليهما قد أتى بما هو خارج عن العادة»[2].

كانت تلك أوجه الإعجاز التي أتى بها الرمّاني في رسالته، ويمكن اختصارها في ثلاثة أوجه قيل بأنَّها من أوجه الإعجاز أما ما عداها فلا، وهذه الأوجه هي:

١- الإعجاز البلاغي والنظميّ.

٢- الإعجاز بأخبار الغيب.

٣- الإعجاز بـــ(الصَّرفة).

ويمكن أن نلاحظ في رأي الرمان بالإعجاز اتجاهاً جديداً وهو: جمعه لكثير من النظريات التي قيلت قبله. فهو لا يأخذ بناحية وينقد الأخرى أو يرفضها. بل يقبل كل ما قيل في أوجه الإعجاز[3].

---

(١) المصدر السابق: ١١١.

(٢) تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية: ٢٧١-٢٧٢، وينظر: الإعجاز البلاغي: ٨٦.

(٣) ينظر: نظرات في الإعجاز: ٨٤.

المطلب الثاني: رسالة الخطابي (ت: ٣٨٨هـ) ومنهجه في الإعجاز القرآني

الإمام الخطابي: هو أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هــ. ويُعدّ الخطابي من علماء أهل السنّة والجماعة البارزين، وهو الأديب اللغوي المحدّث، عُرف بمؤلفاته الجليلة مثل (معالم السنن) في شرح سنن أبي داود، و(أعلام السنن) في شرح البخاري، و(غريب الحديث) وكتابه (بيان إعجاز القرآن) ركّز فيه على الإعجاز البياني اللغوي البلاغي في القرآن، وتعرّض فيه لآراء العلماء الذين سبقوه بالحديث عن إعجاز القرآن وبلاغته، وهذا يدل على أنه استفاد من الذين ألّفوا قبله، وطريقته شبيهة بطريقة الرمّاني في عرض الكلام البليغ[1].

ويُعدّ الخطابي أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن «الإعجاز» بحثاً علمياً منظماً[2]. ويرى أنَّ قضية إعجاز القرآن قديمة حديثة، قديمة ببداية التحدث عن كنوز القرآن وتبيان معانيه ومقاصده، وحديثة في أنّها من القضايا التي تشغل العلماء والأدباء في عصره في القرن الرابع الهجري.

ونجد إنَّ الخطابي بدأ في رسالته بإثبات عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لأنَّ القرآن تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله، وهم أهل البلاغة والفصاحة، وأصحاب القصائد، ولكنهم تركوا كل ذلك، وعمدوا إلى ما هو أشق وأصعب، وهو المنازلة والمحاربة، فقد تركوا رصف الحروف إلى مقارعة السيوف، وليس ذلك إلا لعجزهم، فمثلهم كمثل من كان شديد الظمأ والماء بجانبه، ولكنه هلك من شدة العطش لحكمنا أنه عاجز عن شربه

(١) ينظر: الأعلام: ٣٤٩/٢، والإعجاز في نص الخطاب: ٤٠٩.

(٢) ينظر: نظرات في الإعجاز: ٨٤، وينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٦٧.

غير قادر عليه، وهذا بيّن واضح لا يشكل على عاقل[1] وأن الرسول الكريم قد تحدّى العرب قاطبةً، مظهراً لهم النكير مسفهاً آراءهم، ومع هذا، فلم تكن فترة تحدي الرسول للعرب قاطبةً قصيرة، بل طالت إلى مدة تجاوزت العشرين سنة، وبهذا فإنَّ التحدي ظل قائماً فترة طويلة[2] فكانت هذه هي القضية الأولى التي عرض لها الخطابي.

أما القضية الثانية التي عرضها الخطابي، فهي بيان وجه إعجاز القرآن.

❑ وجوه الإعجاز عند الخطابي:

لقد أشار الخطابي إلى الوجوه التي كانت مشتهرة في زمنه، وعلّق على كل بما يناسبه ويلاءمه[3]. ومن هذه الأوجه هي:

١- القول بالصرفة:

لقد عرض الخطابي لهذا القول، وناقش القائلين به، وهو قبل أن يحكم للصرفة أو عليها حاول أن يعرض فهم القائلين بها ولها، حيث شبّه عجز العرب عن القرآن بقوم قال لهم نبيهم: «لو كان الله بعث نبياً في زمان النبوات وجعل معجزته في تحريك يده أو مد رجله في وقت قعوده بين ظهراني قومه، ثم قيل له: ما آيتك؟ فقال: آيتي أن أحرك يدي أو أمد رجلي ولا يمكن أحداً أن يفعل مثل فعلي، والقوم أصحاء الأبدان، لا آفة بشيء من جوارحهم فحرّك يده أو مدّ رجله، فيراموا أن يفعلوا مثله فعله، فلم يقدروا عليه، كان ذلك آية دالة على صدقه، وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي، ولا إلى

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٤٦.

(٢) ينظر: دراسات في الإعجاز: ٨٩.

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٢.

فخامة منظره، وإنما تعتبر صحتها بأن تكون أمراً خارقاً عن مجاري العادات ناقضاً لها»[1] ثم بعد أن يعرض الخطابي مفهوم الصرفة، يبين رأيه فيها بعد أن يقدر أن القول بها وجه قريب، إلا إنه مع هذا يرفض القول بها، لأنَّ دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] فهذه الآية الكريمة تثبت أن القوم قد أرخى لهم العنان، ووسع عليهم في المعارضة، ومنحوا القدرة على التعاون فيما بينهم، فشتان بينهم وبين من سلبوا القدرة على الحركة في حال صحتهم وسلامتهم[3].

ونجد إنَّ المعنى الذي يفهمه الخطابي من هذه الآية غير المعنى الذي فهمه أنصار «الصرفة» والذي يبدو من هذه الآية أنَّ الله تعالى أشار إلى أمر طريقة التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد. والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلاءم هذه الصفة، فدلَّ على إنَّ المراد غيرها. مع إنَّ الصرفة في معناها العام، كما فهمها بعض المعتزلة لا يتنافى مع الواقع؛ إذ إنَّ أمر المحاولة من البشر للإتيان بمثل القرآن أمر فوق قدرتهم، ولذلك فإنَّ الله تعالى، تحدى العرب في أعز ما لديهم. ومع ذلك فإنَّ الله تعالى هو الذي صرف القوم ليتأكدوا من عدم مقدرتهم؛ لأنَّ قدرة الله تعالى، فوق قدرتهم[4].

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٢٣ (ضمن ثلاث رسائل)، وينظر: القول بالصرفة: ١٧٥، وأسلوب القرآن: ٣٢٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٣) إعجاز القرآن: ٤٦-٤٧.

(٤) ينظر: دراسات في الإعجاز: ٩١-٩٢.

٢- الإخبار بالغيب:

قال: إنَّ القرآن معجز بما فيه من أخبار الغيب، فإنه ليس عاماً في القرآن كله، لأنَّ أخبار الغيب إنما توجد في بعض سور القرآن الكريم، والقرآن حيث تحداهم، أن يأتوا بسورة من مثله سواء أكانت مشتملة على أنباء الغيب أم لم تكن، وعليه فإن هذا الوجه لا يصح أن يكون عاماً[1] وقد بدأ لبعض دارسي إعجاز القرآن، أنه معجز لما يتضمن من إخبار عن الكوائن في المستقبل الزمان، وأنباء عن مجرياتها في قابل الأيام، من ذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[2] وتحقق ما جاء في الآية. وأيضاً قوله تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[3].

وافق الخطابي في هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني، وذلك لأنَّ الأمر جاء من القرآن، ولكنه لم يرتضه وجهاً عاماً لإعجاز القرآن الكريم لأمرين هما:

١- لا يشجب أمر الإخبار على جميع سور القرآن الكريم، إذ بعض السور، لا خبر فيها عن مستقبل.

يوجد في بعض كتب الإخباريين والكهّان، الشيء الكثير من أمر الأخبار السابقة، وهذا يعني توافق القرآن مع كتب هؤلاء غير المسلمين في ناحية، وهذا يقلل من قمة الإعجاز القرآني. وهذا الفهم من الخطابي يدور في

---

(١) ثلاث رسائل: ص٢٣.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١-٤.

(٣) سور الفتح، الآية: ١٦.

ساحة الآية القرآني ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1] وهذا يعني عدم اعتبار الإخبار عن الغيب وجهاً كاملاً عن تبيان إعجاز القرآن[2].

٢- أن القرآن معجز ببلاغته:

عرض الخطابي لهذا الوجه من إنَّ البلاغة هي الوجه الكامل للإعجاز، وأصحاب هذا القول لم يحددوا معالم هذه البلاغة و لم يضعوا لها قواعد وضوابط بل اكتفوا بالقول: إننا حين نسمع القرآن نحس في أنفسنا أنَّ له بلاغة لا توجد في غيره، وكثير من الناس يتذوقون الكلام فيميزون بين البليغ والأبلغ. فلم يرتضي الخطابي هذا الرأي بهذا العموم، لأنَّك إذا سألتهم ما تفسير هذا الوجه البلاغي قالوا لك: إنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده. وهذا الجواب يكون في واقعة النفي عن سماعه في القلب المستمع، وهذا في رأي الخطابي غير كاف؛ لأنَّ يقف وجهاً موضوعياً اعتماداً على أن سبب هذا الوجه البلاغي يظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة[3].

ويرى الخطابي أنَّ ما للقرآن من أثر وبهجة ورونق، يجدها السامع في حسه، وتهش لها نفسه، فيكون له من الصنيع فيها ما لا يوجد لغيره من الكلام، كان لابد له من سبب يبحث عنه الباحثون، وامتاز بها القرآن عن غيره، يقول الخطابي بأنَّه استقرى جميع الأوصاف والأسباب الخارجة عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٢) ينظر: دراسات في الإعجاز: ٩٢-٩٣.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٤٨، ودراسات في الإعجاز: ٩٣.

القرآن، فلم يجد سبباً صالحاً من أجله تبوأ القرآن هذه المترلة العالية، لذا كان السبب كامناً في القرآن نفسه مستمداً منه، وهو يرجع إلى أجناس الكلام[1] فجعل أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاها في البلاغة متباينة غير متساوية، فهي لا تخرج عن واحد من ثلاثة:

١. **البليغ الرصين الجزل**: وهذا ينفع في أسلوب الترهيب والتهديد والتقريع.

٢. **الفصيح القريب السهل**: وهذا ينفع في أسلوب الترغيب والتأنيس.

٣. **الجائز الطلق الرسل**: وهو وسط بين القسمين السابقين.

فالمخاطبون ليسوا سواء، فمنهم الحضري الذي هذّب لسانه، ومنهم سكان البادية الذين أكسبتهم البداوة قوة ورصانة. وإذا كان المخاطبون كذلك، فإنَّ الموضوعات التي يقصد إليها المتكلم ليست سواء كذلك، فالحديث عن الوصف يختلف عن الهجاء، وأسلوب التقريع والتبكيت يختلف عن أسلوب التحبب والمؤانسة، وعلى هذا فأسلوب التقريع لابد له من كلمات قوية، كأنما هي الرعد القاصف، كلمات تقرع القلوب، وترتجف لها النفوس.

أما أسلوب التأنيس، فلابد له من الكلمات الرفيقة التي تتدفق عذوبة وحيوية وهناك مرتبة وسط بين هاتين[2]. ويقول الخطابي: «إنَّ بلاغة القرآن اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة»، وهذا صحيح فأنت حينما تقرأ في كتاب الله وهو يحدثك عن يوم القيامة، وعما يكون للمكذبين، فإنك تجد الكلمات الجزلة القوية، مثل سورة الحاقة، وحينما تقرأ ما أعد للمؤمنين تجد الكلمات السلسة العذبة، مثل سورة الإنسان، وفيما بينهما تجد الوسط. وربما تجد

---

(١) ينظر: ثلاث رسائل: ٢٦، وينظر: إعجاز القرآن: ٨٩-٩٠.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٥٠، ودراسات في الإعجاز: ٩٣.

الآيات الأخرى قد اشتملت على الأجناس الثلاثة معاً، وليس بعض هذه الثلاثة أبلغ من بعض، بل إنَّ كل واحد في مكان وسياقه هو آية الحسن، هذا ما يُفهم من كلام الخطابي[1].

ويبين الخطابي الأصل الذي من أجله تعذّر على العرب أن يأتوا بمثل القرآن وهو:

أولاً: أنَّهم لم يحيطوا بجميع ألفاظ اللغة، مفردات وتراكيب.

ثانياً: فإنَّ أفهامهم لا تدرك جميع المعاني التي تحمل عليها تلك الألفاظ.

ثالثاً: ليس لهم معرفة تامة بجميع أنواع النظم، وحديث الخطابي عن النظم القرآني يختلف بعض الاختلاف عن حديث الجاحظ وابن قتيبة والرماني، بينما اهتم السابقون ببيان وجوه المجاز والاستعارات والتشبيهات، واستخدام الألفاظ وقارنوا ذلك بما ورد عن العرب في أشعارهم وخطبهم، لهذا نجد الخطابي يضيف بعداً جديداً إلى مفهوم النظم[2] حيث يقول: «وإنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنَّها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها»[3].

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٤، وينظر: إعجاز القرآن: ٥١.

(٢) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٤، وينظر: مباحث في إعجاز: ٧٠-٧١.

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٧، وينظر: إعجاز القرآن: ٩٠.

وبهذا يكون الخطابي من أوائل الذين أشاروا وألمحوا إلى قضية النظم بمعناها الدقيق، وهو يرد بذلك على أنصار اللفظ، وأنصار المعنى معاً.

رابعاً: ويبين الخطابي أنَّ عمود البلاغة وأساسها أن يوضع للمعنى اللفظ الخاص به، الذي يدل عليه دلالة تامة، لذا وجدناه يفرّق بين الكلمات التي يظن كثير من الناس أنها سواء كالحمد والشكر والعلم والمعرفة.

خامساً: يرد الخطابي بعض الشبهات ويجيب عن بعض الاعتراضات التي وجّهت إلى ألفاظ القرآن ونظمه، ومن هذه الاعترافات أن ألفاظ القرآن ليست أفصح الألفاظ، فإن هناك ألفاظاً ردها أهل المعرفة باللغة، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[1] فكلمة (أكل) كما يقولون ليست فصيحة والأفصح أن يقال: (افترس)؛ لأنَّ الافتراس خاص بالسباع والأكل عام فيها وفي غيرها.

ويرد الخطابي: فيبين أن (الفرس) أصله (دق العنق)، ومعناه (القتل) فحسب، أما الأكل فهو الإتيان على جميع أجزاء الفريسة وأعضائها، ولو إنَّ إخوة يوسف قالوا لأبيهم: افترسه، لطالبهم ببقية أجزائه[2].

سادساً: يتوسع بذكر المعارضات، ويذكر أن ما روي من معارضات للقرآن الكريم كما كان من مسيلمة الكذاب، لا تصلح، لأنَّ المعارضة شروطها وأسسها كما يعرفها علماء اللغة.

سابعاً: أشار الخطابي إلى وجه جديد لم يسبق لمن قبله أن ذكره ألا وهو: الإعجاز التأثيري، وأطلق عليه بعضهم بالإعجاز الروحي أو الإعجاز

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٥١.

النفسي[1] حيث يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنَّك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال أخرى ما يخلص من القرآن إليه، تستشربه النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة، وقد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب...»[2].

وهذا الكلام للخطابي بمثابة الشرح والتفصيل لما جعله الوصفين المتميزين للقرآن الكريم وهما (الفخامة والعذوبة). فنتيجة الفخامة أن تشعر التالي للقرآن بالروعة والمهابة ويدخل قلبه الوجيب والقلق من قوارعه وزواجره ووعيده وإنذاره. ونتيجة العذوبة هي تلك الحلاوة واللذة التي يلتمسها القارئ من خلال آياته الكريمة.

ولهذا نجد إنَّ الخطابي قد عمّق مفهوم النظم القرآني بإضافات جديدة ومعاني لطيفة سديدة لم يذكرها غيره من علماء الإعجاز وان دلّت على شيء فانَّها تدلُّ على عمق في الدراسة والتفكير والبحث. مع مِنّة من الله حباها إليه دون غيره.



(١) ينظر: الإعجاز في القرآن: ٤٨، ونظرات في الإعجاز: ٨٥، وإعجاز القرآن: ٥٢.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٦٤-٦٥.

المبحث الثالث

دور تأليف الكتب

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إعجاز القرآن للباقلاني

الإمام الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)[(١)]:

هو أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني، ولد بالبصرة وتلقى العلم من أعلامها ورحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها وأقام بها حتى قضى نحبه في شوال سنة (٤٠٣هـ) ومن أهم الأعمال التي قام بها في حياته التدريس والتأليف، ومن أهم مؤلفاته كتابه المشهور في «إعجاز القرآن».

والباقلاني إمام من أئمة المتكلمين، وشيخ من شيوخ الأشاعرة، وقد جمع إلى هذا كثيراً من جوانب المعرفة، وكتابه يدل بحق على علو كعب الرجل، وسعة إطلاعه، فضلاً عن إنَّه إمام من أئمة علم الكلام، فهو كذلك إمام من أئمة اللغة أدباً وشعراً وبلاغة ونقداً.

وقد وجد الباقلاني الملاحدة في عصره يعدلون القرآن ببعض الأشعار، ويوازنون بينه وبين غيره من الكلام، حتى إنَّهم قد فضّلوا الشعر عليه. فكان لزاماً على مثل هذا العالم الأديب أن يدفع تلك الأباطيل عن كتاب الله في الوقت الذي رأى فيه غيره من أهل العلم قد قصّر في الدفاع عنه. ولكنه يعود فيلتمس العذر لتقصير البعض، لأنَّ تحديد وجه الإعجاز «مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار دقيقة المسلك لطيفة المأخذ»[(٢)].

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٤/٢٦٩.

(٢) إعجاز القرآن: ٥.

فكان من الطبيعي قبل أن يتحدث الباقلاني عن فكرة الإعجاز، وعن الوجوه المعجزة أن يتعرض لبعض المسائل التمهيدية، كبيان شرف القرآن الكريم ووجوب العناية من جانب المسلمين، وبيان أن هذا القرآن هو المعجزة الدالة على صدق محمد ﷺ. وبيّن أن الأصل في الدلالة على إنَّ القرآن معجزة هو تحقيق النص القرآني، والعلم يكون القرآن المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي ﷺ «والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به»(١).

❑ أشهر مؤلفاته:

كتب الباقلاني الكتب الكثيرة في بيان إعجاز القرآن دافع فيها عن حرمة الدين، ذاباً عن الكتاب والسنّة، راداً كل ما يجده مما يلقيه خصوم الإسلام من شبهات ومما يوحون به من شكوك، ومما ينفثونه من أباطيل ومن كتبه ذات الشأن والقيمة العليا هو(٢):

١- كتاب «إعجاز القرآن»:

يعدُّ كتاب (إعجاز القرآن) من أوسع الكتب التي أُلّفت لبيان إعجاز القرآن. وقصد إلى البحث مواجهته، وذكر كل قول يحتمل أو يرد على الإعجاز. وأكثر من الفصول التي تعرّض فيها لآراء السابقين ومناقشتها والرد عليها -إنْ خالف رأيه آرائهم- وذكر أهمية البحث في إعجاز القرآن؛ لأنَّ نبوة محمد ﷺ مبنية على دلالة معجزة القرآن(٣).

---

(١) إعجاز القرآن: ١٦، وينظر: الإعجاز في النص: ٤١، والإعجاز البياني واللغوي: ٣٢/١.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٥٢.

(٣) ينظر: الظاهرة القرآنية: ١١.

وقد تضمن كتاب (إعجاز القرآن) أهم أفكاره عن فكرة الإعجاز في النص القرآني، وهي كالتالي:

أ. عدّ القرآن الكريم المعجزة للنبي ﷺ عبر الأجيال إلى يوم القيامة، وقال: إن تحدي الإنس والجن بهذا القرآن قائم إلى يوم الدين والحساب.

ب. وقال: إنَّ اقل المعجز في القرآن هو أقصر سورة منه.

ج. إنَّ القرآن معجز بأسلوبه وبلاغته، وأنَّه تحدى العرب فعجزوا عن معارضته[1].

ولهذا نجد إنَّه لم يشتهر كتاب في الإعجاز ككتاب إعجاز القرآن، فلقد ظل على مدى القرون السالفة المرجع الوحيد لهذه المادة، بل إنَّ كثيراً من المختصين بالدراسات القرآنية لم يعرفوا غير هذا الكتاب. ولقد اشتمل كتاب (إعجاز القرآن) على موضوعات متعددة، بعضها جوهري في قضية الإعجاز وذلك لوجوه إعجاز القرآن، وكونه معجزة النبي محمد ﷺ والتحدي به، وبعضها بعيد عن قضية الإعجاز لا يتصل بها إلا من سبب بعيد كحديثه عن نقد الشعر وتحليله لكثير من القصائد الشعرية، وموازنته بين أسلوب القرآن، وبعض خطب النبي الكريم وللصحابة ولغيرهم -رضي الله تعالى عنهم-. وبعضها وسط بين هذا وذاك يتصل بموضوع الإعجاز، وذلك كحديثه عن السجع ونفيه من كتاب الله تعالى، وكذلك حديثه عن الإعجاز نجد فيه تارة يكون ذا طابع أدبي بياني، وتارة أخرى ذا صبغة كلامية تتصل بنظريات المتكلمين وأساليبهم[2].

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ١٩٢.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٥٣.

٢- كتاب «التمهيد»:

وقد ألّفه لابن عضد الدولة. وهو من أهم الكتب الكلامية التي تعلّق بها أهل السنّة والجماعة، لاشتماله على أدلة المذهب في قضايا علم الكلام والعقائد وأدلة الجدل التي تعضد مذهبهم، وقد طبع الكتاب عام ١٣٦٦هـ.

٣- كتاب «هداية المسترشدين»، «والمقنع في معرفة أصول الدين».

٤- كتاب «الفرق بين معجزة النبيين وكرامات الصالحين»، «مناقب الأئمة».

وغيرها من الكتب المفيدة إلا أنها ناقصة الأجزاء ولم يطبع منها شيء للآن. وأغلبها كتب تتعلق بأصول الدين والعقائد والذب عن القرآن الكريم وعن مذهب أهل السنّة والجماعة(١).

❑ وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني:

تتلخص فكرة الإعجاز عند الباقلاني في وجوه ثلاثة نقلها عن أصحابه من الأشاعرة ومن وافقهم وهذه الوجوه هي:

الوجه الأول:

ما تضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه. وقد ساق لذلك من الآيات والأدلة ما يؤيد هذا الوجه، وكان الباقلاني متبعاً في هذا الوجه لما سبق أن قاله الأقدمون، وكان الرد عليه يتلخص في:

إنَّ القرآن أول ما نزل قد بهر وسحر، وأعجز، مع إنَّه لم يكن يحمل في آياته الأولى مثل هذه الأخبار عن الغيوب، ثم إنَّ التحدي للإتيان ولو بأقصر

(١) ينظر: مناهج في تحليل النص القرآني: ٤٧.

سور، ينفي في مضمونه أن يكون الإخبار عن الغيوب موضع اعتبار في الإعجاز. فكان الأولى بالباقلاني وغيره أن يركزوا جهدهم فيما هو أدق وأدخل في باب الإعجاز، ولعل ما يحمد عليه الباقلاني أنه لم يقل بهذا الوجه وحده بل قاله ضمن وجوه أخرى دالة على الإعجاز[1].

ومن الآيات التي ساقها الباقلاني في هذا الوجه:

١- ما وعد الله تعالى نبيه ﷺ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[2] ففعل ذلك.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرّفهم ما وعدهم الله، من إظهار دينه، ليثقوا بالنصر ويستيقنوا بالنجح. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك في أيامه.

٢- قال الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾[3] فصدق فيه.

٣- وقال تعالى في أهل بدر: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ ﴾[4] ووفى لهم بها وعده.

وغير هذه الآيات التي يتضمنها القرآن، من الإخبار عن الغيوب، كثيرة جداً[5].

---

(١) ينظر: معترك الأقران: ١/١٨٦، والنقد الأدبي: ١/٩٨، ونظرات في الإعجاز: ٨٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٠.

الوجه الثاني:

مما فيه من أنباء الأولين وقصصهم، ومعرفة كتب المتقدمين، وأقاصيصهم، وأنبائهم وسِيَرهم، وأنَّه كان معلوماً من حال النبي ﷺ أنَّه كان أُمياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ. وكذلك كان معروفاً أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين[1]، وأنبائهم وسِيَرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث، من عظيمات الأمور ومهمات السِيَر، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه فذكر قصة آدم عليه السلام والتي هي معجزة له ﷺ من ابتداء خلقه وما واجهه من أحداث إلى توبته، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه، وكذلك ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن، والملوك والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء -صلوات الله عليهم-[2] ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وجملة الأخبار، ولا على ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنَّه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي[3] ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[4] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾[5].

وهذا الوجه لا يعتبر نصاً في الإعجاز، وإنما هو دليل على صدق نبوة

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن وترجمته: ٥٧.

(٢) ينظر: معترك الأقران: ١٨٦/١.

(٣) ينظر: النقد الأدبي: ٩٨، ونظرات في الإعجاز: ٨٦.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٥.

محمد ﷺ وأعظم تأييد من الله لرسوله الأمي أن يمدّه بهذا القرآن العظيم حتى يخرس ألسنة المتقولين.

ونلاحظ أنَّ الوجه الأول والثاني هما وجه واحد يدخل تحت: الإخبار عن الغيوب.

الوجه الثالث:

أنَّه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُحكم عجز الخلق عنه[1]. فهو الوجه الذي قامت عليه دراسة الباقلاني في محاولته للوقوف على سر الإعجاز الكامن في القرآن؛ لذا اتجهت همّته إلى تفصيل هذا الوجه وتناول موضوع الإعجاز في دراسة عملية مستفيضة. لذلك كانت فكرة النظم عند الباقلاني تعتمد أساساً على الخصوصية التي ينفرد بها الأسلوب القرآني في نظمه ويتميز بها عن غيره، ومن ثم يوضح أن الذي يشتمل عليه بديع النظم المتضمن للإعجاز وجوه:

١- منها ما يرجع إلى الجملة (جملة القرآن)، وذلك أنَّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب خاص به، يتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد[2]. ولقد حصر الباقلاني فنون القول عند العرب في هذه الأنواع الخمسة: (١) الشعر (٢) الكلام الموزون غير المقفى (٣) الكلام المعدل المسجع (٤) الكلام المعدل الموزون غير المسجع (٥) الكلام المرسل.

ويشير الباقلاني إلى دور الصنعة في الأنواع الأربعة الأولى، أما النوع الرابع وهو المرسل من الكلام فهو الذي لا يتعمل ولا يتصنع له... ومع ذلك فأسلوب

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٢١، والانتصار لنقل القرآن: ٢٠-٢١، وإعجاز القرآن وترجمته: ٨٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٥.

القرآن يتميز في تصرفه عن هذه الوجوه جميعاً. ولهذا نجد القرآن يخرج عن أصناف كلام البشر وأساليب خطابهم وأنَّه خارج عن العادة وأنَّه معجز. وهذه خصوصية، ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه[1]. وعليه نجد مخالفة نظم القرآن لجميع كلام العرب؛ فليس هو شعراً ولا نثراً مسجوعاً أو غير مسجوع[2] ولهذا كانت النتائج التي توصل إليه الباقلاني والرماني نتائج واحدة فكل منهما ينكر السجع في كتاب الله، لأنَّ السجع مما عرفته العرب، لذا عقد الباقلاني فصلاً لنفي السجع، وآخر لنفي الشعر عن كتاب الله تعالى[3].

٢- ومن وجوه النظم القرآني: أنَّه ليس للعرب كلام مشتمل على مثل هذه الفصاحة والبراعة، والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا القدر، وإنَّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم من قصائد محصورة[4]، وهذا المعنى يرجع إلى القضية البلاغية في القرآن من حيث أسلوبه وألفاظه وكونه نسقاً واحداً. فالباقلاني يرى أن القرآن الكريم نسق واحد في البلاغة، ليس بين آياته تفاوت واختلاف، وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء، فالقرآن على طوله متساوٍ في الفصاحة والبلاغة، وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[5] وهذا

---

(١) ينظر: اعجاز القرآن: ٣٤، وينظر: النقد الأدبي: ٩٩.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٥، ومعترك الأقران: ١/١٨٧.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٢، وإعجاز القرآن: ٥٥.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٢، والنقد الأدبي: ٩٩.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

ما لا نجده في كلام الفصحاء والبلغاء، فإذا أخذنا مثلاً ديوان شعر لأكثر الشعراء إتقاناً، سنجد قصائده متفاوتة من حيث بلاغتها، فقد يجود الشاعر في قصيدتين أو ثلاث، وكذلك إذا أخذنا القصيدة الواحدة فلن نجد أبياتها سواء، أما القرآن الكريم فأوله وآخره سواء في بديع النظم وعلو الأسلوب[1].

ونجد إن الله ﷻ أخبر في كثير من الآيات القرآنية الكريمة أنَّ كلام الآدميين إنَّ امتد، وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلال[2].

٣- نظم القرآن لا يتفاوت ولا يتباين: ومعنى ذلك أنَّ عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما ينصرف إليه من الوجوه التي ينصرف فيها، من ذكر قصص، ومواعظ، وحكم، وإنذار، ووعد، ووعيد، وتبشير، وتخويف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وغير ذلك[3]. وأنَّ موضوعات القرآن جميعها على ما بينها من اختلاف لا نستطيع القول بأنَّ بعضها أفصح من بعض، فكما إنَّ آيات القرآن لا تتفاوت فكذلك موضوعاته، فالشاعر لا يستطيع أن يجود في موضوعات متعددة، فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز الهجو دون المدح، وقد يجود أحدهم إذا خاف ورهب، وآخر إذا انتشى وطرب، وثالث إذا أعطي ورغب، ولهذا قالوا: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وأجناس الكلام.

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني: ٢٩١.

(٢) ينظر: مباحث في إعجاز: ٧٩.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٣، والانتصار لنقل القرآن: ٢٣.

ونجد إنَّ القرآن الكريم على الرغم من كثرة موضوعاته فهي في رفعة شأنها سواء من جهة، ومن جهةٍ أخرى رغم الأحوال المتعددة التي كان عليه الرسول الكريم، هو يتزل عليه الوحي، فإنَّ ذلك لم يغير من أسلوب القرآن شيئاً. ولهذا فإنَّ هذا الوجه الثالث يختلف عن سابقه. فقوامه أنَّ هذا القرآن الكريم رغم تعدد موضوعاته إلا إنَّه في أعلى درجات البلاغة(١). ومتى تأمّل الإنسان شعر الشاعر البليغ رأى التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي ينصرف فيها، فيأتي غاية في البراعة في معنى، فإذا جاء إلى غيره قصر عنه، ووقف دونه، وبان الاختلاف على شعره؛ ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم، لأنَّه لا خلاف في تقدمهم في صنعة الشعر، ولاشك في تبريزهم في مذهب النظم. فمن الشعراء من يجود في الرجز، ولا يمكنه نظم القصيد أصلاً ومنهم من ينظم القصر، ولكن يقصر تقصيراً عجيباً، ويقع ذلك من رجزه موقعاً بعيداً، ومن الناس من يجود في الكلام المرسل، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصاناً بيّناً، ومنهم من يجود بضد ذلك. فإذا تأملنا نظم القرآن، وجدنا جميع ما ينصرف فيه من الوجوه التي ذكرناها، على حد واحد، في حسن النظم، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط على المترلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا(٢).

١- كلام العظماء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلوّ والترول، والتقريب والتبعيد وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، والقرآن الكريم مع كثرة موضوعاته التي هي نسق واحد فإنَّ هناك وجه آخر يدل على إعجازه، وهو ما فيه من جودة وإحكام الرصف، ذلك أن أي بليغ

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٥٥-٥٦، والنقد الأدبي: ١٠٠.

(٢) ينظر: معترك الأقران: ١/١٨٧.

حين يتكلم في موضوع ويريد الانتقال إلى غيره نشعر أنَّ هناك عجزاً في الانتقال، وقد وصف كثير من الشعراء بالنقص عند التنقل من معنى إلى آخر، والخروج من باب إلى سواه. حتى إنَّ أهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحتري مع جودة نظمه، وحسن وصفه، ورقة طبعه، عدم تجويده في الانتقال من النسيب إلى المديح(1). وعليه فإنَّ القرآن الكريم على اختلاف فنونه، وما ينصرف فيه من الوجوه والطرق المختلفة، فإنَّه يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، فهذا أمر عجيب تبين فيه الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف(2) فالقرآن الكريم يجمع بين المختلف فيجعله مؤتلفاً وينقلنا من الموضوع الواحد إلى الآخر دون الشعور بهذا الانتقال، فمثلاً سورة العلق لا يخطر في بالك عند قراءتها أنَّها نزلت مفرقة، وذلك لما نجده بين آياتها من إحكام السبك وجودة الرصف والربط، مع إنَّ الآيات الخمس الأولى هي التي نزلت أولاً، ونزل القسم الآخر بعد سنتين، وكذلك سورة البقرة التي نزلت في عشر سنين، ومع ذلك نجدها من أول آية إلى آخر آية مترابطة متناسقة(3).

٢- إنَّ نظم القرآن وقع موقعاً من البلاغة يخرج عن عادة الجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا. وقال ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ

(١) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٨٠.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٨، والانتصار: ٢٣، والنقد الأدبي: ١٠٠.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٥٦.

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

٣- إنَّ الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار، والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح، والتجوّز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، موجود في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة[2].

٤- ومن الوجوه التي يشتمل عليها بديع النظم القرآني: أنَّ المعاني التي تضمنه في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والردّ على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في البراعة، مما يتعذر على البشر، فيشير الباقلاني هنا إلى إن قدرة النظم القرآني على التوفيق بين المبتكر الرائع من اللفظ والجديد من المعاني، دون إخلال بالبلاغة، كل هذا مما يختص به الأسلوب القرآني ويتميز به عن غيره من الأساليب[3].

وأوضح الباقلاني أنَّ المراد بالمعاني هي معاني القرآن، فالمعاني التي جاء بها القرآن لا يستطيع أحد من الناس الإتيان بها، ويعني أيضاً بالمعاني هنا الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم، وهي الموضوعات الفكرية سواء أكانت الموضوعات تشريعية أم عقدية، وسواء أكانت حجاجاً ورد بشبهات أم حديثاً عن مبدأ خلقي، وقضية تربوية، وهذه المعاني القرآنية مبتكرة؛ لأنَّ كثيراً من موضوعات القرآن كانت بكراً لم تكن مما عرفه الناس من قبل، لا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) إعجاز القرآن: ٤٢، والإعجاز البياني: ١٢٩٢.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٤٣، والنقد الأدبي: ١٠١.

في الكتب السماوية ولا في التشريعات القانونية[1].

٥- من وجوه إبداع نظم القرآن، أن الناظر في كلام الناس لا يجده سواء، فربما وجدنا في الفقرة أو الأبيات من الشعر كلمة رائعة توجه إليها الأنظار، وتجتذب إليها الأذهان أكثر من غيرها، فهذه الكلمة إنَّما هي درّة العقد في الفقرة أو القصيدة لكن القرآن الكريم ليس كذلك، بل كل كلمة منه إذا وضعت مع غيرها تجدها درّة عقد وحلاوة شهد. لذلك يقول الباقلاني: «إذا وضعت الكلمة القرآنية في كلام كانت هذه الكلمة منادية على نفسها بالروعة ممتازة على غيرها»[2].

٦- إنَّ الحروف التي يبنى عليها كلام العرب ثمان وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، وهي نصف الحروف الهجائية، ولكن لكل حرف صفات خاصة به، وصفات الحروف كثيرة، ذكر علماء التجويد منها سبع عشرة صفة، فإذا نظرت إلى الأحرف المقطعة في فواتح السور وجدت أنها اشتملت على جميع الصفات، وقد قسموها إلى حروف مهموسة، وأخرى مجهورة، فالحروف المهموسة مجتمعة في قولهم: (فحثه شخص سكت) فهي عشرة حروف: الحاء، والهاء، والخاء، والكاف، والشين، والثاء، والفاء، والتاء، والصاد، والسين. وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة. وضد الهمس الجهر، وستجد حروفها ذكرت في

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٤٣، وإعجاز القرآن: ٥٧.

(٢) إعجاز القرآن: ٤٣.

فواتح السور، وكذلك الشدة والرخاوة والذلافة والقلقلة، فليست هناك مجموعة ذات صفة واحدة إلا وذكر نصفها في فواتح السور، وهذا ترتيب بديع يدل على الإحكام(١).

٧- أما الوجه العاشر والأخير من وجوه إبداع النظم: أنَّ القرآن مع ما له من بلاغة إلا إنّه سهل ميسّر، فهو خارج عن الوحشي المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، ليس فيه ما يصعب على النطق أو ما تنفر منه النفس وتمجّه، فالقرآن كله سهل ممتنع، سبيله ميسر، فالقرآن نقرؤه ولا نشعر أنه بحاجة إلى تفسير(٢).

وبهذه الوجوه العشرة يلخص الباقلاني فكرة الإعجاز، ومن خلالها يتبين مدى تركيزه على إعجاز القرآن بالنظم والتأليف، وكذلك أبرز دور النظم، كأهم ظاهرة تجلّت في أسلوب القرآن، وصلة النظم القرآني بنظوم كلام العرب، والفرق بينه وبين السجع ووزن الشعر.

❑ الموازنة بين النظم القرآني والنظم البشري:

لقد قام الباقلاني بعمل موازنة بين النظم القرآني والنظم البشري وكان يرى أن الموازنة لا تصلح عاملاً للوصول إلى نتيجة مسبّقة، بل تجري لتصل إلى نتائج متوقعة، وأخرى غير متوقعة، ولكي يتحقق هذا، لابد من توافر أركان المقارنة من اشتراك طرفيها في أكثر من جانب، كأن تكون بين شاعرين، أو كاتبين معاصرين، ولهما اتجاه فني واحد أو قريب، وظروف فنية متشابهة... الخ.

---

(١) ينظر: المنير في أحكام التجويد: ٤٧، وينظر: إعجاز القرآن: ٥٨-٥٩.

(٢) ينظر: مداخل إعجاز القرآن: ٣١، والنقد الأدبي: ١٠٢.

وأنَّ إثبات خروج النظم القرآني عن المعهود من كلام العرب، لا يتأتى بالموازنة، وإنما بالكشف عن الإعجاز الذي تحقق في جعل أداة التعبير عن الذات البشرية صالحة للتعبير عن الذات الإلهية وحكمة الربوبية، في جعلها تخرج من الخصوص إلى العموم.

ولهذا نجد إنَّ الباقلاني دقيق في أغلب أحكامه، فمثلاً في تحليله لقصيدة البحتري، يقول: «إنما يُوَازَنُ شعر البحتري بشعر شاعر من طبقته، ومن أهل عصره، ومن هو في مضماره، أو في منزلته...، ونظمُ القرآن عالٍ عن أن يعلق به الوهم، أو يسمو إليه الفكر، أو يطمع فيه طامع ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]»[2].

نجده يقول هذا، ويندفع في موازنة أدّت به إلى الاستعانة بكل ما يتصور أنه يؤدي إلى النتيجة التي افترضها قبلاً، فيستعين بالتراث، وبالجدل، وبمختلف المقاييس النقدية[3].

◻ تأثر تذوق الباقلاني بالوعي الديني:

لا غبار أن يتذوق العالم الفقيه فن الشعر، ولكن عليه أن يدرك أنَّه أمام قول الشاعر يصور له ما أحس به، ويمزج بين الواقع والخيال، ويستخرج من المعطيات الملموسة صوراً غير ملموسة، فلا يجب علينا أن نحكم عليه بالصدق الأخلاقي، أو نطالبه بالوعظ والإرشاد عن طريق قصيدته، طالما أنَّه لا يدعو إلى رذيلة.

وامرؤ القيس حين قال:

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٤٣، وينظر: أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة: ٢٦.

(٣) ينظر: مناهج في تحليل النظم القرآني: ٦٠-٦١.

إذا بكى من خَلفِها انصَرَفَتْ لَهُ   بشِقٍّ وتحتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

لم يقصد الشاعر إغراء الشباب، ولا إفساد أخلاقهم، ولكنه أراد أن يصوّر مدى تأثيره على النساء، وفروسيته، وفحولته.

ثم يأتي الباقلاني، ويتسرب وعيه الديني إلى تذوقه فيقول: «البيت الأول غاية في الفحش، ونهاية في السخف، وأي فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح، ويذهب؟![1] هذه المذاهب.

وقول البحتري في وصف السيف:

يتناول الروح البعيد مناهـا   عفواً، ويفتح في القضاءِ المقفلِ

بإبانةٍ في كلِّ حتفٍ مُظلِمٍ   وهدايةٍ في كلِّ نفسٍ مَجهَلِ

فيرى الباقلاني أنَّ: «القضاء المقفل» وفتحه، كلام غير محمود، ولا مرضي، واستعارة لو لم يستعرها كان أولى به،...، إن شيطانه حيث زين له هذه الكلمة، وتابعه حين حسّن عنده هذه اللفظة، لخبيث مارد، ورديء معاند أراد أن يطلق أعنّة الذم فيه[2].

ويرى الباقلاني: «أنَّ الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وإذا كان كذلك وجب أن يُتَخَيَّر من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإنابة عن المعنى المطلوب»[3] ويميل إلى الاعتدال في الصنعة بين الإفراط والتفريط[4]،...«وإنما فُضِّلت العربية على

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ١٦٧.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٣٦- ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق: ١١٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١١٤.

غيرها لاعتدالها في الوضع»[1].

هذا هو الباقلاني الذي وازن بين النظم القرآني والنظم البشري، ليثبت إعجاز الأول، وتفاوت الآخر من حيث السبك، واللفظ، والفكرة. والذي احتكم إلى الذوق الفني، لكنه لم يكن خالصاً لوجه الفن، بقدر ما كان مستخدماً للدفاع عن قضية الإعجاز[2].

المطلب الثاني: إعجاز القرآن، القاضي عبد الجبار الهمذاني

القاضي عبد الجبار الهمذاني (ت: ٤١٥هـ):

هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد آبادي، أبو الحسين، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره ويلقب قاضي القاضي، توفي عام ٤١٥هـ، وله من الكتب: «تتريه القرآن عن المطاعن»، و«الأماني».

وهو من أئمة المعتزلة خاصة، والمسلمين عامة، تأثر بشيوخ الاعتزال وبخاصة الجبائيين أبا علي وأبا هاشم، وإن لم يتلق عنهما مباشرة، والذي يهمنا حديثه عن إعجاز القرآن في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل» فحينما نتصفح هذا الكتاب نجد إنه جُلّ حديثه فيه عن الإعجاز، وقد عرض الهمذاني لقضايا متعددة، فقد تحدّث عن الخبر وما يتصل به، ثم تحدّث عن الرسالة والرسول، وعن تواتر الذي ثبت به القرآن. وقد قال عن كلمة (الإعجاز): ومعنى قولنا في القرآن إنّه معجز أنّه تعذّر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي قد اختص به[3]. ويتحدث أيضاً عن

(١) المصدر السابق: ١١٨.

(٢) ينظر: مناهج في تحليل النظم القرآني: ٨٦-٨٧.

(٣) ينظر: طبقات المفسرين: ٥٩، وينظر: قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني: ١٧.

الفصاحة، فيبيّن أن الكلام يكون بجزالة لفظه وحسن معناه، ولابد من اعتبار هذين الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً، والفصاحة لا تظهر في الكلمات المفردة، وإنَّما بضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض، وتظهر فصاحة الكلام بثلاث جهات هي:

١- **الجهة الأولى:** اختيار الكلمة نفسها.

٢- **الجهة الثانية:** حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب.

٣- **الجهة الثالثة:** موقع هذه الكلمة تقديماً أو تأخيراً إلى غيرها من الأساليب[١].

وهذه بعض الأمثلة التي توضح كلام القاضي عبد الجبار حول هذه الجهات: منها قول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[٢] فقوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ تظهر فيه الجهات الثلاث التي تحدّث عنها القاضي عبد الجبار، فالجهة الأولى تتمثل في اختيار كلمة (ريب)، دون غيرها من الكلمات كالشك والمرية، وأما الجهة الثانية فمجيء كلمة (ريب) مبنية على الفتح، وهي اسم (لا) النافية للجنس، و لم تأتي مرفوعة، فأما الجهة الثالثة، فهي تقديم كلمة (ريب) على الجار والمجرور (فيه) ولاشك أنَّ لكل واحدة من هذه الجهات الثلاثة حكمة بيانية. فكلمة (ريب) تعطي ما لا تعطيه كلمة (شك) فإنَّ (الشك) تردد النفس بين شيئين، ولكن (الريب) شك مع تهمة وخلق واضطراب، ومجيئها مبنية على الفتح يدل على نفي الريب نفياً تاماً، وأما الجهة الثالثة فلأنَّ تقديم كلمة (ريب) يعطي معنىً غير المعنى الذي تأخّر فيه،

---

(١) ينظر: المغني: ١٦/١٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآيتين: ١-٢.

فمعنى (لا ريب فيه)، نفي الريب عن القرآن دون التعرض لغيره من الكتب، ولكن لو قال: (لا فيه ريب) لكان المعنى إثبات الريب في غيره من الكتب.

إنَّ الفصاحة التي أشار إليها القاضي عبد الجبار، ليست هي الفصاحة التي استقر عليها علماء البلاغة المتأخرون، وهي التي تكون وصفاً للكلمة أو الكلام، وذلك بخلوه من العيوب كالغرابة والثقل ومخالفة قواعد اللغة، لكن الفصاحة التي قصدها تشمل في مفهومنا نظم الكلمات بعضها مع بعض، وهي ملحوظة قيّمة وخطوة ذات شأن خطاها في إبراز نظرية النظم[(١)].

ويرى القاضي عبد الجبار أن الإعجاز ليس في نظم الكلام، وهو يعني بالنظم ورود الكلام على طريقة مخصوصة، أي: القالب الشكلي الذي جاء عليه القرآن وليس النظم الذي تحدّث عنه الخطابي، أو عند الجرجاني[(٢)].

ويقول القاضي إنَّ ذلك ليس وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، لأنَّه لو كان كل قالب جديد معجزاً، لكان ينبغي أن يكون أول ما قيل من الشعر معجزاً، لأنَّه لم يعرف من قبل. ويرى أن القرآن ليس معجزة العرب وحدهم، وإنَّما هو معجزة لسائر الناس كذلك، وأنَّ العجم وإن لم يعرفوا مزايا الفصاحة، لكنهم عرفوا عجز العرب الذين هم أهل الفصاحة بسليقتهم، وهذا كافٍ في إقامة الحجة عليهم[(٣)]. وتناول أيضاً موضوع الإخبار عن الغيب ويرى أنَّه لا يصلح وجهاً من وجوه الإعجاز، لأنَّ التحدي كان لسورة من سور القرآن، وكثير من هذه السور ليس فيها شيء من أنباء الغيب[(٤)].

---

(١) ينظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي: ١٤٩.

(٢) ينظر: المغني: ١٦/١٩٨.

(٣) ينظر: المغني: ١٦/٢٩٤، وينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١١٧.

(٤) المصدر السابق: ١٦/٢٢٠.

ويتناول قضية الصرفة، فيقول: إنَّها لا تصلح أن تكون وجهاً من وجوه الإعجاز وقد أطال الحديث عن هذه القضية، وأتى على الشبهات التي يمكن أن تعرض في هذا الأمر[1].

وبهذا الحديث نجده يتفق مع الخطابي والباقلاني في القول بأنَّ الصرفة ليست من وجوه الإعجاز، وهو بذلك يخالف الرمّاني المعتزلي، كما يتفق مع الخطابي في إنَّ الإخبار بالغيب لا يصلح وحده أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز، وهو بذلك يخالف الرمّاني والباقلاني في هذا الكلام فلا يعد القالب اللفظي وجهاً من وجوه الإعجاز، وهو بذلك يتفق مع الخطابي. ولهذا نقول بأنَّ الفصاحة التي قال بها القاضي عبد الجبار لا تخرج عن النظم الذي قال به الخطابي والجرجاني[2].

المطلب الثالث: دلائل الإعجاز للجرجاني وأثر نظرية النظم في الإعجاز

عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ):

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني[3] واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، وله شعر من كتبه (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز)، (الجمل في النحو)، (المغني في شرح الإيضاح) توفي عام ٤٧١هـ. وقد تصدّر -رحمه الله- مجالس العلم وقصده الطلاب من شتى الأقطار. ويعدّ إمام البلاغيين وشيخ البلاغة، وكان -رحمه الله- متكلماً أشعرياً[4] كان لعبد

---

(١) المصدر السابق: ١٦/٢٢٠.

(٢) ينظر: مراجعات في أصول الدرس البلاغي: ١٤٤.

(٣) وفيات الأعيان: ٢/٣٦٩، وينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو: ١٣٤.

(٤) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: ١٢، الإعجاز البياني: ١٢٩٤-١٢٩٥.

القاهر الجرجاني نتاج جيد يعنينا منه ما يتصل بإعجاز القرآن الكريم ومن أبرزها الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز.

أما الرسالة الشافية: فهي جزء صغير عرض فيها لبعض القضايا التي تتصل بالإعجاز، وبدأ الرسالة بذكر أنواع المعاني التي تحتاج إلى نوع معين من الألفاظ، وربط الأنواع المتساوية مع ألفاظها مفردة. بل الألفاظ تنظم إلى المعاني التي تلائمها، وأن تنتظم الألفاظ في عبارة، أو لا تنتهي عند هذا الحد، بل لابد من تأدية هذه المعاني بعد تلبسها بالألفاظ، والألفاظ تتواءم في عبارات. وكذلك أثبت عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة منه، وناقش فيها القائلين بالصرفة، كل ذلك بأسلوب قوي متين[1]. ولقد عمد عبد القاهر إلى البحث عن البلاغة ووجوهها وأساليبها للارتقاء بالذوق البلاغي، ثم ليضع يده على موطن البلاغة في كل كلام بليغ سواء كان شعراً أو نثراً. ويبرز وجه الحُسن في الكلام من خلال أمثلة مختارة. ثم يلتفت إلى إعجاز القرآن الكريم ورأيه في ذلك.

وقد شعر الجرجاني بأنَّ السابقين الذين كتبوا في نظم القرآن وبيان إعجازه أكثروا من الحديث عن الجانب اللفظي، ولم يتناولوا جانب المعاني، فحصر جهده وكتاباته على جانب المعاني حيث يقول: «... وإذا ثبت أنَّه في النظم والتأليف، وكنا قد علمنا أنَّ ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإنّا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلمة المفردة مسلكاً ينظمها، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها، ويجعل بعضها من بعض، غير توخي معاني النحو وأحكامه طلبنا من كل محال دونه»[2].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: المقدمة، ودراسات في الإعجاز: ١١٣/٤.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٧.

ونجد إنَّ كتاب (دلائل الإعجاز) كتاب وثيق الصلة بإعجاز القرآن الكريم البلاغيّ، فقد وضع فيه نظريته في النظم، وهو أساس الإعجاز عنده.

ولهذا يعدّه العلماء المحدد لمعالم هذه النظرية عند الأشاعرة، وقد عقد فيه فصلاً ضمَّنه رأيه في إعجاز القرآن الكريم؛ وبيَّن فيه أنّ الوصف الذي وقع به الإعجاز هو: نظم القرآن العجيب، وتأليفه البديع، على نمط لم يُعهد عند العرب، ولم يستطيعوا الإتيان بمثله، وهم فرسان البلاغة وشيوخ الفصاحة[1].

ويقول الجرجاني: «فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه، لم يبق إلا أن يكون في (النظم) ؛ لأنَّه ليس من بعد ما أبطلناه أن يكون فيه إلا (النظم) و(الاستعارة) ولا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز، وأنَّه يُقصَر عليها؛ لأنَّ ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها، ثبت أنَّ (النظم) مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه...، وكنا قد قلنا أن ليس (النظم) شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم»[2].

ونجد إنَّ الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) بدأ حديثه عن أهمية علم البيان ومنزلته بين العلوم، وعن أهمية الأدب والشعر، ناعياً عن الذين لا يدركون ما لعلم البيان من فوائد مكتفين بالوقوف عند ظواهر الأمور، ليس عندهم إلا التقليد وبيّن لهم أنَّهم ماداموا على هذه الحالة، فلن يستطيعوا أن يتذوقوا كتاب الله، ولن يدركوا إعجاز القرآن إدراكاً يقوم على أسس صحيحة وقواعد ثابتة.

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني: ١٢٩٥، ونظرات في الإعجاز: ٨٨.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣١: ص٣٩١.

ويقول الجرجاني في بيان أهمية الفصاحة والبيان: لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة، والبلاغة، والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها، فأجد ذلك كالرمز والإيحاء والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبئ ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه، ووجدت المعول على أن ههنا نظماً وترتيباً وتأليفاً وتصويراً، ونسجاً وتحبيراً، وأن سبيل هذه المعاني الكلام التي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها[1].

❑ نظرية النظم: (معنى النظم):

هو توخي معنى النحو وأحكامه فيما بين الكلمات والجمل والفقرات، فالكلمات في الجملة لا يجمع ويؤلف بينها إلا النحو، وجعل البلاغة من: مجاز واستعارة وكناية وتمثيل من لوازم النظم ومقتضياته[2]. وبيان ذلك: أننا حينما ننطق بالكلمات والجمل، فلابد أن تكون مرتّبة ترتيباً مقبولاً معقولاً.

والكلمة كما نعلم: اسم وفعل وحرف، فلا يمكن أن يكون الترتيب بين حرف وحرف، وكذلك لا يجوز الترتيب بين الفعلين، فلا يمكن أن نقول: (أخذ مشى)، لأنَّ مثل هذه لا تكون جملة مفيدة، وهي مرفوضة كما بينتها قواعد النحو. فهذه هي الخطوة الأولى في النظم، وهو أن يكون موافقاً لقواعد النحو، أما الخطوة الثانية: فهي أن يكون هذا النظم دقيقاً، بحيث ترتب المعاني التي تريدها في نفسك أولاً، ثم تختار لها بعد ذلك الألفاظ التي تتفق مع هذه المعاني[3]. ولهذا نجد

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٦٦-٦٧.

(٢) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ٤١٠.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٦٩.

إنَّ المعاني التي نجدها في نفوسنا كثيرة، ويجب التعبير عنها بألفاظ يفهمها المخاطبون، فمثال ذلك:

قد تذهبين لزيارة صديقتك سعاد في أيام الامتحانات فينكر عليك والدك هذه الزيارة فيقولان: «أتزورين سعاد؟» ويمكن أن يقال أيضاً: «أسعادً تزورين؟». الجملتان سواء من حيث اللفظ، لكنهما اختلفا من حيث النظم، التقديم والتأخير، وعليه فلابد أن يكون لكل منهما معناها الخاص. فإذا كان إنكارهما للزيارة، لأنَّ الوقت غير مناسب، ولأنَّ الظرف هو ظرف الامتحانات فيجب أن تكون الجملة هكذا «أتزورين سعاد؟».

أما إذا كان إنكارهم لزيارتك؛ لأنَّهما لا يريدان أن تكون علاقة بينك وبين سعاد، فيجب أن يكون نظم الجملة هكذا «أسعاد تزورين؟». وهكذا نرتب المعنى الذي نريد أن نتحدث عنه، ثم نرتب الألفاظ التي نريد أن نعبّر عنها[1].

وهكذا ندرك أن النظم لابد له من عمليتين اثنتين هما:

أولاً: ترتيب المعاني في النفس.

ثانياً: ترتيب الألفاظ في النطق.

وندرك أيضاً أن النظم شيء غير اللفظ والمعنى[2].

ومثال آخر: يبيّن الفرق بين قولي: «لا ضجة في الحجرة المجاورة» و«ليس في الحجرة المجاورة ضجة»، فإن معنى الجملة الأولى نفي الضجة من الحجرة، أما الجملة الثانية فتفيد أمرين اثنين:

---

(١) عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: ٨١.

(٢) ينظر: مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز: ص ٣٨.

أولاً: نفي الضجة في الحجرة أيضاً.

ثانياً: إثبات الضجة في حجرتنا أو في حجرة أخرى.

وهذا هو النظم الذي عناه الجرجاني من ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس(١).

ونلاحظ نظريته في النظم إنما هو: نظم للمعاني، والمتكلم يقتفي في نظم كلماته آثار المعاني، ويرتبها على بحسب ترتيب المعاني في النفس، وبذلك يخالف رأي المعتزلة في التمسك في النظم باللفظ، ويقول: «لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على جذورها لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسب النظم»(٢) فالبلاغة في رأي الجرجاني لا تعود إلى الألفاظ من حيث هي ألفاظ مقروءة، وإنما تعود إلى معانيها بعد أن يلتئم شملها في نظم(٣) حيث يقول: «إنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مقروءة، وإنما الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»(٤) ويقول أيضاً: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأوصله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها»(٥).

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨١، وإعجاز القرآن: ٧٢.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣١: ص٤٣.

(٣) ينظر: نظرات في الإعجاز: ٨٩.

(٤) دلائل الإعجاز: ٣١.

(٥) المصدر السابق: ٣١.

❑ القواعد التطبيقية لنظرية النظم:

إنَّ القواعد التطبيقية التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني لشرح نظريته كثيرة، عقد لها فصولاً كثيرة منها: التعريف والتنكير، والتأكيد، والحذف والذكر، والفروق بين الخبر، والتقديم والتأخير، والقصر والفصل والوصل، وإلى غير ذلك. وفي هذه الفصول يذكر تطبيقات عملية من آيات القرآن الكريم، ومن الشعر ليبرهن على إنَّ النظم هو الذي يرجع إليه فضل الكلام[1]. ويرى الجرجاني أنَّ النظم لا يظهر في الكلمة إلا بحسب موقعها في الجملة، فكذلك الجملة لا يبين حسن نظمها إلا إذا ائتلفت بدورها مع جاراتها، فيما تهدف إليه هذه الجملة جميعاً من معنى حتى يتألف من مجموع هذه الجمل صورة أدبية شاملة، قد أعمل فيها الفكر حتى صدرت عن رؤية وأناة. ولم يكن الجرجاني ليتحدث عن نظريته في الإعجاز القرآني دون تعليل لها أو تدليل عليها بل كان يدعم دائماً فكرته بما يستعرضه من مختلف النصوص الأدبية، وكان أيضاً يفترس الأساليب ويتأمل بذوقه وحيها، ثم يقوم بتسجيل وتحليل ما توصّل إليه من نتائج هذا التأمل[2].

وكان الأسلوب القرآني من أوائل ما استشهد به تطبيقاً لفكرته ثم أتبع ذلك بسيل من النصوص الأدبية، وخاصةً الشعر تأكيداً لما رآه من إن الوقوف على الشعر وهو ديوان العرب مما يعين على فهم حجة الله والتعرّف عليها.

وكانت بدايته الدراسة التطبيقية التحليلية تطبيقاً لفكرة الجرجاني في النظم ولهذا نجده يقول في:

---

(١) ينظر: البلاغة والأثر النفسي دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني: ٢٣٩.

(٢) ينظر: النقد الأدبي: ١٤١.

١- **التعريف والتنكير**: حيث يمثل بقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1] حيث لم يقل على «الحياة» حيث تفسير التنكير من إنَّ اليهود يحرصون على الحياة أيّاً كانت ذليلة حقيرة، فيها هوان وصغار.

٢- **التقديم والتأخير**: ففيه يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[2] حيث قدّم الضمير (أنت) على الفعل (قالوا أأنت فعلت) حيث جاء نظم الآية هكذا، ولم يقدّم الفعل فيقال: (أفعلت هذا). وسرُّ ذلك أننا نقدّم ما هو مشكوك فيه، أما الأمر المتعين فلا يجوز أن نقدّمه، فإذا كان الشك في الاسم قدّمناه، وكذلك في الفعل قدّمناه، فإذا جلست في بيت أحد الناس فلا يجوز أن أقول: (أبنيت هذا البيت؟) لأنَّ البناء قد تمَّ، وإنَّما أقول له: (أأنت بنيت هذا البيت؟).

ولهذا نستطيع أن نفهم الآية على هذا النحو، فالأصنام قد حُطمت، ولكنهم يريدون أن يقرروا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – قام بتحطيمها، فجاء نظم الآية هكذا «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟»[3].

٣- **أسلوب القصر**: ففيه يبيّن سرّ النظم في آيات كثيرة مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٩، والنقد الأدبي: ١٤٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

فمعنى الآية: أن المؤمنين وحدهم هم الذين يعمرون مساجد الله لا غيرهم، ولو قيل: «إنما يعمر المؤمنون مساجد الله» لكان المعنى أن المؤمنين يعمرون المساجد ولا يعمرون شيئاً آخر، وهذا غير صحيح.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فمعناه أن أعظم علامات الإيمان الإخوة، فالمؤمنون إخوة لا متقاطعون ولا متعابرون، ولو قيل: إنَّما الإخوة المؤمنون، لكان المعنى أنَّ رابطة الإخوة لا تكون إلا بين المؤمنين وحدهم، وهذا غير صحيح.

٤- **الفروق بين الخبر**: يفرق بين قولنا: (زيد منطلق) و(زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) فإنَّ كل من هذه العبارات لها معنى غير صاحبتها، وهذا هو النظم.

٥- **في الفصل والوصل**: ومعنى الفصل: ترك العطف بالواو ويمثل له بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] حيث جاءت كل جملة من هذه الجمل غير معطوفة على سابقتها؛ لأنَّ بينها اتحاداً في المعنى[2].

ولهذا نجد أنَّ الجرجاني يحرص كل الحرص على شرح نظرية النظم، ويبذل قصارى جهده، مبيناً أنَّ إعجاز القرآن إنَّما هو لهذا النظم البديع الذي بهر العرب وأعجزهم أن يأتوا بمثله، إذن فالنظم عند الجرجاني هو سر الإعجاز، أما أنواع المجاز والاستعارة والكناية فمع ما لها من شأن إلا إنَّ الفضل يرجع فيها إلى النظم، ويمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١-٢.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٧-٨٨.

﴿شَيْبًا﴾[1]. فالاستعارة في قوله: ﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ فالاشتعال كما نعلم للنار، لكن شبّه انتشار الشيب بالاشتعال. ولهذا يرى الجرجاني أن الفضل للنظم، لا للاستعارة وحدها، فلو أبقينا الاستعارة وغيّرنا النظم فقيل: واشتعل شيب الرأس، لم يكن للكلام هذا الفعل، وإنما يكون الفضل أن أسندنا الاشتعال إلى الرأس، وجعل كلمة شيباً تميز، وهو تمييز محول عن الفاعل كما يقول النحويون، لأنَّ الأصل (اشتعل شيب الرأس)[2].

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾[3] التفجير للعيون في المعنى، وأوقع على الأرض في اللفظ، كما أسند هناك الاشتعال إلى الرأس، وقد جعل بذلك من معنى الشمول هاهنا مثل الذي حصل هناك، وذلك أنَّه قد أفاد أنَّ الأرض قد كانت صارت عيوناً كلها، وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها، ولو أجري اللفظ على ظاهره، فقيل: وفجّرنا عيون الأرض، أو العيون في الأرض، لم يفد ذلك، لكن المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة من الأرض، وتبجس من أماكن منها[4].

❑ وجه إعجاز القرآن عند الجرجاني:

ويبين عبد القاهر الجرجاني الأمر الذي بان به إعجاز القرآن الكريم فتحروا به فعجزوا أن يأتوا بمثله، فهو يضع عدة أمور يحتمل كل واحد منها

(١) سورة مريم، الآية: ٤.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز: ٨٩، وينظر: إعجاز القرآن: ٧٧-٨٨، ومباحث في إعجاز: ٩٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٢.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ٩١، والإعجاز في دراسات السابقين: ٢٥٩، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٩٣.

أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز:

١- **الاحتمال الأول:** أن يكون الذي أعجزهم كلمات القرآن وألفاظه المفردة، يرد الجرجاني هذا القول؛ لأنَّ معنى كون هذه الألفاظ معجزة جهل العرب بها قبل نزول القرآن، وأنهم لم يسمعوها إلا بعد أن نزل بها القرآن وهذا غير مقبول؛ لأنَّ ألفاظ القرآن الكريم لا يجهلها العرب، ولهذا لم تكن غريبة عليهم.

٢- **الاحتمال الثاني:** أن يكون وجه الإعجاز ما في القرآن من استعارات، ويرد الجرجاني هذا القول: بأنَّ استعارات ليست في جميع الآيات القرآنية، فكثير من الآيات ليس فيها استعارة، ويلزم هذا القول أن تكون الآيات الخالية من الاستعارة غير معجزة، وهذا أمر مجمع على رده[١].

٣- **الاحتمال الثالث:** أن يكون وجه الإعجاز الفواصل القرآنية، ويرد هذا الاحتمال؛ لأنَّ الفاصلة مثل القافية في الشعر، ولقد برع القوم في الشعر، ومن برع في الشعر وقوافيه لا يعجز أن يجعل للكلام خاتمة تشبه القافية[٢].

٤- **الاحتمال الرابع:** أن يكون الذي أعجز العرب معاني الكلمات، وهذا مردود، لأنَّه يلزم أن يكون لكلمة معنى قبل نزول القرآن، وأن يكون لها معنى آخر تجدد بترول القرآن، وهذا غير مقبول؛ لأنَّ معنى الحمد، والكتاب، والفلاح، والفساد، والربى والأرض والسماء وغيرها فإنَّ معناها قبل نزول القرآن وبعده شيء واحد.

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٩٨، ينظر: إعجاز القرآن: ٨١.

(٢) ينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٥٣.

٥- **الاحتمال الخامس**: أن يكون سبب عجز العرب القالب الشكلي الذي جاءت عليه الكلمات القرآنية، وبيان ذلك أنَّ كلام العرب ليس نوعاً واحداً، فمنه الشعر ومنه الرجز، ومنه السجع، والبنية الشكلية التي جاء عليها القرآن تختلف عن كل ما ألفه العرب. ويرد عبد القاهر هذا الاحتمال؛ لأنَّ من ركّب جُملاً تشبه الجمل القرآنية حريّ أن يكون كلامه معجزاً[1].

فهذه نظرية عبد القاهر الجرجاني التي امتازت بعمق التحليل، وحسن السبك، وصحة الترتيب ودقة الموضوع، ولقد برز فيها جانبان اثنان: الجانب النفسي أولاً، والجانب الفكري ثانياً.

أما الجانب النفسي: فيظهر في عمق التأثير الذي يحس به القارئ وهو يتأمل ويتدبر الكلام البليغ وفي مقدمته الآيات القرآنية.

أما الجانب الفكري: فنجده في العلاقة بين المعاني بعضها مع بعض من جهة، وبينها وبين الألفاظ لا من حيث الوضع فحسب، بل من حيث الوضع والترتيب كلاهما[2].



(١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني ونقده: ١٨٩.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٨٢.

المبحث الرابع

المحدثون والإعجاز

المطلب الأول: إعجاز القرآن، للرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)

ولد الرافعي في عام ١٢٩٧هـ، أصله من طرابلس الشام، عاش في طنطا بمصر، وهو عالم بالأدب شاعر كاتب، له (ديوان شعر) في ثلاثة أجزاء، و(تاريخ أدب العرب) جزءان، و(تحت راية القرآن) و(أوراق الورد) وكتابه الخاص بالإعجاز وهو (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، كان أبرز من تصدّى لطه حسين في كلامه حول الشعر والجاهلي. توفي بطنطا عام (١٣٥٦هـ)(١).

ولقد كان للرافعي -رحمه الله- فضل السبق في الكلام على الإعجاز في القرن الرابع عشر على هذا النحو من البسط والتوسع في العرض بذكر مباحث متعلقة بالإعجاز فكان الإعجاز قسماً من أقسام الكتاب حيث يحتوي مباحث عديدة نحو: تاريخ القرآن، والقراءات، وآداب القرآن وغيرها. ورغم إن الإعجاز قد جاء مبحثاً في كتاب الرافعي إلا إنه أكبر مباحث الكتاب حجماً(٢).

وقد كان الرافعي -رحمه الله- منحة من منح الله لهذه الأمة في عصر كان الناس في أمسّ الحاجة إليه، فقد وهبه الله قلماً ذابّاً عن القرآن ولغته. ولقد كانت كتابته تتصف بالعمق في الأسلوب، وقوة في العرض، يزينها عاطفة صادقة وإحساس مرهف. كان يرقى مع قارئه في سلم البيان، ليصل به إلى السمو الأدبي(٣)، حيث يقول كلمته في السمو: «عابوا السمو الأدبي

---

(١) ينظر: الأعلام: ١٩٣/٧، وينظر: بلاغة القرآن في أدب الرافعي: ١٨٧.

(٢) ينظر: تاريخ آداب العرب: ٧٣/١.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٩٣-٩٤.

بأنَّه قليل، ولكنه الخير كله، وبأنَّه مخالف ولكن... الحق كذلك، وبأنَّه محيّر ولكن... الحسن كذلك، وبأنَّه كثير التكاليف، ولكن... الحرية كذلك.

كان الرافعي -رحمه الله- أديب، لم يقتصر أدبه على النثر وحده، بل كان كاتباً وشاعراً له طابعه المميز في الشعر، وأسلوبه الواضح في الكتابة، وكان أيضاً ناقداً له منهجه المستقل في نقده، ولم يخرج نقده عن الهدف العام الذي دار في إطاره أدبه وهو: الذود عن حمى الدين واللغة العربية، ولقد أفاد الأدب العربي ولغته، وانتفعت حقول الفكر والثقافة من جهوده في النقد إفادة غير محددة[1].

وكتاب الرافعي -رحمه الله- (إعجاز القرآن) نجده يحتوي على موضوعين مهمين هما: (١) إعجاز القرآن، (٢) البلاغة النبوية.

لقد بدأ الرافعي -رحمه الله- كتابه بكلمة رصينة عن القرآن وعن علومه وعن نزوله وجمعه وقراءاته وغير ذلك، فاستحلت ما يقارب نصف الكتاب، ثم تحدث عن معنى الإعجاز، ثم تحدث عن الإعجاز كما يراه فبيّن أنَّ القرآن الكريم معجز من جهات ثلاث:

١- من حيث تاريخه بين الكتب السماوية.

٢- من حيث آثاره، فلم يعرف في الدنيا كتاب، كان أثره ولا يزال مثل هذا الكتاب الكريم.

٣- من حيث حقائقه: وهي حقائق في مجالات متعددة، تعدد أنماط الحياة، فهي حقائق ليس فيها ثغرة يتسلل من خلالها زيغ أو زائغ. ويتحدث الرافعي عن أسلوب القرآن ونظمه وغرابة أوضاعه التركيبية، ويبيّن أنَّه لما كان الأسلوب، أسلوب كل كاتب إنَّما ينعكس عن مزاج صاحبه،

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن: ٥٩.

وكان القرآن كلام الله تعالى، أدرك العرب لأول وهلة حينما سمعوه أنَّهم مهما أتوا من حظ في أفانين الأساليب نظمها ونثرها، سيظل أسلوب القرآن الكريم بعيداً عن متناول ألسنتهم[1].

ويقول الرافعي: «إنَّ القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو -أي القرآن- لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً، وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة، وإنَّما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية، يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأنَّ له مادة من الألفاظ كأنَّها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها»[2].

ويرى الرافعي أنَّ إعجاز القرآن في بلاغة النظم. حيث قسم النظم إلى الحروف والكلمات والجمل.

حيث يقول في الحروف: «إنَّ القيمة الفنية للحروف كامنة في كونها دالة على أصوات والأصوات وسيلة من وسائل التعبير، وهو يحمل رعشات الطرب، واضطرابات الفزع، وهمسات لا يفسرها غير سماعها، فأصوات الحروف إنَّما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلابد لها مع ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء فتتداخل خواصها وتتجمع صفاتها ويتكون منها اللحن الموسيقي»[3].

أما قوله في الكلمات والحروف فنراه يتحدث عن الجمال التنسيقي في صف الحروف في الكلمات والذي يتجلى في جوانب ثلاثة:

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن في أدب الرافعي: ١٤٥.

(٢) إعجاز القرآن: ١٥٦.

(٣) المصدر السابق: ٢١٣.

الأولى: دلالة الكلمة الموضعية الذي سماه (صوت النفس) أي: المناسبة بين الكلمة ومدلولها.

الثاني: الدلالة العقلية للكلمات في الجملة والذي سماه (صوت العقل) وهي دلالة الكلمة البيانية.

الثالث: تفاوت الجمل في دقة التصوير والإبداع، والذي سماه (صوت الحسّ) وهو أبلغ الثلاث.

فيقول الرافعي: «إنَّ القرآن قد حاز القدر المعجز من هذا الجانب بل هو روح الإعجاز في القرآن الكريم فالقرآن يبادرك الروعة في كل جزء منه، كما تبادرك الحياة في كل حركة للجسم الحي»[1].

ومن ناحية الجمل وكلماتها فقد تحدّث الرافعي عن التنسيق في انتظام الكلمات في الجملة، والتعابير تتفاوت في الفصاحة والبلاغة والجمال، بمقدار التنسيق الموجود في الجمل التي تتألف فيها... وأسلوب القرآن بلغ في هذا التنسيق حد الإعجاز، وإنما اطرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز، من الصوت في الحرف إلى الحرف في الكلمة إلى الكلمة في الجملة، حتى يكون الأمر مقدّراً على تركيب الحواس النفسية في الإنسان تقديراً يطابق وضعها وقواها وتصرفها[2].

ولهذا يقول الرافعي: إنَّ القرآن نزل بتلك المعاني، ليخرج للأمة من كل معنى علماً برأسه، ثم يعمل الزمن عمله فتخرج الأمة من كل علم فروعاً ومن كل فرع فنوناً، إلى الوجه الذي انتهت إليه العلوم في الحضارة الإسلامية،

---

(١) إعجاز القرآن: ٢٢١، وما بعدها بتصرف.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢٣٧.

وكان سبباً في هذه النشأة الحديثة، من بعد أن استدار الزمان، وذهبت الدنيا، وأنشأ الله القرون والأجيال لتبلغ هذه الحادثة أجلها ويتناهى بها القضاء[1].

ويرى الرافعي أنَّ القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه، حيث ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة، وإنَّما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية، يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأنَّ له مادة من الألفاظ كأنَّها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها. وما يظنه إلا الصورة الروحية للإنسان، إذا كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله. فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز في حقائقه، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت[2].

ويقول أيضاً: «ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلاّ مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إنَّ الحركة ربما كانت ثقيلة لسبب من أسباب الثقل أيّاً كان، فلا تعذب ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحروف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان واكتنفتها بضروب من

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ١١٩.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ١٥٦.

النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأورقه، وجاءت متمكنة في موضعها وكانت لها الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة»[1].

ونلاحظ أن وجه الإعجاز عند الرافعي يتلخص في اعتماده على إنَّ عمدة ذلك هو الحروف وأصواتها، ثم الحركة الصرفية واللغوية للألفاظ القرآنية المشتملة على تلك الحروف. فوجه الإعجاز عنده: هو بلاغة النظم[2].

المطلب الثاني: النبا العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز ولد سنة ١٨٩٤م و(ت: ١٩٥٨م)

لقد ألّف الدكتور محمد عبد الله دراز كتابه (النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن) وهو من أهم الكتب العلمية في إعجاز القرآن الذي ألّفه سنة ١٩٣٣م. والذي قسم فيه الكتاب إلى قسمين:

الأول: تحديد القرآن، ويقصد بالتحديد تعريف القرآن والفرق بينه وبين الأحاديث النبوية والقدسية[3].

ثانياً: بيان مصدر القرآن وإثبات أنه من عند الله بلفظه ومعناه، وقد قسمه إلى مراحل:

المرحلة الأولى: بيان أن القرآن لا يمكن أن يكون إيحاءً ذاتياً من الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

المرحلة الثانية: ناقش الذين زعموا أن الرسول أخذ القرآن من مُعلم. وأبطل هذا التصور.

---

(١) المصدر السابق: ٢٣٧.

(٢) ينظر: نظرات في الإعجاز: ٩٤-٩٥.

(٣) النبأ العظيم: ١٢-١٧، وينظر: البيان في إعجاز القرآن: ١٢٤.

المرحلة الثالثة: ظروف الوحي وملابساته.

المرحلة الرابعة: البحث في جوهر القرآن نفسه وحقيقة مصدره.

ويرى الدكتور دراز: أنَّ الإعجاز القرآني يكمن في ثلاثة أوجه:

١- **الإعجاز اللغوي:** ويعده أظهر وجوه الإعجاز؛ لأنَّه هو الذي وقع به التحدي والقرآن عنده معجزة لغوية خالدة.

٢- **الإعجاز العلمي:** وهو يتحدث عن إشارات علمية في الآيات القرآنية.

٣- **الإعجاز التشريعي الإصلاحي الاجتماعي**[(١)].

وقد فصّل القول في الإعجاز اللغوي؛ لأنَّه هو الذي وقع من جهته التحدّي بالقرآن، ووضّح أن القرآن معجزة لغوية، وأشار إلى نظريتين للقشرة السطحية للّفظ القرآني؛ وهما[(٢)]:

١- **الناحية الأولى:** الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته ومدّاته وغنّاته؛ إذ يقول: «دع القارئ المجوّد يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله، نازلاً بنفسه على هدي القرآن، وليس نازلاً بالقرآن على هدي نفسه، ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها واتصالاتها وسكتاتها، ثم ألقِ سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، وقد جُرِّدت تجريداً، وأُرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو

---

(١) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ٤١١، ونظرات في الإعجاز: ٩٥، ومباحث في إعجاز القرآن: ١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر: معترك الأقران: ٦٩٠، الإعجاز البياني تاريخ ومعالم: ص١٣٠٥.

جُرّد هذا التجريد، وجُوِّد هذا التجويد»[1].

٢- **والناحية الثانية:** الجمال التنسيقي في رصف الحروف وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة. فيقول: «فإذا ما اقتربت بآذانك قليلاً قليلاً فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها. هذا ينقر، وذلك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر يتزلق عليه النفس وآخر يحتبس عنده النفس وهلم جرّا»[2].

ويقول دراز: إنَّ القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنَّما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة — لا لغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب — وإنَّما لأنَّها تذكّر بالخالق الحكيم القدير. ونلاحظ أنَّ هذه الحقائق التي يقدمها تتفق مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث[3]. مثال ذلك: تكوين المطر، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[4] ودائرية السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[5]

---

(١) النبأ العظيم: ١٠١-١٠٢.

(٢) النبأ العظيم: ١٠٤، وينظر: البيان: ١٢٦.

(٣) ينظر: النبأ العظيم: ١٠٥، وينظر: من خلق القرآن: ٧٢.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥.

ومسيرة الشمس إلى نقطة معلومة، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾[1] وثنائية النباتات والمخلوقات الأخرى، وهي حقيقة علمية كان يجهلها عصر الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] والتلقيح بواسطة الرياح، قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[3] إلى آخره[4].

ثم يتكلم الدكتور دراز عن خصائص القرآن البيانية ويرتبها على أربعة مراتب وهي:

١- القرآن في قطعة قطعة منه[5]:

ووضّح أن أسلوب القرآن: «تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلها، على تباعد ما بين أطرافها»[6]، ويمضي في بيان نهايات الفضيلة البيانية، والتي تتمثل في: (أ) و(ب) العضد في اللفظ، والوفاء بحق المعنى.

(جـ) و(د) خطاب العامة، وخطاب الخاصة.

(هـ) و(و) إقناع العقل، وإمتاع العاطفة.

(ز) و(ح) البيان، والإجمال.

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٢) سورة يس، الآية:٣٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٤) ينظر: مدخل إلى القرآن: ١٧٦.

(٥) ينظر: النبأ العظيم: ١٠٧، وينظر: إعجاز القرآن: ١٠٥.

(٦) النبأ العظيم: ١٠٨.

٢- القرآن في سورة منه:

وتحدّث فيه عن الوحدات التي تتمثل في سورة كاملة، ثم نظر إليها ككل يُمثّل في مجموعه وحدة مترابطة، وثيقة العرى، وطبق نظرته على سورة البقرة؛ حيث عرضها عرضاً واحداً، رسم له خط سيرها إلى غايتها، وأبرز وحدة نظامها المعنويّ في جملتها؛ لكي ترى كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى[1].

٣- القرآن فيما بين بعض السورة وبعض.

٤- القرآن في جملته[2].

المطلب الثالث: إعجاز القرآن، سيد قطب

هو سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري ولد في قرية (موشا) من قرى محافظة أسيوط سنة ١٩٠٦م لأب ميسور الحال، وكان أبوه محباً للعلم، فقد سارع إلى إلحاق ابنه بالتعليم، فأظهر الابن تفوّقاً واضحاً على الرغم من صغر سنة حيث حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، سافر إلى القاهرة والتحق بدار العلوم وتخرّج فيها. اتصل بالأديب (عباس محمود العقاد) في بداية تحصيله العلمي، وتأثّر به، ثم التزم مع الاتجاه الإسلامي، وأعجب بآراء (العقاد) الفكرية، كما تأثّر بأفكار الشيخ (محمد رشيد رضا) من الناحية الدينية، وأشدّ ما أثّر في نفسه مقتل الإمام (حسن البنا) والضجيج والفرحة اللذان أحدثهما خبر وفاته لدى الغرب، فالتحق بجماعة الإخوان المسلمين، وبقي فيها حتى جرى اعتقاله عام ١٩٥٤م بقي في السجن حتى عام

---

(١) النبأ العظيم: ١٥٨، وينظر: البيان: ١٢٦.

(٢) ينظر: النبأ العظيم: ١١٠، وينظر: الإعجاز البياني تاريخ ومعالم: ٣٠٦.

١٩٦٥م. خرج بعدها ليمضي ستة أشهر خارج جدران السجن ليعود اعتقاله من جديد حيث تنتهي رحلته مع السجن بالإعدام ليموت شهيداً (رحمه الله) عام (١٩٦٦م)[١]. بلغت مؤلفاته (رحمه الله) حوالي العشرين، ولعل من أنفسها كتابه القيّم في التفسير المسمى: (في ظلال القرآن)[٢]. لسيد قطب – رحمه الله – مؤلفات عديدة في الأدب والنقد، وعن الإسلام عامة، إلا إنَّ الكتب التي تحدد آخر مراحل تطور فكره هي: (هذا الدين) و(المستقبل لهذا الدين) و(في ظلال القرآن) و(معالم في الطريق)[٣]. ولم يفرد سيد قطب كتاباً خاصاً يتضمن وجوه إعجاز القرآن الكريم لديه، غير إنَّه وضع نظراته وآراءه حول ذلك في كتابيه: (التصوير الفني) و(في ظلال القرآن) فقد وضع في كتابه (التصوير الفني) نظرية التصوير الفني في القرآن الكريم، حيث يقول د. صلاح الخالدي: «هي نظرية أصلية رائدة، تفرّد بها سيد قطب، وقد اعترف له العلماء والأدباء والنقاد والمعاصرون بهذه الريادة، وسجّلوا له هذه الأولية، في اكتشاف وتوضيح هذه النظرية البيانية القرآنية»[٤].

ويرى سيد قطب «أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها

---

(١) ينظر: الأعلام: ٥/٢١٣، وسيد قطب الشهيد الحي: ٣١، وينظر: أسلوب القرآن: ٤٢، ومدخل في ظلال القرآن: ١٩.

(٢) راجع في الترجمة كتاب: (سيد قطب- خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه).

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٠٦.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٨.

الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة»[1]. ثم يتوسع في معنى التصوير؛ فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة وبالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، في إبراز صورة من الصور، تتملأها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان[2].

ونلاحظ أنَّ الجانب الذي أبرزه سيد قطب في كتاباته هو جانب التصوير الفني في القرآن وارتبط اسم التصوير الفني في القرآن باسم سيد قطب، وهو أوائل من أبرز الجوانب الجمالية الفنية في أسلوب القرآن الكريم[3].

إنَّ خصائص التصوير الفني في القرآن عند سيد قطب تتمثل بما يأتي:

١- **التخييل الحسي**: هي حركة حيّة مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان أو الحياة المضمرة في الوجدان، ومن ألوانه ما يمكن أن نسميه «التّشخيص»؛ ويتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية. ومن ألوانه ما يتمثل في الحركة المتخيلة التي تلقيها في النفس بعض التعبيرات، ومنه ما يتمثل في الحركة الممنوحة لما من شأنه السكون[4].

٢- **التجسيم الفني**: هو تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم، ومنه تجسيم المعنويات، لا على وجه التشبيه

---

(١) التصوير الفني: ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٥.

(٣) ينظر: البيان: ١٨٢، والمنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث: ١٦٧.

(٤) ينظر: مدخل الى ظلال القرآن: ص ١٩٤، والإعجاز البياني تاريخ ومعالم: ١٣٠٣-١٣٠٤.

والتمثيل، بل على وجه التحيير والتحويل وكثيراً ما يجتمع التخييل والتجسيم في المثال الواحد من القرآن؛ فيصوّر المعنوي المجرد جسماً محسوساً، ويُخيّل حركة لهذا الجسم أو حوله من إشعاع التعبير[1].

٣- **التناسق الفني**: وهو عبارة عن ألوان ودرجات عند سيد قطب:

- منها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاص.

- ومنها التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات.

- ومنها التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص.

- ومنها النكت البلاغية التي تنبّه لها الكثيرون.

- وأعلى أنواع التناسق هو هذا التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص أو الخطوات النفسية التي تصاحبها[2].

ويقول سيد قطب عن التصوير الفني في القرآن: «وهكذا تنكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق، من التناسق والاتساق: فمن نظم فصيح. إلى سرد عذب. إلى معنى مترابط. إلى نسق متسلسل. إلى لفظ معبّر. إلى تعبير مصوّر. إلى تخييل مجسّم. إلى موسيقى منغّمة. إلى اتساق في الأجزاء. إلى توافق في الموسيقى. إلى تفنن في الإخراج. وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز»[3].

---

(١) ينظر: التصوير الفني: ٦٣، و٦٨-٧٢.

(٢) المصدر السابق: ٧٤-٧٥، وينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: ٣/٩٨٦.

(٣) التصوير الفني: ١٨٨.

وهكذا يرى سيد قطب أن التصوير الفني في القرآن هو مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي القرآني[1].

ويقسِّم مراحل تذوق الجمال القرآني إلى ثلاث مراحل هي:

١- **المرحلة الأولى:** مرحلة التذوق الفطري: لقد تذوّق العرب بحاستهم الفنية جمال القرآن الكريم الفني الساحر وأحسّوا تأثيره المباشر على قلوبهم، والكافرون الذين قالوا عنه: إنَّه شعر وإنَّه سحر، أدركوا إعجازه البياني الرفيع، وتذوقوا جماله الفني، وإذا نظرنا في الروايات التي سجّلت تأثير القرآن على المؤمنين والكافرين. فمثلاً عمر بن الخطاب يقول عن القرآن حين سمعه: «ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!» ويقول عن تأثير القرآن في نفسه: «فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام»[2]. وزعماء قريش يجدون شيئاً خفياً يسيّرهم كل ليلة ليستمعوا قراءة رسول الله ﷺ ولا يستطيعون الامتناع عن السير إليه مع تعاهدهم عليه ولا يملكون مخالفة هذا الدافع الخفي[3]. والتذوق الفطري الذي قام به الصحابة حيث لم يعللوا ما كانوا يجدونه في أثر القرآن عليهم وتأثيره فيهم[4].

٢- **المرحلة الثانية:** مرحلة إدراك مواضع الجمال المتفرقة: بدأت هذه المرحلة في منتصف القرن الثاني للهجرة عندما أقبل العلماء على القرآن من مفسرين وأدباء ومتكلمين. حيث نظروا في الآية كوحدة منفصلة، واستخرجوا منها

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني تاريخ ومعالم: ١٣٠٤-١٣٠٥، والبيان: ١٩٠.

(٢) السيرة النبوية: ٣٧٢/١.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٣٧٧/١، والتصوير الفني: ٢٣.

(٤) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ٤١٢، والمنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث: ص ٢٧.

مباحث في اللغة والأدب والبلاغة والأصول والفقه والعقيدة، وألّفوا مؤلفات في التفسير وفي علوم القرآن ضمنت مباحث متنوعة مثل قصص القرآن وبديع القرآن وتشبيهات القرآن ومعاني وإعجاز القرآن[1].

٣- **المرحلة الثالثة**: مرحلة إدراك الخصائص العامة: لقد ظهرت هذه المرحلة في العصر الحديث حيث بدأت الكتابة في الخصائص العامة للجمال الفني، باكتشاف القاعدة العامة والطريقة الموحدة في التعبير القرآني. تناول سيد قطب جانباً هاماً من القواعد الأساسية في أسلوب القرآن في كتابه (التصوير الفني) فكان رائداً من رواد هذه المرحلة في إبراز قاعدة أساسية عامة من الأساليب البيانية للقرآن[2]. حيث يقول سيد قطب: «إنَّ حقيقة جديدة تبرز لي، إنَّ الصور في القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره، إنَّ التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض عدا غرض التشريع بطبيعة الحال، فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب، ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز، ذلك توفيق لم أكن أتطلّع إليه، حتى التقيت به»[3].

❑ أمثلة على نظرية سيد قطب في التصوير الفني:

١- قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[4] حيث يقول: «فهي مخلوق

---

(١) ينظر: الإعجاز في نص: ٤١٢، ومباحث في إعجاز: ١٠٧-١٠٨.

(٢) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: ١٢١.

(٣) التصوير الفني: ٨.

(٤) سورة الملك، الآيتان: ٧-٨.

حي لها صفات الأحياء من البشر فهاهي تكظم غيظها فتكاد تميز من الغيظ وتتمزق منه فترتفع أنفاسها من كظمها له فتفور ويسمع السامعون لها شهيقاً مرعباً فظيعاً»[1].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[2] حيث يقول: «تحوّلت أعمالهم المعنوية هنا إلى سراب مجسم بقيعةٍ يراه الرائي ماء».

٣- وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾[3] حيث يقول: «الولاية لغير الله -وهي أمر معنوي مجرد- صارت هنا صورة منفّرة محقّرة محسوسة مجسمة، بيت عنكبوت ضئيل هزيل واهن».

وبهذه الدراسات القيّمة يكون سيد قطب قد أضاف بعداً جديداً إلى مفهوم إعجاز النظم القرآني من الناحية البيانية[4].

❑ رأي سيد قطب في الإعجاز:

يرى سيد قطب أنَّ الإعجاز في كل آيات القرآن الكريم وفي الآيات الأولى التي خلت من العلوم والتشريعات، ويرى أنَّ الإعجاز في بيان القرآن

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٦٣٤ باختصار.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٤) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: ١٤٨.

وأسلوبه ونسقه البياني وتصويره الفني[1]، ويرى أنَّ الإعجاز في القرآن قائماً على الإبداع في العرض والجمال في التنسيق، والقوة في الأداء والجمال في التصوير، ويرى أيضاً أن من مظاهر الإعجاز:

أ. المشاهد القرآنية: أنَّها مشاهد حيّة نابضة تكاد تكون ناطقة حيث يقول: «إنَّها مشاهد حيّة منتزعة من عامل الأحياء، لا ألوان مجردة، ولا خطوط جامدة، مشاهد تقاس فيها الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات، والخواطر والخلجات، وترسم المواقف وهي تتفاعل في نفوس آدمية حيّة، أو في شخوص من الطبيعة تخلع عليها الحياة»[2].

ب. أن مثل هذه المشاهد حاضرة تراها العين وتحسّها النفس يقول: «إنها حاضرة اليوم تراها العين، وتحسّها النفس، والفارق السحيق بين العاملين فارق قريب، بل لا فارق هناك في بعض الأحيان، بل ربما كانت الأخرى هي الحاضرة وكانت الدنيا ماضياً بعيداً يتذكره المتذكرون.

ونرى أن سيد قطب مرة يبدأ في قصة تقع في الدنيا، ثم يتابع الحديث، فإذا نحن في الآخرة: هذا فرعون يؤمّ قومه في الحياة الدنيا، ثم يستمر الشوط حتى يؤمّهم إلى النار، قال تعالى إخباراً عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾[3].

---

(١) ينظر: الإعجاز في نص الخطاب: ٤١٢.

(٢) مشاهد القيامة: ٤٣، وينظر: الفاصلة في القرآن: ٦٨.

(٣) سورة هود، الآيات: ٩٦-٩٨.

ومرة أخرى يزاوج بين مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة، ويسوقهما سوقاً واحداً كأنما هما حاضران في الزمان يتبادلان التقديم والتأخير، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾[(١)].

ومرة يتحدث أيضاً عن الدنيا كأنها ماضٍ كان، وعن الآخرة كأنها الحاضر الآن، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٢)].

وبهذا تلتقي هذه الألوان عند سمة واحدة وهي استحضار المشهد وإحياؤه، كأنما هو مشهود محسوس، وذلك بلا ريب أعظم تأثيراً في النفوس.

ج. سمة التناسق والترابط بين مختلف الجزئيات في المشهد مع الجرس في الألفاظ والاتساق في السياق[(٣)]... يقول سيد قطب: «وهو تناسق يتجلى في جزئيات المشهد، فتبدو هذه الجزئيات منسقة بين بعضها البعض لوناً من

(١) سورة المرسلات، الآيات: ٨-٢٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧١.

(٣) ينظر: أسلوب القرآن: ٤٤.

التماثل أو التشابه أو التقابل، ولكنها من جو واحد لا نشوز فيه ولا مفارقات، ويتجلى ثانية في جرس الألفاظ ليدل هذا الجرس على صورة معناه في بعض الأحيان، وليؤلف مع بقية الألفاظ إيقاعاً يناسب جو المشهد في جميع الأحيان. فإذا الموسيقى المصاحبة للمشهد تكمل جوّه، وتناسب أحاسيسه وتشترك مع الألفاظ في تصوير الغرض العام. ويتجلى ثالثةً في اتساق المشهد كله بألفاظه ومعانيه وجرسه وإيقاعه مع السياق الذي يعرض فيه، سواء جاء تعقيباً، أو مقدمة لبرهان، أو تأكيداً لقضية أو تثبيتاً لإيمان ومشاهد القيامة في القرآن كلها مسوقة لأداء الغرض الديني، ذلك الغرض الأول للقرآن. ولكنها تتصل بالوجدان الديني عن طريق الوجدان الفني...»[1].

ويرى سيد قطب: أنَّ من نواحي الإعجاز القرآني قضية التكرار في أكثر قصصه، حيث يقول: «لقد كان أول أثر لهذا الخضوع أن ترد القصة الواحدة -في معظم الحالات- مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها -غالباً- إنَّما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لوضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة في السياق.

ثم يقول: وفي كل تكرار صورة تختلف اختلافاً يسيراً أو كبيراً، وتنفي وهم التكرار بلا قصد إلى التكرار. وإن يكن للتكرار غرضه في صدد الدعوة، ولكنه مع هذا يسير مع الجمال الفني بالتنويع الدقيق الملحوظ...»[2].

كما ويرى الإعجاز في أساليب الأداء، وفي المنهج والدساتير التي حواها

---

(١) مشاهد القيامة: ٤٧.

(٢) التصوير الفني: ١٣٥.

هذا السفير الخالد، والتي شملت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتنظيم شؤون الحياة[1].

◻ الجانب التطبيقي في دراسة سيد قطب للإعجاز البياني في القرآن الكريم:

يتناول سيد قطب جوانب الجمال والإعجاز في السورة القرآنية ففي قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ... فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[2].

ونحن أمام مشهد[3] من المشاهد المطوّلة المتعددة الجوانب، المتنوعة الأساليب، المزدحمة بالمناظر الحيّة المتحركة، والحركات المتتابعة، يلتقي فيها الوصف بالحوار، فتسير على نسق الحكاية فترة، ثم تنتقل إلى نسق الحوار أخرى، ويتخلل سير الحوادث والمناظر تعليقات على كل منها، هي أشبه شيء بتعليق المعلّقين في ساحات الاستعراض على ما يقع فيها، ويستحق الالتفات الخاص، وبذلك كله يستكمل المشهد كل سمات الحياة، وقد جاء هذا الاستعراض طويلاً رداً على جماعة يقولون: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وكان الرد: نعم: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾[4].

---

(١) ينظر: أسلوب القرآن: ٤٦-٤٧، والإعجاز التأثيري: ٣٠.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥٠-٧٠.

(٣) ينظر: مشاهد القيامة: ١٥٥.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٦-١٨.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾[1] وبهذا السؤال والجواب ينفتح المجال للخيال لتصوّر المشهد من وراء الحوار، وتخيّل الصورة من وراء الظلال، هذه هي الأجسام تغذق إلى جهنم، وقد فتحت أفواهها، حتى إذا توالى القذف وتكدّس، قيل لها: هل امتلأت؟ وقد نالت ما يحقق لها الامتلاء، ولكنها قد التهمت ما ألقي فيها التهاماً، وإنَّها لتنحرف وتتلمظ إلى وقود جديد (هل من مزيد؟)... وحينما تشهد الجموع هذا المنظر الرهيب، يكون على الجانب الآخر، الجنة مقرّبة مهيّأة للمتقين ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾، وهم يلقون التكريم الأدبي بجـــانب النعيم الحسي فيسمعون من المـــلأ الأعلى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾[2].

إنَّه لمشهد رهيب مهيب، فيه الصورة، وفيه الحركة، والمشاهد تتابع محسوسة مجسّمة، والحوار يزيدها حياة وحرارة، ويمتد الحوار إلى جهنم، ليتم التناسق في التعبير والتصوير من جميع الأطراف. وإنَّه لمشهد مؤثّر في الوجدان، مثير للمشاعر والخيال، يؤدي غرضه الديني في يسر، ثم ينطلق إلى عالم الفن الطليق، لا تحدّه قيود الغرض المحدود، فلغة الجمال الفني تستطيع أن تخاطب الوجدان الديني، ولا تعارض بينهما في تصوير القرآن[3].

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٠.

(٢) سورة ق، الآيات: ٣٢-٣٥.

(٣) ينظر: مشاهد القيامة: ٩١.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1] حيث تحوّلت أعمالهم المعنوية هنا إلى سراب مجسّم بقيعةٍ يراه الرائي ماء.

المطلب الرابع: إعجاز القرآن، محمد متولي الشعراوي

هو الشيخ محمد متولي الشعراوي. أحد العلماء الأفذاذ الذين نجموا بمصر في القرن الرابع عشر ولد سنة ١٩١١م بقرية (وقادوس) من محافظة الدقهلية، وهذه القرية تعد الآن جزءاً من مدينة (ميت غمر) من الناحية الشرقية، درس في الأزهر وتخرّج من كلية اللغة العربية ١٩٤٦م. عمل مدرساً بالأزهر، ثم أعير إلى جامعة أم القرى بمكة، ظل يتنقل في مختلف المناصب طيلة حياته حتى أُسندت إليه وزارة الأوقاف، فعمل بها وزيراً في مصر مدة وجيزة، ثم تفرّغ للتدريس وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله[2].

❑ رأي الشيخ الشعراوي في الإعجاز:

يرى الشيخ أنَّ الإعجاز يكون في القرآن من حيث تمزيقه لحواجز الغيب الثلاث: حاجز الماضي، والمكان، وحاجز المستقبل. أما حاجز الماضي فهو يتضمن إخباره عن أمور حدثت في الماضي، فهي ضمن المغيبات؛ لأنّها غير مشاهدة للسامعين، فهي تتحدث عن الزمن الماضي، وتعد حجة على أهل الكتب السابقة. وكان الرسول الكريم ﷺ يتحدى اليهود والنصارى ويقول لهم: هذا القرآن هو من عند الله، وهو يصحح لكم ما بدّلتم وما حرّفتم في الكتب السماوية المنزّلة.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) ينظر: مقدمة المنتخب من تفسير القرآن: ١/٥، وأسلوب القرآن: ٥٣.

وأما تمزيقه لحاجز المكان في إخباره عن أدق أسرار النفس الإنسانية وما يعتمل في خباياها، وما تضمر في داخلها. فالقرآن الكريم لا يقول للمخاطبين: لقد هتكت حاجز الماضي، وأخبرتكم بأنباء الأولين ولا يقول لهم: سأهتك حاجز المكان وأخبركم بما يدور في بقعة قريبة لا ترونها، بل يقول: سأهتك حاجز النفس وأخبركم بما في أنفسكم، بما في داخل صدوركم... بما لم تهمس به شفاهكم، فهل هناك أكثر من هذا تحدياً... لحجاب المكان؟.. إنه تحدّ فوق قدرة كل الاختراعات البشرية التي وصل إليها العلم الآن[1] وجاء القرآن الكريم لأناس غير مؤمنين، وهتك حاجز النفس بالنسبة لهم فأخرج ما في صدورهم، وعرّاهم أمام الناس جميعاً وفضح كذبهم، ونشر على الدنيا كلها ما في صدورهم من كذب ورياء ونفاق أي: أهانهم أمام المجتمع كله[2].

وحاجز المستقبل: فقد أخبرنا القرآن الكريم في أدقّ تفاصيل عما يمكن أن يحدث في المستقبل من أحداث قريبة الوقوع، وأخرى بعيدة الوقوع. فقد أخبرنا القرآن عن غزوة بدر بأدقّ تفاصيلها، وعن انتصار المسلمين فيها وهم قلة على المشركين وهم كثرة. فيذكر القرآن الآيات المتعلّقة بهذا النصر حيث قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[3].

وقد أشار القرآن أيضاً إلى حضور بعض الكفرة المعاندين حضورهم المعركة وأنهم سيقتلون وحدد مصارعهم وموقع الضربة أين ستكون. وهذا الوليد بن المغيرة يقول القرآن عنه: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾[4] ويجرح أنفه يوم

---

(١) ينظر: المنتخب من تفسير القرآن: ١/١٠-١١، وأسلوب القرآن: ٥٤.

(٢) المنتخب من تفسير القرآن: ١/١٦-١٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة القلم، الآية: ١٦.

بدر ويبقى أثر الجرح فيه بقية عمره. من يستطيع من يحدد كل هذه الأشياء ويجزم ماذا سيحدث بعد ساعة واحدة أو أكثر؛ إنَّه هو الله الواحد الأحد عالم الغيب والشهادة[1].

ويرى الشيخ الشعراوي أنَّ للقرآن ثلاث مزايا امتاز بها على سائر الكتب المنزّلة وعلى سائر المعجزات، وهذه المزايا هي[2]:

أولاً: إنَّ معجزة القرآن معجزة عقلية باقية خالدة، لأنَّها معجزة للعالم وليست خاصة بأمَّة من الأمم أو جنس من الأجناس، فهي باقية ببقاء الحياة. أما معجزات الأنبياء الباقين فهي معجزات حسية مادية تنتهي بمجرد انتهاء عرضها. فمثلاً معجزات موسى عليه السلام كثيرة جداً أثبتت صدق موسى عليه السلام في دعوته، لأنَّ قومه برعوا في السحر، فجاءهم بأمر خارق للعادة، وهو (العصا) التي انقلبت حيّة، فهي تلقف ما يأفكون، والأمر أيضاً خارج عن نطاق السحر، فإذا به يفوقهم في جنس ما برعوا فيه وليس منه... من هنا خرَّ السحرة ساجدين، قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[3].

إنَّها معجزة كونية حسيّة جاءت فأثبتت صدق موسى عليه السلام فيما جاء به، من رآها آمن بها، ومن لم يراها صارت عنده خبراً[4].

ثانياً: المعجزة القرآنية منهج ودستور، جاء القرآن كمعجزة لرسول الله ﷺ دالة على صدقه فيما جاء به من عند الله، فجاءت من جنس ما برع

(١) ينظر: المنتخب من تفسير القرآن: ٩/١٠٨، وأسلوب القرآن: ٥٦.

(٢) ينظر: المنتخب من تفسير القرآن: المقدمة.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦-٤٨.

(٤) ينظر: المنتخب من تفسير القرآن: ١/١٧، وأسلوب القرآن: ٥٦-٥٧.

فيه قومه الذي برعوا في صناعة الكلام، ولهذا نجد إنَّ المعجزة القرآنية هي نفس المنهج والدستور، فظلت محفوظة ببقاء المنهج، والمنهج قد تكفّل الله بحفظه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] أما بقية معجزات الأنبياء فإنَّها منفصلة عن المنهج، فمثلاً معجزة موسى عليه السلام هي العصا واليد، ومنهجه التوراة.

ثالثاً: فإنَّ معجزة النبي ﷺ صفة من صفات ربّ العزّة والجلال، وهي صفة الكلام، والصفة باقية ببقاء الموصوف، وهو عظيم الجاه. وبقية معجزات الأنبياء أفعال للمولى، وفعل المولى من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله المولى سبحانه، كالبحر الذي انشق لموسى عليه السلام ثم عاد إلى طبيعته الأولى، والنار التي لم تحرق الخليل عليه السلام لكنها عادت إلى خاصيتها من الإحراق بعد ذلك[2].

ويرى الشيخ الشعراوي -رحمه الله- أنَّ معجزة القرآن مستمرة حين نجده أجرى مقارنة بين معجزة القرآن، وبين المعجزات السابقة، وبيّن الفروق التي بينهما. ومن الفروق التي لاحظها:

١- المعجزات السابقة كونية خارقة لنواميس الكون ومظاهره بعكس القرآن.

٢- المعجزات السابقة أثرها موقوف خاص بمن شاهدها، بينما القرآن معجزته مستمرة، يؤثّر في الناس حتى قيام الساعة.

٣- المعجزات السابقة تعتبر من أفعال الله، وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله. أما القرآن فهو من صفات الله، لأنَّ القرآن كلام الله،

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) ينظر: المنتخب من تفسير القرآن: ١/١١٢ و٣/١٧٨ و٩/٢٤١، وأسلوب القرآن: ٥٧-٥٨.

والكلام صفة ملازمة لله، وصفات الله لا تنتهي، لأنها باقية ببقاء الله. ولذلك القرآن معجزة مستمرة[1].

٤- القرآن به عطاء لكل جيل يختلف عن عطائه للجيل السابق.

٥- القرآن للعالمين جميعاً، وليس لقوم محدودين.

٦- القرآن يحوي الحقائق الأساسية في الكون كله.

٧- القرآن يعطي كل عقل ما يتفق مع مستواه وحجمه.

ويرى أيضاً أنَّ إعجاز القرآن مستمر ومتجدد، وأنَّ المستقبل يضيف أبعاداً جديدة لمعاني الآيات، وأنَّ الإنسان كلما تقدّم في العلوم والمعارف كلما أدرك الإعجاز القرآني بصورة أوضح. حيث يقول -رحمه الله-: «وفي القرآن إعجازٌ لا يتنبّه إليه العقل إلا بعد أن ينشط، ويكشف المستور عنه من حقائق الكون وأسراره... حينئذٍ يتبيّن أنَّ للقرآن وجوه إعجاز أخرى، أو جديدة، تزيد في معنى الإعجاز... أو تعطي أبعاداً جديدة لما يقال. بل إنَّ إعجاز القرآن موجودٌ أحياناً في حرف... حرفٌ من القرآن يحمل إعجازاً رهيباً. إنّ للقرآن عطاءً لكل جيلٍ يختلف عن عطائه للجيل السابق... ذلك أنَّ القرآن للعالمين... وإلا لو أفرغ القرآن عطاءه الإعجازي في قرنٍ من الزمان مثلاً، لاستقبل القرون الأولى بلا عطاء... وبذلك يكون قد جمد... والقرآن متجدّد لا يجمد أبداً»[2]. وأبرز ما يكون التجدد في الإعجاز وضوحاً، في الآيات القرآنية ذات المضامين العلمية والتي تتعلّق بحقائق الكون الأساسية[3].

---

(١) معجزة القرآن: ١٨-١٩.

(٢) معجزة القرآن: ٢١ باختصار، وينظر في: ٨٧-٨٨.

(٣) المنتخب من تفسير القرآن: ١/١٨، وينظر: البيان: ٣٠٧.

❑ الجانب التطبيقي لدى الشيخ الشعراوي:

نرى الشيخ الشعراوي يبرز لنا عدة جوانب تطبيقية لمظاهر الإعجاز القرآني حيث يطبقها على تفسير آيات الذكر الحكيم فيما يتعلق بصدق أخبار الله تعالى عن أحداث المستقبل القريب أو البعيد. حيث يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1] ويتحقق فيما أخبره الله. وتمضي آيات القرآن تمعن في التحدي فتقول: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

ما هذا؟ أيستطيع محمد ﷺ أن يتنبأ بنتيجة معركة ستحدث بين الروم والفرس بعد بضع سنين؟ هل يستطيع قائد عسكري مهما بلغت قوته وعبقريته ونبوغه أن يتنبأ بمصير معركة عسكرية بعد ساعة واحدة من قيامها؟ فما بالك أن ذلك يأتي ويقول: إنَّه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر فيها الروم. إنَّ المتكلم هنا هو الله والفاعل هو الله، ومن هنا كان هذا الأمر الذي نزل في القرآن يقيناً سيحدث، لأنَّ قائله هو الله، وهو الذي يقول ما يفعل، ومن هنا حدثت الحرب وانتصر الروم على الفرس فعلاً كما أخبر الله تعالى[3]...

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١-٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٦.

(٣) المنتخب من تفسير القرآن: ١/٢٠-٢١.

ويقول تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾[1] هذه الآية عن الكفار يوم القيامة، والهدف منها هو أن يقول الله ﷻ: إنَّ العذاب سيستمر في الآخرة، وكانوا يقولون: إنَّ مراكز الإحساس موجودة في المخ، وأن الجلد ليس فيه مراكز إحساس، كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة، أما أثناء نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئاً عن ذلك على الإطلاق فيأتي الله تعالى فيقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فكأن العذاب له صلة بالجلد، والإحساس بالعذاب يأتي من الجلد، ثم يكتشف العلم أخيراً أن مراكز الإحساس بالألم[2] موجودة فعلاً في الجلد، وهي التي تحسّ العذاب[3].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[4] ومعنى النفخ أي: نفس، أي: أنَّ هناك نفساً خرج من النافخ إلى المنفوخ فيه فبدأت الحياة تدب فيه، ولذا تنتهي الحياة بخروج النفس فأنت إذا شككت في أنَّ أي إنسان قد فارق الحياة يكفي أن يقال لك: إنَّه لا يتنفس[5]، لتتأكد يقيناً أنه مات. إذ دخول الحياة إلى الجسد هو دخول هذا النفس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وخروجها هو خروج هذا النفس، فالمسألة يقيناً كما قال الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٢) المنتخب من تفسير القرآن: ١/٣٠.

(٣) ينظر: أسلوب القرآن: ٦٣.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٥) المنتخب من تفسير القرآن: ١/٢٧-٢٨.

ويمكن أن نستخلص من دراسات الأقدمين والمحدثين بعض المقاييس فقد كان أبرزها:

١- ملاحظة أنَّ كل مقياس جمالي كان يشير إلى تأليه ويسلم إليه، فقد كان المقياس التالي: هو التلاؤم بين الألفاظ ومعانيها... وكان الرماني من أول الذين التفتوا إلى هذا الوجه فعدّه من مظاهر الإعجاز في القرآن، ثم تتابع العلماء من بعده، وعدّوه من أبرز المقاييس الجمالية في الأسلوب وهم بسبيل الحديث عن المعنى الكريم، وأنَّه من الواجب أن يلتمس اللفظ الكريم... فللمدح مثلاً ألفاظه الخاصة، ولا تستعمل في الهجاء... هكذا ومن ثم نقدوا الكلام الذي فقد هذا التلاؤم بين اللفظ ومعناه.

٢- الوحدة الفنية في أسلوب القرآن... التعبير في القرآن يتضمن الجمع بين فنون القول المختلفة والأغراض المتباينة في سوره بل في السورة الواحدة، وكان المثير للدهشة أنَّ هذا القرآن قد جاءت آياته وليس فيها شيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، وليس فيها شيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق[1].

٣- إبداع النظم وإحكام التأليف.. وقد أوضحت الدراسات السابقة مدى اهتمام العلماء جميعاً بهذا النظم القرآني البالغ حد الإعجاز.. وقد كان التركيز فيما يتعلق بالنظم على عبد القاهر خاصة في هذا الميدان لما بذله ذلك العالم من الجهد حتى أبرز هذا النظم في مستوى المقاييس النقدية الأصلية والجامعة التي يقاس بها الجمال في العمل الأدبي.

---

(١) ينظر: النقد الأدبي: ٣/١٦٣-١٦٤.

٤- الإيجاز في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى. وكان هذا المقياس الجمالي أيضاً من أهم الظواهر القرآنية التي لفتت أنظار العلماء، ومن ثم كان لتلك الظاهرة جانب كبير من الدراسات النقدية والبلاغية التي قامت حول القرآن وإعجازه، كما توالت الآثار الأدبية لتكون شاهد صدق لهذا اللون من التعبير وما له من جمال فني يتسم به كل عمل أدبي جميل.

٥- المقياس النفسي: وكان هذا المقياس هو النتيجة الطبيعية لكل ما سبق من مقاييس الجمال، أو هو بمثابة الهدف الأساسي الذي دارت حوله ومن أجله كل مقاييس الجمال في كل فن أدبي جميل.. ومن المعلوم أنَّ مقياس الجودة الأدبية هو مدى تأثير الصور البيانية في نفوس متذوقيها بما جمعت في إطارها من مظاهر الروعة والإبداع.

٦- حسن البيان وقوة الوضوح.. ولعل الاهتمام بهذا المقياس الجمالي كانت نتيجة مباشرة لتلك الوحدة الفنية التي التحمت فيها آيات القرآن وتماسكت صوره، فكان هذا البيان والوضوح رداً حاسماً على كل متوهم أن الصور، الجزئية في تعبير القرآن قد توارت واختفت معالمها في غمار هذا الترابط والالتحام.



الفصل الثاني
أنواع الإعجاز القرآني

المبحث الأول
الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله تعالى ووثيقة السماء الخالدة، وإنَّ الهدف الأساس للقرآن هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها، وقد أنزله الله تعالى ليكون موعظة وشفاء ونوراً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾(٢) وجاءت هذه الهدايات والدعوة إليها بأساليب متنوعة، فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة، إلى لفت نظر إلى واقع القصور البشري. والقرآن الكريم كتاب الإنسانية كلها، ونوره يبقى يشع مادامت الحياة، وكما جاء القرآن دعوة للإيمان الصحيح، كذلك فإنَّه دعوة صريحة للعلم والنظر والتفكير، ولا نجد كتاباً سماوياً أو أرضياً، كرَّم العلم والعلماء، كقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وجعل القرآن الكريم دعوته للعلم مفتوحة للبشر جميعاً، لم يفرق بين غني وفقير ورجل وامرأة. ولقد نمت دعوة القرآن للعلم، فأحيت أمة من أجداثها، وإذ بهذه الأمة الأمية، التي منَّ الله عليها بالهداية، يصبح كل بيت من بيوتها، ومسجد من مساجدها، موئلاً للعلم، يأتيه الناس على اختلاف لغاتهم وأديانهم من كل فج ليشهدوا منافع لهم. ونجد إنَّ القرآن بدعوته المفتوحة للعلم، بنى حضارة شامخة سعدت بها[2] الإنسانية حيناً من الزمن، وأنَّ هذا القرآن لن يناقضه علم كوني صحيح. وجاء في القرآن من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم الشرائع الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات؛ لأنَّ المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة والعقل، وكل ذلك في دائرة المحدود الممكن، لذا كانت قواعد المخاطبات وأسسها العامة تعمّ كل من كان في عصر نزول الوحي ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[3]. ونجد إنَّ المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد إنَّ مئات الآيات قد تحدّثت عن سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ونظامه وألوان العناية الربانية بمخلوقاته فيه[4]، لذا كان لزاماً على المهتمين بالدراسات القرآنية أن يولوا هذا الجانب اهتمامهم،

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٥٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٤) يقدر عدد الباحثين عدد الآيات التي تحدثت عن الكون (الآفاق والأنفس) بما يزيد عن: (٩٠٠ آية) مبثوثة في ثنايا سور القرآن الكريم. ينظر: (القرآن والعلوم): ٣٣.

والذين يفسرون القرآن الكريم بما يطابق مسائل العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية. مثل صاحب كتاب (تفسير الجواهر) الواقع أنهم يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعاً؛ لأنَّ هذه النظريات العلمية في واقع الأمر هي خاضعة لسنّة التقديم، وبالتالي نراه دائماً في تبدّل، فإذا فسّرنا القرآن بهذه النظريات تعرّضنا في تفسيره للنقائض والطعن فيه كلما تبدلت هذه النظريات العلمية أو تتابعت بجديد ينقض القديم أو يقين يبطل التخمين[1].

المطلب الأول: ضوابط في مبحث الإعجاز العلمي وتفسير الآيات الكونية

لقد وضع بعض العلماء ضوابط يجب أن توضع نصب عين من يريد أن يتناول كتاب الله بالتفسير حتى يكون على هدى من أمره، وحتى لا يضل الطريق فقبل البدء ببحث الآيات الكونية ينبغي أن نضع نصب أعيننا الضوابط التالية:

١- القرآن كتاب هداية:

إنَّ القرآن العزيز هو كتاب هداية، هداية الناس إلى بارئهم للقيام بما كلفهم الله تعالى به، وأوكل إليهم في خلافة الأرض ولأداء المهمة التي خلقهم الله تعالى من أجلها، وهي عبادته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[2].

وقد سلك القرآن العظيم جميع المسالك العقلية والفطرية لحمل الإنسان على هذا الهدف، فلفت الأنظار إلى الكون المحيط بأفلاكه وكواكبه وليله

---

(١) ينظر: الإعجاز والبيان: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨.

ونهاره وسحبه وأمطاره. وكذلك لفت النظر إلى أعماق النفس الإنسانية بعواطفها ومشاعرها وقدراتها، وارتفاعها وإخلادها في الأرض.

وشد الانتباه إلى ما يحيط بالإنسان وما هو مسخّر لخدمته، وتيسير المشتقات عليه من الحيوان والنبات والجماد، لذا ينبغي أن تبقى الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية في هذا الحدود، ولا تؤثر على الهدف الأساسي للقرآن الكريم[1].

٢- مرونة الأسلوب القرآني:

نلاحظ أن الأسلوب القرآني وخاصةً المتعلق بالآيات يكون أسلوباً مرناً يقبل وجوهاً في التأويل، لذا نجد إنَّ القرآن الكريم عندما يعرض القضايا الكونية أو الجوانب المادية أو المعنوية في الإنسان، فإنه يستعمل أسلوباً مرناً يقبل وجوهاً للتأويل. فعند إرادة فهم الكلمة القرآنية أو العبارة فإنه لابد من الرجوع إلى دلالات الكلمة الحقيقية والمجازية، واستعمالاتها في اللغة العربية، لتكون المعاني التي تحتملها الكلمة واضحة في الذهن عند الإقدام على تفسيرها[2].

٣- ترك الإفراط والتفريط:

يشترط التقيد بالمنهج القرآني وعدم التفريط في البحث بالآيات الكونية، وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمل فلا ينبغي أن تهمل التوجيهات بصدد ما في الكون، فإن أهملنا فقد فرّطنا في مئات الآيات التي تشدّنا إليها شدّاً. إلا إنَّ هذا الشدّ ينبغي أن نقف عند حدوده فلا نتجاوز، إلى البحث عن دقائق خصائص هذه الأمور الكونية أو الإنسانية. فنفصل القول في ذلك ونجعل

---

(١) ينظر: الإعجاز والبيان: ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: الإعجاز والبيان: ٢٤-٢٥.

تفاسير القرآن وكأنها كتب لهذه العلوم المختصة فلا نترك صغيرة ولا كبيرة إلا ونربطها بتفسير الآية الكريمة. وينبغي أن تكون تفاسيرنا وقعت لشرح وبيان الأساليب المستخدمة لتحقيق هذه الهداية[1].

٤- الحقائق العلمية مناط الاستدلال:

ينبغي أن نبعد عن الساحة الفرضيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية، وينبغي عدم ذكر النظريات ولو من باب الاستئناس بها، لأنَّ ربط نظرية قابلة للتغير والإبطال بتفسير آية قرآنية يورث شعوراً معيناً لدى القرّاء، وفي حال ظهور بطلان هذه النظرية فلن يسلَم الفهم الخاص بالآية من تشويش وكلام الله تعالى منزّه عن أن يطرأ عليه ذلك. ومن هنا كان خطأً بعض المفسرين الذين ذكروا الروايات الإسرائيلية التي تدخل تحت نص «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» عندما وضعوها في تفاسيرهم وقرنوها بالآيات الدالة على ما هو قريب منها حتى أصبح الناس ينظرون إليها على إنَّها تفسير للآية لا محيد عنه[2].

٥- إتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة:

يجب عدم تعجيل النتائج بأن نعلم أنَّ الأمور مرهونة بأوقاتها، وأنَّ خير مفسر للقرآن الزمن، وأن نضع نصب أعيننا قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإنَّ التوجيه القرآني لسلوك المنهج الذي

---

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في السُنة النبوية: ١٠٨٣/٢، ومباحث في إعجاز: ١٦٠-١٧٠.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ١٣، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ١٦١.

ينبغي أن يسلك في هذه المجالات. ونلاحظ أنَّ أمور الكون قائمة على سنن خلقها الله تعالى. وسير الكون بموجبها فإنَّ من تعرف على هذه السنن أمكنه تسخيرها لمعالمه. وهذه سُنَّة الله في أمور الحياة الدنيا فهي تعطى لمن أحبه الله ولمن لم يحبه وأما الآخرة والهدايات الربانية فلا تعطى إلا لمن يحبه الله(1)، وإلى مثل هذا تشير الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾(2).

٦- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية:

يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية؛ لأنَّهما من مشكاة واحدة. وينبغي أن نلاحظ أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأي جانب من جوانب الكون أو الإنسان أو الحيوان -إذا كانت قطعية الدلالة- لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصل الجهد البشري إليها بناءً على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية. وأننا نؤمن بأنَّ القرآن منزّل من عند الله تعالى خالق الكون، وواضع سننه ومدبّر شؤونه وأن الحقائق العلمية التي تكتشف هي ما صنعه ووضعه في الكون، ولا يليق بحكمة الخالق أن يخلق شيئاً على هيئة معينة ثم يخبرنا بخلافها، تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(3) وهنا سؤال يطرح نفسه:

---

(١) ينظر: جوامع كلم القرآن وشواهد الإعجاز: ٢٧، ومباحث في إعجاز: ص١٥٢-١٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٨-٢٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٤.

هل يمكن أن تفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً؟ وهل هناك إعجاز علمي؟

ج/ اختلفت كلمة العلماء قديماً وحديثاً في هذه القضية، ولكن خلافهم منبعث من حرصهم على هذا القرآن، وناشئ عن إجلالهم له، ودفع كل شبهة تقوم حوله. وهنا نعرض:

المطلب الثاني: آراء العلماء المجوزين والمانعين الأقدمين منهم والمحدثين

أولاً: المانعون من الأقدمين:

إنَّ من أعظم ما أنتجه الفكر الإسلامي والأمة الإسلامية هو الإمام أبو إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: ٧٩٠هـ). وأنتج كتاب الموافقات الذي عرض فيه لهذه القضية ونعني بها تفسير القرآن بما جدّ من علوم، ويعقد مسألة خالصة بهذه القضية، حيث قال فيه بعض الأمور منها:

أولاً: إنَّ الأمة التي أرسل فيها النبي الكريم هي أمة أمية، وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[1] بل إنَّ الله وصف نبيه ﷺ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[2] ويقول النبي ﷺ: «نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا».

ثانياً: لقد وجدت علوم بعد القرآن الكريم على هذه الأمة لم تكن معروفة لدى الصحابة -رضوان الله عليهم- كعلوم الطبيعيات والفلسفة، والفلك وغيرها. وحينما تحدى القرآن الكريم العرب أن يأتوا بمثله، إنَّما تحداهم بما كان معلوماً عندهم[3]، ولا يجوز أن يكون قد تحداهم بما ليس

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٧، وينظر: صحيح البخاري: ٣/٢٧.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٥١-٢٥٢.

كذلك، إذ لو تحداهم بشيء منه لقالوا: كيف تتحدانا بشيء لا نعرفه، ومن هنا فلا تقوم الحجة عليهم، ويستدل بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[1].

ثالثاً: إنَّ العرب الأميين الذين نزل فيهم القرآن الكريم، وتحداهم الله أن يأتوا بمثله، كان لهم معرفة ببعض العلوم كعلم النجوم، قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2].

رابعاً: يرى الإمام الشاطبي -رحمه الله- بعد هذه المقدمات أنَّه لا يجوز لأحد أن يفسّر آي القرآن الكريم، بما لم يكن معروفاً عند الصحابة مما جدّ فيما بعد.

ولهذا اقترن اسم الإمام الشاطبي بهذه القضية، فلا نجد أحداً قديماً وحديثاً يعرض لهذه القضية، دون أن يذكر أول ما يذكر رأي هذا الإمام[3].

ثانياً: المانعون من المحدثين:

والعلماء المحدثون الذين منعوا تفسير آي القرآن الكريم تفسيراً علمياً، لم يخرجوا عما قاله الإمام الشاطبي، ومن أبرز أولئك المانعين هو الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الأسبق، وهو إمام ذو عقلية فذة -رحمه الله-.

حيث يقول: وأما الناحية الثانية: فإنَّ طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بواف من العلم الحديث، وتلقفوا شيئاً من النظريات العلمية

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٢) سورة النحل: الآية ١٦.

(٣) ينظر: الموافقات: ١٢٨/٢، وينظر: إعجاز القرآن: ٢٥٣-٢٥٤.

والفلسفية وغيرها أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها. نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] فتأولوها على نحو زيّن لهم أن يفتحوا في القرآن فتحاً جديداً، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام[2].

وفي هذا النوع أن يفسر بعض الناظرين في القرآن قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] بما ظهر في هذا العصر من الغازات السامة، والغازات الخانقة التي أنتجها العقل البشري بعيداً عن قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[4].

ويعرض الشيخ بعض الآيات التي فسّرت ببعض النظريات العلمية، ثم يقول: إنَّ هؤلاء في عصرنا الحديث لمن بقايا قوم سالفين فكروا مثل هذا التفكير ولكن على حسب ما كانت توحى به إليهم أحوال زمانهم، فحاولوا أن يخضعوا القرآن لما كان عندهم من نظريات علمية أو فلسفية أو سياسية[5].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) سورة الدخان، الآيتان: ١٠-١١.

(٤) سورة الدخان، الآية: ١٢.

(٥) تفسير القرآن الكريم: ١١-١٣، وبراءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه: فصل ٤١: ١١، وينظر: إعجاز القرآن: ٢٥٥.

المطلب الثالث: المثبتون للإعجاز العلمي من القدماء والمحدثين

أولاً: الأقدمون:

إنَّ أكثر علماء الأمة ومنهم علماء الكلام وجمهور المتصوفة لا يرون مانعاً من تفسير القرآن تفسيراً علمياً فرأيهم أنَّ آيات القرآن فيها دقائق العلوم ما لا يحصى منهم الإمام الغزالي والإمام الرازي -رحمهم الله جميعاً-.

ينعى على من اعترض عليه لإيراده في تفسيره ما أورد من مسائل العلم وقضايا الكون، يقول: وربما جاء بعض الجهال والحمقى، وقال: «إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنَّك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل، لعرفت فساد ما ذكرته...

إنَّ الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والحكمة، بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور، وكررها، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه العزيز منها...»[1].

ونجد الحكيم داود الأنطاكي (ت: ١٠٠٨هـ)، حيث نقل عنه الرافعي -رحمه الله- تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾[2] وغير أولئك كثير.

---

(١) تفسير الرازي: ١٤/١٢-١٢٢.

(٢) يقول الرافعي: ولقد قرأنا هذه الآية الكريمة على طبيب مسيحي محقق فاضل من أصدقائنا، ونبهنا إلى هذه الدقائق، فقال: آمنت بما أنزل على محمد [إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٣٦].

المحدثون:

ومن أولئك المحدثين الإمام محمد عبده -رحمه الله- والشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ مصطفى صادق الرافعي والدكتور محمد عبد الله دراز حيث نجد السيد رشيد رضا يقول وهو يتحدث عن الإعجاز العلمي: «قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، وكانوا يقولون فيه إنَّه تشبيه لتأثير الرياح الباردة في السحاب، بما يكون سبباً لنزول المطر، بتلقيح ذكور الحيوان لإناثه. ولما اهتدى علماء أوربا إلى هذا، صرح بعض المطلعين على القرآن منهم بسبق العرب إليه قال مستر أجنيري المستشرق: «إنَّ أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربا بثلاثة عشر قرناً» نعم إنَّ أهل النخيل من العرب، كان يعرفون التلقيح، إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك، ولم يفهم المفسرون هذا من الآية بل حملوها على المجاز»[1]، ويقول الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2] فهو موافق لما ثبت في الهيئة الفلكية، مخالف لما كان يقوله المتقدمون، «ومنه أيضاً الآيات المتعددة الواردة في خراب العالم عند قيام الساعة، وكون ذلك يحصل بقارعة تقرع الأرض قرعاً وتصخها فترجها، وتبس جبالها بسّاً فتكون هباءً منبثاً. والآيات في هذا وفيما مثله، تدل دلالة صريحة على بطلان ما كان

---

(١) تفسير المنار: ١/٢١٠.

(٢) سورة يس، الآيات: ٣٨-٤٠.

يقوله علماء اليونان، ومقلدتهم من علماء الغرب في الأفلاك والنجوم، وعلى إثبات ما تقرر في الهيئة الفلكية العصرية في ذلك، فهذه المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه، كانت مجهولة للعرب، حتى إنَّ المسلمين أنفسهم، كانوا يتناولونها ويخرجونها عن ظواهرها لتوافق عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد، أو نظريات العلوم، فإظهار ترقي العلم لحقيقتها المبينة في ما يدل على إنَّها موحى بها من الله تعالى»[1].

وأما الدكتور محمد عبد الله دراز: فإننا نجده يقول: «إنَّ القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة -لا لغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب- وإنَّما لأنَّها تذكر بخالق الحكيم القدير. ونجد إنَّ هذه الحقائق التي يقدمها تتفق مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث، مثل المنبع الخفي الذي يخرج منه العنصر الجنس للإنسان ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[2] والمراحل التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾[3] والمنشأ المائي لجميع المخلوقات الحية ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4] ووصف حياة النحل بصفة خاصة ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ

(١) تفسير المنار: ١/٢١١.

(٢) سورة الطارق، الآيتان: ٦-٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾[1] وثنائية النباتات والمخلوقات الأخرى، وهي حقيقة علمية كان يجهلها عصر الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ومنها أيضاً تكوين المطر قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[3] إلى آخره[4].

وأما الأستاذ عبد الوهاب حمودة: فإنَّه يقول: «والرأي الذي نميل إليه، هو إننا في حاجة شديدة إلى أضواء العلم، تكشف لنا عن حكم وأسرار جاءت بها الآيات الكريمة، ولا ضرر من عدم قصر فهمه على ما كان عند العرب في علمها، ومألوف معارفها، لأنَّ القرآن أنزل للناس كافة يأخذ منه كل على قدر استعداده وحاجته، مادام ذلك لا يتنافى مع ما قصّه القرآن من الهداية، وما يهدف إليه من الإرشاد. فكم من حكمة فيه إذا ما مستها يد العلم أسفرت أسرارها، فظهرت أنوارها عن سر إعجازها وسحر بيانها...»[5].

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٦٨-٦٩.

(٢) سورة يس، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٤) مدخل إلى القرآن: ١٧٦.

(٥) مجلة لواء الإسلام، العدد (١٠) سنة (٢) بعنوان: التفسير العلمي.

المطلب الرابع: نماذج من التفسير العلمي

١- خلق الإنسان في رحم الأم والنشأة الجنينية:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(١)] يقول المفسرون القدامى: إنَّه قدّم السمع على البصر وأفرد السمع لأفضليته، ولأنَّه مصدر لا يثنى ولا يجمع فإذا جاءت حقائق العلم تثبت أنَّ حاسة السمع يمنحها الله للطفل قبل حاسة الإبصار، وأنَّ السمع إنَّما يدرك به شيء واحد، وهو الأصوات بينما يدرك بالبصر أكثر من شيء، وكان هذا لا يتعارض مع مفهوم الآية، ولا يعارض أثراً عن الرسول ﷺ، في المانع -إذن- أن يكون هذا تفسيراً علمياً للآية فيكون إعجازاً قرآنياً خالداً[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ﴾[(٣)] المفسرون القدامى يعدون هذه الظلمات الثلاث ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة، ويأتي علم التشريح الحديث ليثبت بما لا يقبل الشك أن هذه الظلمات إنَّما هي أغشية ثلاثة، تحيط بالطفل غشاء فوق غشاء، وهذه الأغشية لا تظهر بالعين المجردة، وهي: المنباري، الخربوني، اللفائفي[(٤)]. والطب الحديث يقول عنها: إنها ثلاثة أغشية تحيط بالجنين داخل الرحم وتسمى:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ٥٢، إعجاز القرآن: ٢٧٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦.

(٤) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢١٣.

أ. غشاء السلى أو (الأمنيون) ويحيط بالجنين مباشرة.

ب. غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي).

ج. الغشاء الساقط[1].

أ. غشاء السلى (الأمنيون):

وهو عبارة عن كيس غشائي رقيق ومُقفل يحيط بالجنين إحاطة تامة وبه سائل يزداد مع نمو الجنين... والجنين يلعب وسط هذا السائل ويتقلب يميناً ويساراً بل ويتشقلب رأساً على عقب. ويمسك بالحبل السري وهو في أمان تام، وللسائل الأمنيوني فوائد جمة من أهمها:

١- تغذية الجنين: حيث يحتوي السائل على مواد زلالية وسكرية وأملاح يمتصها الجنين مما يساعد على تغذيته.

٢- حماية الجنين ووقايته من الصدمات المفاجئة والحركات الخفيفة والسقطات التي تتعرض لها الأم.

٣- يحتفظ الجنين بحرارة ثابتة تقريباً فهو مكيّف جيد بحيث لا تزيد الحرارة ولا تقل إلا في حدود ضئيلة جداً.

ب. غشاء الكوريون (الغشاء المشيمي):

وهو الغشاء الثاني الذي يحيط بالجنين، والزغابات الكثيرة الموجودة في هذا الغشاء ينتقل الغذاء والأوكسجين بواسطتها من الأم إلى الجنين، كما ينتقل غاز ثاني أوكسيد الكربون والبولينا من الجنين إلى دم الأم.

---

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية: ٤٥.

ج. الغشاء الساقط:

وهو الغشاء المكوّن من الغشاء المخاطي المبطن للرحم، وسمي الساقط لأنه يسقط ويخرج مع دم النفاس(١).

❑ النشأة الجنينية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ﴾(٥).

تشير الآيات الكريمات إلى أطوار التكوين السبعة التي يمر فيها الإنسان حتى يصبح بشراً سوياً. وأصبحت هذه الأطوار من أهم دراسات العلوم الطبية الحديثة. حيث ننظر إلى دقة التعبير القرآني حيث عبّر عن الرحم بالقرار المكين والقرار بهذه الصفة عرف تماماً وصفه في عصر العلم.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم وعلم الجنين: ١٧٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٢-١٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٥.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٣٧.

ويقول د. محمد علي البار في كتابه: من هذه الآيات نستطيع أن نحدد معالم أطوار الجنين الإنساني وهي:

(١) نطفة (٢) علقة (٣) مضغة مخلقة وغير مخلقة (٤) عظام (٥) لحم يكسو العظام (٦) التربة والتصوير (خلق آخر) والتعديل (٧) نفخ الروح[١].

أما مرحلة النطفة: فتطلق النطفة على ثلاثة أشياء هي:

١- **نطفة الذكر:** وهي الحيوانات المنوية.

٢- **نطفة الأنثى:** البويضة.

٣- **النطفة الأمشاج:** وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة أي البويضة الملقحة، والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الإنسان حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٢].

أما مرحلة العلقة: فهي الطور الثاني الذي تنتقل إليه النطفة، ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع (منذ التلقيح) عندما تلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم... وهناك جملة تعلقات في هذه المرحلة: تعلق أولي بواسطة الخملات الدقيقة، ثم تعلق ثانٍ بواسطة الخلايا الآكلة، ثم تعلق ثالث بواسطة الخملات المشيمية، ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق، ولاشك أنَّ أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق، وإنَّ وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد (المتخثر) هو أدق وصف لهذه المرحلة، وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريباً.

---

(١) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٣٣٨، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٩٦.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

أما مرحلة المضغة التي تعقبها في (الأسبوع الرابع)[1]: ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح الجنين جهة الرأس ثم يتوالى ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين... ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح... ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محور الجنين.. ويكون وصف المضغة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها هو أصدق وصف وأدقه لهذه المرحلة[2].

❑ مرحلة العظام واللحم:

وهي مرحلة تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع، وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح، وإنْ كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام، وأول علامة على وجود عضلات الأطراف تظهر في الأسبوع السابع. وبهذا فإنَّ العظام تسبق العضلات... ثم تكسو العضلات العظام وصدق الله العظيم حين قال: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾.

---

(١) عندما يكون عمر الجنين أسبوعين (مرحلة العلقة) فإنَّ حجمه لا يزيد عن نطفة، وفي بداية المضغة (٢٤) يوماً لا يزيد عن حرف، وفي نهايتها يبلغ حجمه حبة القمح، وفي قمة تكوين الأعضاء في الأسبوع السادس ونصف لا يبلغ حجمه حجم حبة الفاصوليا، وفي نهاية تلك المرحلة في الأسبوع السابع والنصف لا يزيد كثيراً عن حبة الفول، وفي الأسبوع التاسع يكون شكله الإنساني مميزاً، ويستمر النمو بعد ذلك... خلق الإنسان بين الطب والإسلام: ٤١٨.

(٢) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والإسلام: ٤١٩-٤٢٠.

ثم أنشأناه خلقاً آخر: وهو التصوير والتسوية والتعديل ثم نفخ الروح، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[1] وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده... فهي تشمل جميع الأعضاء، إنَّ عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة في الجنين بشكل مثير... إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديداً.

إنَّ عملية التسوية والتعديل عملية مستمرة في بناء جسم الإنسان منذ أن كان جنيناً إلى أن يصبح شيخاً هرماً. ولا تتم التسوية إلا بعد وضع الأسس، والأسس لجميع الأعضاء توضع في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والثامن، ولهذا تعتبر فترة حرجة التي تكون فيها الجنينات أشد ما تكون قابلة للتغيير، لذا فإنَّ تأثير العقاقير والأدوية تكون أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة[2].

وقد ورد حديث الرسول الكريم في ذلك فقال: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتبه الملك»[3].

ومما تقدم يبدو إنَّ التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الإنساني أدق من وصف علم الأجنّة، ولا يركز بعض علماء الأجنّة على مرحلة العلقة كما يركز عليها التقسيم القرآني، وكذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل، أما نفخ الروح فهو لا يزال في طي الغيب لا يعلمه إلا الله[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٢) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٤٢١، ومباحث في إعجاز القرآن: ٢١٩.

(٣) صحيح مسلم: ٨/٤٥.

(٤) ينظر: خلق الإنسان بين الطب القرآن: ٣٦٥-٣٧٩ باختصار.

قال ﷻ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وهنا سؤال يُسأل هل الألفاظ التي ذكرها القرآن (النطفة والعلقة والمضغة) كانت موجودة في لغة العرب ولها مدلولاتها قبل القرآن أم إنَّ القرآن استحدث هذه الكلمات؟[2].

فإن قلنا: إنَّها لم تكن موجودة قبل القرآن، يكون القرآن غريباً، وليس لساناً عربياً مبيناً كما جاء في السور التالية:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[3] وفسرَّها الإمام النسفي قائلاً: «هذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة... واللسان اللغة»[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5] يقول النسفي: «بلسان قومه أي: بلغتهم... فلا يكون لهم حُجّة على الله ولا يقولون له: لم نفهم ما خوطبنا به»[6].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١١.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن: ٧٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٤) تفسير النسفي: ٢/٤٣٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٦) تفسير النسفي: ٢/٣٦٦.

٢- الجبال:

تحدّث الله تعالى عن الجبال في آيات كثيرة في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[(٤)].

يقول الراغب الأصفهاني في شرح الكلمات المتعلقة بالآيات السابقة وهذه الكلمات هي: «رسا، يقال: رسا الشيء يرسو: ثبت»، قال تعالى: ﴿رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ أي: جبالاً ثابتات. وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[(٥)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ﴾ يقول: «الميد اضطراب الشيء العظيم، كاضطراب الأرض»[(٦)].

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٧.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ٢٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦١.

(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١٠-١١.

(٥) سورة النبأ، الآية: ٧، وينظر: المفردات: ٢٨٥.

(٦) المفردات: ٧٢٥.

فدور الجبال يبرز في ترسية الأرض وتثبيتها من الميدان وهو الاضطراب فهي كالأوتاد التي تمسك الخيمة من الاضطراب والسقوط. ويفسر العلم الحديث هذا الدور فيقول: تقرر الحقيقة العلمية القاطعة أنَّ توزيع الجبال على الكرة الأرضية إنَّما قصد به حفظها من أن تميد إلى الشمس أو تحيد عنها، وأنَّها فعلاً السبب الأول والرئيسي لحفظ توازن الأرض، فكأنَّ الجبال هي أوتاد للأرض تحفظها في مكانها وتحفظ عليها حركتها[1] والحقيقة العلمية التي ذكرها القرآن في دور الجبال في حفظ توازن الأرض من الاضطراب والميدان وأنها كالأوتاد، قال تعالى: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾[2].

ويقول الغمراوي في شرح هذه الآية: «الجبال فيما يتبادر إلى الذهن تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض، ومن ناحية الرسوخ فيها، لكن التشابه والتناظر بينهما أشمل وأدق من هنا، فالأوتاد تختلف من ناحية البروز في مداه وفي درجات الميل، والجبال تختلف في الارتفاعات وفي درجات الميل كذلك. والأوتاد يختلف رسوخها باختلاف صلابتها وشكلها، وتختلف الجبال من ناحية الرسوخ في ذلك...، فالأوتاد لابد في إنشائها من تشكيلها ثم من تثبيتها في الأرض بقوة ما، وإذن فجعل الجبال أوتاداً، فيما أنبأ الله في كتابه، من شأنه أن يقتضي أن تكون الجبال قد أنشئت بفعل قوة أخرى، وهذا وحده حقيقة علمية حديثة دلَّ عليها القرآن عن طريق ذلك التشبيه البليغ»[3].

---

(١) ينظر: من الآيات العلمية: ٥٦-٥٧.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٧.

(٣) الإسلام وعصر العلم: ٣٣١.

٣- المياه:

وأما عن باطن الأرض وما فيها من مياه فقد ذكر القرآن تلك المياه المستترة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾[١] تفسر الآية الكريمة لنا المياه الأرضية التي تغور في القشرة، فهي تجري في مسالك تحت غطاء من القشرة الأرضية، وتزداد عليها الضغوط حتى تتمكن من الخروج على هيئة ينابيع دافقة بين الصخور، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

وإذا تفهمنا مسالك الحياة الأرضية، وعرفنا كنهها، لأصبحت موارد لا يستهان بها لمياه الشرب والري، لتنتج لنا زرعاً مختلفاً ألوانه، يسقى بماء واحد وتختلف في الأكل، فسبحان الله وسع كل شيء علماً[٣].

وعن الماء قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤] كلنا يعرف أنَّ الماء إذا انقطع عن النباتات والأشجار تصفرّ تلك النباتات والأشجار فتصبح هشيماً. ثم إنَّ جسم الإنسان لو فقد أكثر من ٢٠% من الماء فإنه يتعرّض للجفاف، ثم للموت أخيراً. وبواسطة الماء تنقل المواد اللازمة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٣) إعجاز القرآن: ١٨-١٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(من غذائية وإنشائية وطبية...) عبر المحيطات والأنهار، وقد كتب (د. إبراهيم محمد الغشلان)[1] عن ضرورة الماء للجسم لكي نعلم حكمة الباري ﷻ في تنظيم أمور الحياة، وقد صدق تعالى حين قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[2] بلى، لقد خلق الله تعالى كل شيء على مقدار الحاجة إليه. ويقول أيضاً د. إبراهيم: الماء هو ثاني عنصر ضروري للحياة بعد الأوكسجين، ففي كل خلية من خلايا الإنسان والنباتات والحيوان يوجد مقدار من الماء، لذا نرى كيف يتفاوت مقدار الماء في جسم الإنسان من فترة إلى أخرى، حيث إن الجنين البالغ من العمر ثلاثة أشهر يحوي جسمه على ٩٣% من الماء، أما المولود حديثاً فيحوي على ٨٠% من الماء، والبالغ على ٧٢% أفلا يدل هذا التقسيم على تدبير الحكيم العليم.

بعض وظائف الماء في جسم الإنسان:

١- المساعدة في عمليات المضغ والبلع.

٢- دوره في عمليات الهضم والامتصاص وذلك بنقل وإيصال المواد الغذائية[3]. من (بروتين ودهون وأملاح) إلى كافة أعضاء الجسم عن طريق الدم.

٣- لولا الماء لما كنا نستطيع التخلص من الأملاح الزائدة عن طريق الإدرار والتعرق، وكذلك التخلص من بقايا الهضم في الجهاز الهضمي عن طريق التغّوط.

---

(١) مجلة العربي، ص١١٥، العدد (٢٤٤)، السنة ١٩٧٩ بتصرف.

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٣) ينظر: قبسات علمية: ١١٤-١١٥، ومجلة العربي العدد (٢٤٤) لسنة ١٩٧٩: ١١٥.

٤- يقوم الماء مقام المكيف في تلطيف حرارة الجسم نتيجة تبخره في الرئتين ومن سطح الجلد.

٥- الماء ضروري لبقاء المفاصل والأغشية المخاطية رطبة كي تتمكن من أداء وظائفها، ولكي يمنعها من الجفاف.

٦- الماء مرتبط بالبروتينات والكربوهيدرات؛ فله فائدة عظيمة للجسم حيث يساهم في الحفاظ على بقاء الماء داخل الجسم(١).

إنَّ سوق القرآن الكريم هذه الحقائق بهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية يحمل كل صاحب عقل منصف إلى القول بأنَّ هذا تنزيل العزيز الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً.

إنَّ البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى أسرارها، فهل يعقل أن يكون هذا القرآن من عند رجل أمي عاش في بيئة أمية لم يذكر التاريخ عن أسلافها تقدماً في فنون علوم الكون أو النفس البشرية؟.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢) وهذا هو وجه دلالة الإعجاز العلمي على مصدر القرآن الكريم.

---

(١) ينظر: قبسات علمية: ١١٥-١١٦.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٤-٦.

المبحث الثاني

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

إنَّ الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم والحديث عنه هو حديث عن النظام الرائد والخالد لهذا الكون والحديث عن نظامه الدقيق والله تعالى أوجد هذا الكون من العدم وأوجد فيه من المخلوقات ما لا يحصى عدداً، وجعل أشرف هذه المخلوقات هو الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

ولقد اختار الله ﷻ لهذه البشرية جمعاء دستوراً، وهذا الدستور هو القرآن الكريم المشتمل على جميع الأنظمة التي يحتاجها الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2] وقد رتّب الله تعالى نتائج دنيوية وأخروية نتيجة سير الإنسان وفق هذا الدستور الإلهي العظيم، ويدرك الإنسان الحكمة الإلهية من خلقه. والله ﷻ لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم الإنسان في حياته إلا وضّحها له، ومن هذه الأشياء القواعد التشريعية التي تهمه، وهذه القواعد تدل على إنَّ هذا القرآن متزّل من عند الله تعالى والمبادئ السامية التي وردت في القرآن الكريم لهي برهان ساطع على مصدر القرآن، وأنَّه متزل من عند الله الواحد الأحد وفي نفس الوقت دليل صدق على نبوة سيدنا محمد ﷺ، ونجد إنَّ بيان القرآن وتشريعاته لا ينفصل بعضها عن بعض، واقتضت

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

حكمة الله تعالى أن يترل القرآن الكريم فكان معجزة تشريعية تتحدى القوانين والمقننين، والفلسفة والفلاسفة، كما تحدّى اللغويين[1]. ونجد إنَّ الجانب التشريعي والخلقي في القرآن لآية وأيما آية على كون القرآن من عند الله، وليس من عند البشر فالأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمنها القرآن تخرج عن طوف البشر إحاطة ودقة وشمولاً.

سنلقي بعض الضوء في مبحث الإعجاز التشريعي على جوانب من الهدايات القرآنية في: (١) العقيدة (٢) الشريعة (٣) الأخلاق.

ونكتفي بذكر العمومات في ذلك؛ لأنَّه لا مجال لذكر التفاصيل التي تستغرق عمر الأجيال ولازال علماء الأمة الإسلامية يستنبطون تشريعاهم وأنظمة حياهم من آي الذكر الحكيم فنقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: العقيدة

العقيدة الإسلامية عقيدة سهلة خالية من التعقيد ملائمة للفطرة الإنسانية تملأ النفس طمأنينة وارتياحاً، والعقل قناعة. وقد وضّح الله تعالى العقيدة في كتابه المجيد بأسلوب عذب جذاب لا يمكن لمن سمعه إلا أن يستجيب لنداء الحق تعالى.

أ. ففي مجال توحيد الله تعالى والاستدلال عليه من خلال مخلوقاته وآثار الإبداع فيها، وهي الطريقة الفطرية للإقناع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن: ٢٥، وينظر: القرآن وإعجازه التشريعي: ٣٧، والإعجاز التشريعي في القرآن: ١١.

ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[1] وقد ردَّ القرآن شُبه المنحرفين وزيغهم عن عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية الصادقة[2]، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٩٥-١٠٤.

(٢) ينظر: مظاهر من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جانب العبادات: ٣١، وينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة: ٤٧، وينظر: الإعجاز والبيان: ٣٠-٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1].

ب. يقرر القرآن عقيدة البعث بعد الموت والحساب والجزاء يوم القيامة أوضح تقرير، فيوم القيامة من مستوجبات العدل الإلهي المطلق، فلابـــد من التمييز بين المحسن والمسيء والصالح والطالح، قال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾[3] والإيمان بالبعث بعد الموت عنصر مهم في تقويم سلوك الإنسان في الحياة ودفعه نحو الكمالات النفسية والابتعاد عن الرذائل؛ لذا نجد القرآن الكريم يصف منكري البعث بالخسران في قوله: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[4]. ولمّا كان البعث بعد الموت من الأمور الغيبية التي لا تدرك آثارها فقد أكثر القرآن من ضرب الأمثال والحجج العقلية عليها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١-٩٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥-١١٦.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٣١-٣٢.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1]. ولقد خسر الكافرون بالبعث عقولهم وأفهامهم إذ فهموا -خطأً- أن لا حكمة من خلقهم. وخسروا ما أعدَّه الله لأوليائه المؤمنين يوم القيامة[2].

المطلب الثاني: الشريعة

لقد شرَّع الله تعالى للأمة الإسلامية في القرآن الكريم تشريعات مستمدة من العقيدة الراسخة التي توفر له السعادة والطمأنينة ويسمو به نحو الكمال البشري. وأنَّ هذه التشريعات تمتزج بالعقيدة امتزاج الروح بالجسد، ويمكن أن تلمس هذه النتائج من خلال التطبيق الجاد المخلص لأحكامه، وهنا إشارة سريعة إلى جملة من هذه التشريعات والأسس التي تضمنها القرآن الكريم[3].

١- الرابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي:

والتي تكون على أساس رابطة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: **﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ**

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٨-٨٣.

(٢) ينظر: الإعجاز التشريعي في النظم الإسلامية وأثره في الدعوة الى الله تعالى: ٥٣، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٣٦.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٣٨.

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1].

إنَّ الأساس الذي يبنى عليه هيكل المجتمع الإسلامي هو رابطة العقيدة التي تشكل الآصرة التي تربط الأفراد في المجتمع، وليس للرابطة الوطنية أو القومية أي أثر في المجتمع[2].

وقد تضمن القرآن من أحكام العبادات والمعاملات والحدود ما يقوي أواصر الجماعة ويثبت روح التعاون بين أفرادها ويعودهم على النظام والطاعة في المجتمع الإسلامي. فقرر القرآن الكريم من التشريعات التفصيلية للفرد والمجتمع ما يقطع دابر الشقاق والخلاف بين المسلمين[3].

ولقد تميّز تشريع القرآن وهديه يسوقه ما يسوق من تكاليف الدين موصولة بمصدرها، ويكونها مما أمر الله به سبحانه، فهي بذلك ليست في إتيانها كمالاً يمكن الوقوف دونه، وإنما هي من صميم إيمان المؤمن، ويمتاز بسوقه لهذه التكاليف في إيجاز لفظي يسهل استيعابه، ويمكن معرفة ذلك من قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) ينظر: الإعجاز والبيان: ٣٣.

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٣٩-٢٤٠، وينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٢.

هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وتميز تشريع القرآن وهديه بتوازن دقيق لا تستقيم حياة البشر إلا به بين تطلعهم إلى الدنيا وحاجتهم فيها، وسعيهم إلى الآخرة وتشوقهم إلى ثوابها، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

وتميز أيضاً تشريع القرآن بتلطفه إلى النفوس البشرية عند تكليفها بما يريد ليقودها إلى الامتثال، وييسر عليها المشقة بما يرتبه على صالح العمل من عظيم الأجر. فهو إذا تعرّض لتشريع الزكاة مع ما فيها من معارضة لفطرة الإنسان بالجمع جعلها طهرة للمال: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٤١-١٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

وإذا تعرّض لتشريع الحج مع ما فيه من مشقة غالباً قرنه بمنافع مشهودة للحجيج، فقال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾[1].

وإذا تعرّض للأمر بالصلاة بين أنَّها طريق للطهارة من الآثام، والبعد عن الفواحش: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾[2].

إنَّ الإعجاز التشريعي القرآني اتصف بجملة من الخصائص التي ميّزته من سائر المعجزات التي حفل بها القرآن الكريم، كما تميز بها عن غيره من التشريعات الوضعية القديمة والحديثة[3]. والمراد بالتشريع القرآني كل الأحكام العملية والاعتقادية، التي كان لها أثر مهم في إسعاد الإنسان على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، وليس المراد منه القوانين القضائية وما يتعلق بالنظم فقط[4].

٢- المحافظة على الأرواح والدماء:

جاءت التشريعات لصيانة دماء الناس فشرع القصاص في النفس والأعضاء فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٢) سورة العنكبوت، من الآية: ٤٥.

(٣) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٣.

(٤) ينظر: القرآن إعجاز: ١٧.

﴿بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

وشرع من الأحكام ما صان أعراض الناس وحذر من انتهاكها ولم يبحها إلا بعقد الزوجية أو ملك اليمين، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وسنّ القرآن من التشريعات ما يحفظ أموال الناس ويمنع الاستيلاء عليها عن طريق الغش والخداع وأنواع الاستغلال الحرام، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] وأبدل بذلك إباحة البيع والشراء فقال تعالى:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٢-٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[1].

٣- مكانة الأسرة في القرآن وكيفية المحافظة عليها:

أولى القرآن الكريم الأسرة اهتماماً كبيراً باعتبارها اللبنة الأولى من لبنات الأمة، فكلما كانت الأسرة قوية متماسكة ذات مناعة ضد الأوبئة الخلقية والانحرافات الاجتماعية بُني صرح الأمة قوياً منيعاً، وإذا كانت الأسرة منحلة كانت الأمة منحلة أيضاً فقد حث القرآن الكريم على الزواج والاستعفاف وجعل الزواج أصل نشوء الأسرة حيث قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[2] وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[3].

وقد عُني القرآن الكريم بجملة من الوسائل التي يجب مراعاتها في الزواج منذ اللحظة الأولى، لحظة التفكير في الزواج، ومنها بعد أن يتم عقد الزواج، وأيضاً مراعاتها حيث الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب فترجع النفس عن غيّها. وقد أمر الله تعالى عند حصول النزاع بين الطرفين فيجب عرضه على المهتمين بشؤون الزوجين من القرابة لإيجاد الحل[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٤) معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم: ٣-٤، والإعجاز التشريعي في القرآن والسُنة: ٤٧، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٤١-٢٤٢، والإعجاز والبيان: ٣٤.

المطلب الثالث: الأخلاق

لقد حثَّ القرآن الكريم على التمسك بفضائل الأخلاق بمختلف الأساليب، وحذّر من ارتكاب مرذولها، ونظرة القرآن الكريم إلى الأخلاق منبثقة من نظرته إلى الكون والحياة. وإذ كانت العقيدة الإسلامية تشكل جذور الدوحة الإسلامية وجذوعها فإنَّ الشريعة تمثل أغصانها والأخلاق تكون ثمارها اليانعة ومنظرها البهيج. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

ولقد عرضت آيات القرآن الكريم الدعوة إلى التحلّي بالأخلاق الفاضلة من خلال الالتزام بالأوامر الربانية والعقيدة الإسلامية وقد تنوعت الأساليب القرآنية في عرض الأخلاق والحث عليها، وكثيراً ما يكرر القرآن خلقاً من الأخلاق ويهدف من وراء ذلك إلى ملأ أسماع المؤمنين من هذه الصفة، فإذا سيطرت عليهم استشعروها في أنفسهم واتصفوا بها في سلوكهم.

ومثال ذلك نجد إنَّ القرآن الكريم كرر وصف ذات الله القدسية بصفة العزيز ما يقرب من تسعين مرة، ووصف به الرسول والمؤمنين فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالى إخباراً عن عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وفي هاتين الآيتين ضرب الله مثلاً على خلق (العزة)[1]. ونجد إنَّ القرآن الكريم يعرض جملة من أمهات الأخلاق على شكل وصية وميثاق يؤخذ على المؤمنين وعليهم الالتزام به قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

ويحث الله تعالى على الأخلاق من خلال الثناء على طائفة ممتازة مختارة من عباد الله الذين نهجوا في حياتهم الدنيا نهجاً ربانياً استحقوا هذا الثناء في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ

(١) ينظر: الأسرة المباركة في القرآن الكريم: ١٨١، والإعجاز والبيان: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾[1].

والحث على التقوى والصبر نجده في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2].

والأمر بالتواضع يأتي في صيغة خطاب موجه إلى الرسول الكريم محمد ﷺ حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٧٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

﴿ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ورسول الله هو القدوة والمثل الأعلى في سلوكه وتصرفاته، فأمره الله تعالى بخفض الجناح للأتباع، واستشارتهم في شؤون الدولة والحكم إنَّما هو رسم للمنهج الإسلامي في شؤون الحياة.

المطلب الرابع: الكتب والبحوث المختصة بالإعجاز التشريعي

نذكر بعض الكتب والبحوث المختصة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم:

١- القرآن وإعجازه التشريعي، لمحمد إسماعيل إبراهيم.

٢- الإعجاز التشريعي، هناك فصل مستل من كتاب إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس.

٣- الأسلوب النفسي لمكافحة الجريمة، للدكتور محمد حسين علي الصغير.

٤- الإعجاز في علم المواريث، للدكتور ناطق محمد جواد النعيمي.

٥- الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، لصباح جاسم محيسن العبيدي.

٦- مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم.

٧- الإعجاز التشريعي والاجتهاد، للدكتور عابد السفياني.

٨- تيسير البيان عن إعجاز القرآن، للدكتور محمد أحمد الزين[2].

وغيرها كثير أشرنا إليها كل في مبحثه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

(٢) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ١٣٧-١٤٥.

□ دلالة الإعجاز التشريعي على مصدر القرآن الكريم:

تهدف هذه التشريعات إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته، وتحفظ له نظرته المستقبلية، وتوفر له التوازن الدقيق في متطلباته المادية والجسدية.

ونجد إنَّ تاريخ البشرية لم يحدثنا عن مصلح اجتماعي أو فيلسوف عبقري أنَّه وضع نظام حياة لشعب من الشعوب بمختلف فئاته بل حاول كثير من المصلحين أن يضعوا قوانين تنظيمية لدولة من الدول.

إنَّ التشريعات الإسلامية التي جمعت بين الروح والمادة فأشبعت كلاًّ منهما في الإنسان بما يناسبها، ووفرت الطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل لدليل على إنَّ أحداً من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي دليل وبرهان على إنَّها منزلة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات فأنزل ما ينظمها جميعاً ويوجهها لعبادة الخالق سبحانه وتعالى.

وإنَّ الإعجاز التشريعي لآية بيّنة على إنَّ القرآن الذي اشتمل عليه هو كلام الله أنزله على قلب عبده ورسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الانحراف والضلال إلى نور الإيمان والهداية[1] قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[2].

---

(١) ينظر: الإعجاز التشريعي في القرآن والسُنة: ٥٧-٥٨، وينظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) سورة الصف، الآية: ٩.

المبحث الثالث

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

ومن وجوه الإعجاز للقرآن الكريم هو الإعجاز الغيبي بما فيه من أنباء الغيب ويقصدون بذلك كل ما كان غائباً عن محمد ﷺ، ومن أمور الغيب كل ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون، وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ، ويشمل كل ما غاب عن النبي محمد ﷺ وفي وقته من الحوادث التي كانت تحدث، ويشمل ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان. وقد تضمَّن القرآن الكريم الإعجاز الغيبي الحديث عن أخبار القرآن عن الأمم السالفة، وأخبار عن أحداث المستقبل. وهو ما يتعلق بغيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.

المطلب الأول: أنواع الغيب

أولاً: غيب الماضي وهو أخبار القرآن عن الأمم السالفة.

ثانياً: الحاضر.

ثالثاً: المستقبل وهو أخباره عن أحداث المستقبل[1].

أولاً: غيب الماضي وهو أخبار القرآن عن الأمم السالفة:

إنَّ القرآن الكريم نزل بوحي من الله تعالى، فنجده كثيراً ما يفتتح القصة أو يختمها بالإشارة إلى إنَّ الرسول ما كان له علم بها إلا عن طريق الوحي من الله عز وجل فمثلاً عند ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها نجد إنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ

(١) ينظر: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢، والإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٣-٤.

﴿أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

ويذكر الله ﷻ بعد قصة يوسف وذكر عظاتها وعبرها يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[2].

وإنَّ الأخبار التي جاءت في كتاب الله تعالى، وجاء بها القرآن كان بعضها حديثاً عن أهل الكتاب، وبعضها عن غيرهم.

وأخباره عن أهل الكتاب فكان منها ما لم يعرفه أهل الكتاب أنفسهم، وكان منها ما عرفوه ولكن على غير حقيقته، فجاء القرآن ليصحح لهم هذه المعرفة، ويبيّن لهم الحق. وأما ما كان حديثاً من غير أهل الكتاب، فكان بعضه عن العرب الأولين، وبعضه عن غيرهم[3]. حيث يقول تعالى بعد أن بيّن قصة نوح -عليه الصلاة والسلام-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

ويقول تعالى بعد الحديث عن قصة موسى ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[5].

ويبيّن لأهل الكتاب كثيراً مما اختلفوا فيه ويصحح لهم كثيراً مما اشتهر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٢.

(٣) ينظر: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٥، والاخبار عن الغيب: ١٧، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٤.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٤.

بينهم، فيقول ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

ومن قضايا التاريخ التي ذكرها القرآن وصححها إطلاقه على حاكم مصر «الملك» مع إنَّهم كانوا عرفوا بالفراعنة فيما بعد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ وذلك؛ لأنَّ لقب فرعون جاء بعد يوسف عليه السلام[2].

إنَّ ورود أخبار الأمم الماضية بهذا الشكل المفصل الدقيق في القرآن لدليل على إنَّه وحي من الله تعالى وليس من عند البشر، لأنَّ من ترعرع في بيئة مثل البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ لا يمكنه أن يطّلع على مثل هذه الأمور التي لا سبيل للحصول عليها إلا بالتلقي، ولم يكن في تلك البيئة من يعرف هذه الأنباء على هذا الوجه الدقيق. وعندما سألت قريش اليهود أن يدلوهم على أمور يتحققون بها صدق محمد ﷺ، فلما أجابهم القرآن ووافق ما عندهم من أنباء، وصحح ما التبس عليهم أمره واختلط عليهم، علموا أنَّ هذا لم يكن لبشر أن يدركه بالإطلاع والتتبع والاستقراء مهما أوتي من علم، وحكمة، ودراسة لسير الأولين، فما بالك إذا كان الذي جاء به أمياً ونشأ في بيئة أمية[3] كما أخبر عنه ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٧٦.

(٢) ينظر: العقل والعلم في القرآن الكريم، وينظر: المباحث الغيبية: ١٨، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) ينظر: المدخل الوجيز الى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز: ١٣٥، وأنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٨.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

والمتأمل في قصص القرآن الكريم، والمتدبّر لآياته يدرك أنَّ ما جاء به القرآن مجملاً تارة ومفصلاً تارة لا يمكن أن يكون إلا من خبر السماء، فكان حرياً أن يعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز. على إنَّ ما جاء به القرآن، كان أعظم الأدلة على صدق الوحي، وصدق النبي الكريم؛ لأنَّه لم يكن فيه ما يشين هذه الصفوة المختارة مما لا يليق بمكانتهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

❑ أهداف غيب الماضي:

هناك أهداف تبعية لغيب الماضي مثل:

١- تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وإدخال الطمأنينة إلى قلبه، لذلك فـــإنَّ منهجه هو منهج الأنبياء والرسل السابقين، قـــال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

٢- تنمية المشاعر النبيلة والاستمتاع الوجداني والترويح من خلال هذا الزاد الثقافي كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[3].

٣- إبراز وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فالقصة الواحدة قد تتكرر أكثر من مرة، وتمس في كل مرة بقضايا وأمور جديدة مع الحفاظ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٨.

على أصل القصة، ومن غير تناقض في وقائعها، ويؤدي كله بأسلوب معجز، وهذا ليس في قدرة البشر.

٤- تربية الأمة وتهذيبها من خلال العظات والعبر التي ترد في قصص السابقين كالإخلاص في قصة إبراهيم عليه السلام، والبر والوفاء في قصة إسماعيل عليه السلام، والصبر والتحمل في قصة أيوب عليه السلام[١].

المطلب الثاني: غيب الحاضر

يقصد به: كل ما جرى في عصر الرسول الكريم ﷺ من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمناً لها ومخبراً بحقيقة ما جرى. وفي تنبيه القرآن الرسول ومعه المؤمنون على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع لضمان سلامة سير الدعوة. إذن الغاية الأساسية من غيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بينة من أمرها، وتربية الأمة وتهذيبها. وهذا النوع فيه دلالة على صدق الرسول الكريم فيما يبلغ عن ربه، حيث لم يكن له علم بما دار في غيابه، وما خطط، وما جرى تنفيذه، حتى أماط القرآن اللثام عن هذه الأمور.

ومن أمثلة هذا النوع من الغيب ما جاء في شأن اليهود: وقد أخبر القرآن عن أساليب اليهود الملتوية في إدخال الوسواس والأحزان في قلوب المسلمين، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢] وذلك أنَّ

---

(١) ينظر: تأملات في وجوه إعجاز القرآن: ١١، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٦٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

اليهود كانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنَّ رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروا عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم[2].

وما ورد في شأن المنافقين والأساليب التي كانوا يلجئون إليها فمن هذه الأساليب هي حرب الأعصاب فمثلاً في غزوة أُحد قام رأس النفاق (عبد الله بن أُبي ابن سلول) فكان هو وأتباعه يحاولون النيل من الإسلام ثغر الجيش وسحب أنصاره منه، وهم زهاء الثلاثمائة وهم يريدون بذلك إيقاع البلبلة في قلوب المسلمين، ولما هزم المسلمون في المعركة أبدوا شماتة الجبناء فبيّن الله تعالى خسّتهم القائمة على الخبث في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٢) صحيح البخاري: ٦/٥١.

﴿ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[1].

ويظهر أيضاً موقفهم المتخاذل في غزوة تبوك بعد أن يحاولوا تثبيط المسلمين عن الخروج للجهاد، وجهّز رأسهم جيشاً من المنافقين واليهود ينافس به جيش المسلمين، حتى كان يقال: عسكر (ابن أُبيّ) بأقل العسكرين، ثم أعلن حرب الأعصاب حين قرّر الانسحاب وهو يقول: يغزو محمد بني الأصفر -مع جهد الحال والحر والبلد البعيد- بحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال[2].

ويظهر نفاقهم ونذالتهم وكيدهم للمسلمين في قضية الإفك التي ابتدعوها واتهامهم لأم المؤمنين سيدتنا عائشة -رضي الله عنها- وكان هدفهم وغايتهم أن يعكرّوا صَفو انتصار الرسول الكريم وأصحابه المسلمين في غزوة بني المصطلق على بني جذيمة أولاً، وإساءة العلاقة الحميمة بين الرسول الكريم وبين أم المؤمنين عائشة، وبينه وبين صديقه أبي بكر[3].

بالإضافة إلى ذلك كان هدفهم زعزعة ثقة المسلمين ببعضهم وبرسولهم، لكن الله سبحانه وتعالى، جعل التباطؤ في قضية الإفك كشف دخيلة أنفس المنافقين، وعلّم المسلمين درساً بليغاً في التربية وضبط النفس وعدم الانحراف مع الإشاعات المغرضة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦-١٦٧.

(٢) ينظر: الروايات في سيرة ابن هشام: ٤/١٧٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ١٧، وأنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢٣، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٧٠-٢٧١-٢٧٢.

﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

المطلب الثالث: غيب المستقبل وهو إخبار القرآن بامور من غيب المستقبل

ويقصد به: ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع ولم تكن قد وقعت عند نزول الآيات التي تحدّثت عن وقوع الحادثة. ولهذا جاء في القرآن كثير من الآيات تنبئ عن أمور لم تكن قد وقعت، ولقد وقعت كما أخبر القرآن عنها لم يتخلف منها خبر فنجد منها: ما تحدّث القرآن عنه ووقع في حياة الرسول الكريم: حيث تحدّث عن مصير بعض المكذبين؛ وأنّهم سيموتون على الكفر ويخلدون في النار، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[3].

---

(١) سورة النور، الآيات: ١١-١٧، وينظر: من إعجاز القرآن الغيبي صفات اليهود في القرآن الكريم: ١٧.

(٢) سورة المسد، الآيات: ١-٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢.

ولقد أخبر القرآن الكريم عن نصر نبيه ﷺ، ونصر المؤمنين، وتمكين دينهم لهم، واستخلافهم في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1].

وأيضاً فيها إخبار على ما وعد الله المسلمين مغانم كثيرة من أعدائهم فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[2]. ومنها ما طمأن الله تعالى رسوله من إنَّه سيعصمه من الناس، ويمنعه من كل من أراد قتله، فلقد بذل اليهود والمنافقون ما يستطيعون لإيذاء الرسول فترل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[3]. وقد وعد الله نبيه الكريم ﷺ من دخول مكة، ودخول المسجد الحرام، فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن اليهود وكيف ضربت عليهم الذلّة والمسكنة أينما ثقفوا وأينما وجدوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وقال

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١٨-٢١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

ﷻ ما أخبر به عن يهود من تسلّط الأمم النصرانية عليهم، فقال: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1].

والمتدبر للآية الكريمة يجد إنَّه قد ذكر فيها (الذين كفروا) مرتين، الأولى قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والثانية ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، فـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في المرة الأولى هم اليهود، فهم الذين نصبوا العداء للرسول فنجاه الله تعالى، وأما ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، في الآية الثانية فهم اليهود أيضاً. فالآية الكريمة تبيّن لنا أن تسلّط الأمم النصرانية على اليهود أمر مستمر، فما لاقاه اليهود من الأمم النصرانية على مدى التاريخ من الشدة والقسوة والاحتقار لا يجهله أحد، ولا ينكره اليهود أنفسهم[2] وقوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾: قال عمر بن الخطاب ﵁: كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فأقول: أي جمع هذا وأية هزيمة إلى أن كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، فعرفت تأويلها يومئذٍ[3] وعند نزول الآية الكريمة ما كان أحد يتوقع أن تكون للمسلمين شوكة وجيش يواجهون به جموع المشركين. فكان أن تحققت النبوءة بعد سنوات عديدة في السنة الثانية من الهجرة النبوية[4]. وما

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٢) ينظر: المباحث الغيبية: ٢٩، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩.

(٣) الدر المنثور: ٦٨١/٧.

(٤) ينظر: مباحث في إعجاز: ٢٧٩.

تحدى الله تعالى به اليهود من تمني الموت إن كانوا أولياء الله، وإن كانت الدار الآخرة خالصة لهم، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] وكان ما أخبر عنه القرآن الكريم.

ونجد أيضاً ما أخبر الله به عن فارس والروم في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[2] ولقد تحقق الخبر القرآني، وفي هذه التي أخبر عنها القرآن الكريم[3]. وقد هدد الله تعالى المنافقين، والذين في قلوبهم مرض من أنهم إن لم ينتهوا عما هم فيه، فإنهم سيلقون سوء صنيعهم وذلك في قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

وما أخبر الله به في القرآن من كشوف في آفاق هذا الكون، وآفاق النفوس البشرية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[5] وأخبر سبحانه عن مكنونات في هذا الكون، ذكرت إشارات إليها ونبهت عليها

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦-٧.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١-٣.

(٣) ينظر: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢١، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٤١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

بعض آيات القرآن[1] في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾[2].

❑ ثانياً: ما تحدث عنه القرآن الكريم ووقع بعد وفاة رسول الله ﷺ:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[3] تحقق ذلك في عهد الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ فدحروا دولة الفرس والروم ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى أطراف الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي غرباً، وخضعت الشعوب والأمم للإسلام ودخلوا في الإسلام، وكان الناس في أمن وأمان. وكان كل ذلك في العهود اللاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومما تحدث عنه القرآن بعد وفاة الرسول يتضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4] حيث نجد إنَّ كتاب الله الذي تكفّل الله بحفظه لم تنقطع سلسلة حفاظه الذين يتلقونه جيلاً عن جيل من الصدور. ونجد الأمة بعد كل كبوة تستعيد فتوها، وتجدد نشاطها، لتقوم بدورها الحضاري مرة أخرى وما ذاك إلا بفضل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتحقيقاً لوعد الله الذي تكفّل بحفظ كتابه[5] حيث

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الغيبي: ٤١، وينظر: الإعجاز الغيبي: ١٤٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن التحدي والعجز والإعجاز: ١٨٥، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٨٠-٢٨١.

قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

المطلب الأول: ما تحدّث عنه القرآن الكريم ولم يقع إلى الآن، وسيقع حتماً من غير ريب

فمن جملة ما ذكره القرآن من الآيات الكريمات التي تتحدث عن أشراط الساعة والأحداث التي تقع قبيل قيامها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[1].

ذهب كثير من المفسرين إلى إنَّ العلو في الأرض والإفساد الأول قد تم فأرسل الله عليهم بختنصر ملك بابل فشرّدهم وقتل الكثير منهم وساق الكثير أسرى إلى بابل. أما العلو الآخر والإفساد الآخر فلم يأتِ بعد، حيث لم تقم لليهود بعد أسر بابل دولة ولا كيان.

ونجد إن هنالك آيات كثيرة تتحدث عن اختلال النظام الكوني عند قيام الساعة كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[3].

إنَّ هذه الأحداث الجسام التي تضع نهاية للنظام الكوني واقعة لا محالة، وهذا المعتقد جزء من ديننا وعقيدتنا لا يكون المؤمن صحيح الإيمان إلا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٧-١٠.

(٣) سورة التكوير، الآيات: ١-٦.

باعتقاده. إنَّ الهدف الأساسي في إيراد هذا الغيب، هو الغرض التربوي لترسيخ الإيمان في القلب، وحسن التوكل على الله الخالق المتعال، الذي بيده كل شيء، والهدف التبعي لمثل هذا النوع من الغيب هو تصديق رسول الله ﷺ وأنَّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[1].



(١) ينظر: الاخبار عن الغيب: ٣٣، وينظر: مباحث في إعجاز: ٢٨٦.

المبحث الرابع

الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي في القرآن الكريم

لقد تحتّم على كل من سار في منهج البحث العلمي أن يجد بعض القضايا التي ذُكرت في كثير من الكتب التي تحدّثت عن إعجاز القرآن فكان من ضمن هذه الأوجه المذكورة هو الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي، وهل كل واحد منهما مستقل في الإعجاز؟ أهما وجه واحد أم وجهان لكل منهما مفهومه ومعناه؟... تساؤلان لابد من البحث عنهما والإجابة عليهما، ونلاحظ أن بعض الكاتبين ذكر أن الإعجاز النفس له أكثر من مظهر منها: تأثير القرآن في النفس الإنسانية، ومنها الحديث عن النفس الإنسانية، ومنها تمزيق القرآن لحواجز النفس الإنسانية[1].

أما تمزيق القرآن لحواجز غيب النفس، كما ذكر الشعراوي[2] فهذا في الحقيقة ليس إعجازاً نفسياً، وإنما يدخل في وجه آخر وهو أخبار القرآن عن الغيوب. وقد تحدثنا عنه، وإنَّ تأثير القرآن في النفس الإنسانية، فهو لا يسميه العلماء إعجازاً نفسياً، بل هو إعجاز روحي. فإذا لم يكن الإعجاز النفسي شيء من هذا كله، فما هو الإعجاز النفسي -إذن- كما يراه العلماء؟

يرى العلماء أنَّ الإعجاز النفسي في آي القرآن الكريم، هو ما نلمحه في تلك الآيات، وهي تتحدث عن أصناف الناس ومشاعرهم ومواقفهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ما نجده من بيان المكنونات النفس وخفاياها في آي القرآن قد يكون في القضية القرآنية، وقد يكون في الحديث عن أعداء

---

(١) ينظر: البيان في إعجاز القرآن: ٣٣٨.

(٢) المعجزة: ١/١٠٨.

المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا وقد يكون في الآخرة، فإنَّك لتقرأ الآية من القرآن الكريم؛ وإذ بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة، والآية من القرآن الكريم نجدها تطلعنا على مضمرات هذه النفس وخفاياها، وإنَّك لتقرأ الآية وتتدبرها، فلا تغادرها إلا وأنت أمام صورة محكمة دقيقة لهذه النفس -والله أعلم- تلك هي خاصية هذا الكتاب المجيد.

ويقول الشيخ الغزالي -رحمه الله-: «ما أظن امرءاً سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم لا يزعم أنه لم يتأثر به: قد نقول: فلم يتأثر به؟ والجواب أنَّه ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه. إنَّ القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعاً، وكأنَّه يعرف ضائقة كل ذي ضيق، وزلة كل ذي زلل، ثم تكفّل بإزاحتها كلها، كما يعرف الراعي أين تاهت خرافه، فهو يجمعها من هنا وهناك، لا يغيب عن بصره ولا عن عطفه واحد منها... حتى الذين يكذبون بالقرآن يرفضون الاعتراف بأنَّه من عند الله. إنَّهم يقفون منه مثلما يقف الماجن أمام أب ثاكل! قد لا ينخلع من مجونه، ولكنه يؤخذ فترة ما بصدق العاطفة الباكية، أو مثلما يقف الخلي أمام خطيب يهدر بالصدق، ويحدث العميان عن اليقين الذي يرى ولا يرون... إنه قد يرجع مستهزئاً، لكنه يرجع بغير النفس التي جاء بها»[1].

وهذا التأثير النفسي الذي أشار إليه الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- هو من أظهر خصائص القرآن الكريم التي تبرز عن سماعه، فيمضي سامعه في تفكير يملك عليه أقطار نفسه، فيفضي به إلى الإيمان إذا صفت نفسه

---

(١) نظرات في القرآن: ١٢٧-١٢٨.

واستقامت فطرته، أو يفضي به إلى مزيد من العناد يدفع به هذا التأثير خشية الامتناع به إذا كان السامع غليظ القلب جاحداً للحق[1].

أما الإعجاز الروحي: فهو ذلكم التأثير العظيم لهذا القرآن على النفوس هيبة وحلاوة، ولا يُعرف كتاب في الدنيا له من الأثر على تأليه ومستمعيه، كما لهذا القرآن، حتى أولئك الذين لا يدركون معانيه، ولا يفهمون ألفاظه، نجدهم يتأثرون بالقرآن الكريم، وصدق الله حينما قال في كتابه العزيز: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[2].

وأنَّ أول من نبّه على هذا الوجه في القرآن هو الإمام الخطابي حيث جعل الخطابي -رحمه الله- الوجه الأهم في إعجاز القرآن بلاغته وبيانه، ولم يهمل الإعجاز الروحي، لذلك فقد رأينا بعض الكاتبين المحدثين جعل هذا الوجه أهم وجوه الإعجاز، وكل ما عداه يقصر عنه، ومن هؤلاء المرحوم محمد فريد وجدي[3].

ولهذا نجد إنَّ الخطابي -رحمه الله- يقول في هذا الوجه مقولته: «قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة

---

(١) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٨٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) ينظر: صفوة العرفان في تفسير القرآن: المقدمة، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٤٥-٣٤٦.

والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والغرق، تقشعر منه الجلود، وتتزعج له القلوب...»[1].

ونجد كلام الله تبارك وتعالى، هو في أعلى طبقات البلاغة وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[3]. إذن فالإعجاز الروحي[4] إن أردنا أن نعدّه وجهاً من وجوه الإعجاز فهو ناشئ عن الصبغة البيانية السامية، والأسلوب الرفيع، والنظم البديع. ولهذا فإنَّ الإعجاز النفسي والروحي كليهما ناشئان عن الصبغة البيانية للقرآن الكريم التي تتمثل في أصوات حروفه وترتيبها في كلماته، ونظم هذه الكلمات في جملة[5].



(١) ثلاث رسائل في إعجاز: ٧٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٤) ينظر: البيان القرآن: ٢٤٧.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٤٨.

المبحث الخامس

الإعجاز العددي في القرآن الكريم

نلاحظ أنَّ وجوه إعجاز القرآن السابقة التي تحدثنا عنها كان لكل منها صبغة علمية، وإشارات وفوائد تكشف عن مضمرات النفس، ومضمرات الكون، تجلوها الآيات الكريمات.

ونلاحظ أيضاً أنَّ الإعجاز العددي، على الرغم من إعجاب الكثير به، فقسم منهم لا يجد له تلكم الفوائد العلمية، وذلكم الأثر الواقعي الذي من شأنه أن يهذب النفس، ويظهر مضمراتها، أو يطلعنا على أسرار الكون، إنه أقرب ما يكون إلى الترف العقلي المجرد بحسب قول البعض[1].

وقد ذهب قسم من الباحثين إلى إدراج هذا النوع من الإعجاز العلمي، ولكن ارتأى الباحث إفراده بفصل خاص للاختلاف الشديد القائم حوله بين داعٍ إلى استخراج الموافقات العددية، وبين منكر محرم له، بل نجد إنَّ عدداً كبيراً من المؤلفين والباحثين رفض الإشارة إليه، ولم يعدّه من الإعجاز.

لم نجد تعريفاً محدداً للإعجاز العددي من خلال البحث في الكتب والبحوث التي تناولته على الرغم من تناول قضاياه. ولكن يمكن تعريف هذا النمط بأنّه: الوقوف على توافق عددي في السور والآيات القرآنية، أو الكشف عن أثر بعض الأرقام في نظم القرآن الكريم[2].

ويمكن تعريفه أيضاً بأنّه: التوازن العددي القائم مع حروف القرآن الكريم من حيث عدد تكرارها وترابطها مع غيرها. وقد جوبه هذا النوع

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن: ٣٥١.

(٢) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ٢١٩.

بمعارضة شديدة أوجزها بما يأتي:

إنَّ هذه الشبهة ظهرت مؤخراً، وعدّت فتحاً، وقيل: هذا من الإعجاز دل عليه مكتشفات العصر الحديث وأن الكومبيوتر يصحح أن القرآن من عند الله. وأن الحروف الموجودة في أوائل سور القرآن مركبة كلها على رقم (١٩)، إما (١٩) أو مضاعف من مضاعفاته، وأمثال ذلك، وأن هذا من مفتريات الطائفة البهائية، وهي التي تركب عقائدها على الرقم (١٩) وجعلوا السنة (١٩) شهراً، والشهر (١٩) يوماً وهكذا، فركبوا على الرقم (١٩) معاني وعقائد وديناً كله يدور حول هذا الرقم.

ونجد إنَّ الباطنية هي التي تؤول كتاب الله تعالى بالتأويل الباطني، الذي لا يقبله عقل، والبهائية فرقة حديثة من فرق الباطنية، والذي كتب هذا وأشاعه رجل مصري بهائي هو د. محمد رشاد خليفة وهو الذي جاء بهذه الفرية، وقال: إنَّ أول آية من القرآن هي (بسم الله الرحمن الرحيم) تسعة عشر حرفاً، والقرآن كله يتركب على هذا الأساس، وهذا من أول من يدل على كذبه أن نفس (بسم الله الرحمن الرحيم) أكثر من تسعة عشر حرفاً[1]. وسبب خطئه أنه وضعها في الكومبيوتر، والكومبيوتر يسجل بحسب الحروف كما هي مكتوبة، ولا يحسب الحرف المكرر، ولا يحسب المد في مثل (الرحمان) فلذلك وقع في هذا الخطأ.

ويقول: إنَّ قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2] المقصود به «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ لأنَّ حروفها تسعة عشر حرفاً، وهنا مناقشتان اثنتان:

---

(١) ينظر: الدراسات التي تناولت الإعجاز: ٢١٩-٢٢٠. وينظر: الإعجاز اللغوي: ٩٨.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٠.

الأولى: أننا لا نسلم أنَّ عدد أحرف البسملة تسعة عشر حرفاً.

والثانية: أنه ليس صحيحاً أن هذه الآية تتحدث عن البسملة، وإنما تتحدث عن سقر ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[1].

إنَّ القرآن الكريم عربي غير ذي عوج، وكل محاولة للخروج عن ذلك فهو شطط، إنَّ كون الضمير في قوله: (عليها) يرجع إلى سقر من الأمور البديهية، وأي خروج عنه فهو إلحاد في آيات الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾[2] وإذا كان ما قبل هذه الآية (عليها تسعة عشر) يدل دلالة بيّنة على ما قلنا، فإنَّ ما بعدها يدل دلالة بيّنة كذلك، وهو قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[3] وأصحاب النار هم الزبانية التسعة عشر، وعدهم أي: كونهم ذكروا بهذا العدد[4].

ويرى الكاتب (د. محمد رشاد) إنَّ أول ما نزل من القرآن الآيات الخمس الأولى من سورة اقرأ، ثم القلم، ثم المزمل، ثم المدثر، ثم بسم الله الرحمن الرحيم من سورة الفاتحة، وهذا غير صحيح كذلك، فإنَّ الأحاديث الصحيحة والسياقات القرآنية تدل على إنَّ الذي نزل بعد آيات العلق الآيات الأولى من سورة المدثر.

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٢٦-٣٠.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٤) إعجاز: ٢١، أسرار الإعجاز في القرآن والسُنة، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٥٤.

وكان يرى الكاتب أيضاً أن الفواصل القرآنية جاءت بحسب نظام دقيق تتلاءم مع السياق والمعنى، وفيها إعجاز بياني فذّ فلا يجوز أن يقال: إنّ كلمة رحيم في قوله ﷻ: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جاءت ليتم بها العدد المقصود، والآية التي قبلها ختمت بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فلماذا لم تختم كل من الآيتين بما ختمت به الأخرى؟ إنّ ذلك انحراف عن أهداف القرآن البيانية[1].

فنقول: إنّ كلمات القرآن كذلك مثل فواصله جاءت كل كلمة منها لتؤدي رسالتها ووظيفتها، والقول بأنّ هذه الكلمات جاءت من أجل أن يتم بها نظام العدد قول يتنافى مع سمو القرآن ورفعته، ولعل أقوى ما استدل به الكاتب الآية الكريمة ﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ في قوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾[2].

قال: إنه لم يقل: (قوم لوط) حتى يكون حرف القاف في الإعجاز حول العدد (٧).

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ

---

(١) ينظر: ضوابط الإعجاز العددي في القرآن الكريم: ٦٦، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٥٣.

(٢) سورة ق: ١٢- ١٣.

(٣) سورة المرسلات، الآيات: ٢٠-٢٣.

﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

من الآيتين السابقتين نجد إنَّ الله تعالى يهدينا ويبين لنا بلسان عربي مبين مراحل خلق الإنسان وتكوين الجنين (وهي سبعة مراحل) وهي:

١- **الماء المهين**: النقاء ماء الرجل (المني) وماء المرأة (البويضة).

٢- **النطفة**: البويضة التي تم تلقيحها وتخصيبها.

٣- **العلقة**: مرحلة استقرار النطفة وتعلقها بجدار الرحم، ثم تكاثرها.

٤- **المضغة**: قطعة من اللحم لا شكل فيها ولا تخطيط.

٥- **تكوين العظام**: يُشكل من المضغة الهيكل العظمي والعصبي والدوري.

٦- **كساء العظام باللحم**: فكسونا العظام لحماً، ليقوى ويشتد.

٧- **أنشأناه خلقاً آخر**: مرحلة إتمام خلق الجنين، ونفخ الروح فيه، وصار خلقاً ذا سمع وبصر وإدراك وحركة...!!!

فمن أحسن من الله قيلا، هكذا يبين لنا تعالى بشرح فسيولوجي بليغ وتصويري بديع، مراحل تكوين وخلق الجنين بلفظ عربي مبين. وهذه المراحل، يكشف الطب عنها الآن في القرن العشرين، ويضع لها أسماء ليس بها تصوير ولا بيان، إلا بالمعاجم والشرح بكل لسان[2].

خلق الإنسان سبع مراحل، والأرض سبع طبقات، والسماوات سبع سماوات طباقاً، والذرة لها سبعة مدارات، والطواف حول الكعبة سبعة والسعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة. فسبحان الله الخلّاق العليم الذي

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٣-١٤.

(٢) ينظر: إشارات قرآنية: ١٤٢-١٤٣.

خلق المخلوقات والكائنات وخلق الأرض والسماوات التي نجدها جميعها لها نفس العدد من المراحل والطبقات مما يدل على وحدانية المصدر، وأنَّها من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه[1] السورة الكريمة متسقاً مع العدد تسعة عشر ولو قال: (وقوم لوط) لكانت هناك قاف زائدة[2].

ونجد إنَّ الإحكام العددي للقرآن الكريم الذي هو آية على صدق محمد ﷺ وأنَّ هذا القرآن هو من عند خالق السماوات والأرض. إنَّ معجزة الأرقام في القرآن موضوع مذهل، وقد بدأ بعض العلماء المسلمين بدراستها عن طريق أحدث الآلات الإحصائية والحواسيب الإليكترونية ما أمكن دراسة وإنجاز هذا الإعجاز الرياضي المذهل. فهذا الإعجاز مؤسس على أرقام، والأرقام تتكلم عن نفسها، فلا مجال للمناقشة هنا، ولا لرفعها، وهي تثبت إثباتاً لا ريب فيه أنَّ القرآن هو ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3] لاشك أنَّه من عند الله تعالى، وأنَّه وصلنا سالماً من أي تحريف أو زيادة، فنقص حرف واحد أو كلمة واحدة أو زيادها، يخل بهذا الإحكام الرائع للنظام الحسابي له.

وقد شاء الله ﷻ أن تبقى معجزة الأرقام سراً حتى اكتشاف الحواسيب الإليكترونية، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[4].

---

(١) ينظر: إشارات قرآنية: ١٤٣، وينظر: الإعجاز العددي في القرآن بين الحقيقة والوهم: ٨٣.

(٢) ينظر: إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن: ١١، وينظر: إعجاز القرآن: ٣٥٥-٣٥٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

المطلب الأول: الأعداد في القرآن الكريم من (صفر-١٠)

الإشارات والدلائل القرآنية في علوم الرياضيات:

أولاً: الصفر:

تعريف (الصفر) حسابياً أو رياضياً: هو اللاشيء ونجد كثيراً من الآيات قد جاءت بهذا المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[1].

ثانياً: الواحد:

وعلى التوحيد ووحدانية الخالق ﷻ قامت الدنيا وخلقت، حيث يقول ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

وهناك آيات كثيرة جاءت بلفظ الواحد نذكر منها:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3].

٢- قال تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾[4].

٣- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

ثالثاً: الاثنين والثلاثة والأربعة (٢-٣-٤):

١- قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

٢- قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾[2].

٣- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾[3].

رابعاً: الخمسة والستة (٥-٦):

١- قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النساء، الآية:٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.

٢- قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1].

خامساً: العدد سبعة (٧):

١- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3].

٣- قال تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[4].

سادساً: العدد ثمانية (٨):

١- قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٧.

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

٢- قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[2].

٣- قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[3].

سابعاً: العدد تسعة (٩):

١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[4].

٢- قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾[6].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

(٥) سورة النمل، الآية: ٤٨.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٣.

ثامناً: العدد عشرة (١٠):

١- قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[1].

٢- قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

٣- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3].

تاسعاً: العددان: الحادي عشر والثاني عشر (١١-١٢):

١- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[4].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١-٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة هود، الآية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

٣- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

عاشراً: العدد تسعة عشر (١٩):

١- قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[3] حيث نجد إن الأعداد في هذه الآية هي: (١، ٩، ٩٠، ٩٩).

٣- أما قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾[4] فإنَّ الأعداد فيها هي: (٣٠٠ + ٩ = ٣٠٩).

٤- وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٢٧-٣٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[1] الأعداد في هذه الآية هي: (٣٠٠٠، ٥٠٠٠).

٥- أما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[2] فالأعداد في هذه الآية هي: (١٠٠٠، ٥٠، ١٠٠٠-٥٠ = ٩٥٠).

٦- وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[3] فالأعداد في هذه الآية هي: (١٠٠,٠٠٠، ١٠٠٠٠١، ١٠٠٠٠٥، ١٠٠٠٧٥، ١٠٠٤٦٧، ...، ١٠٠٠,٠٠٠).

وهذه ليست كل الآيات التي بها أعداد، فهي ليست على سبيل الحصر. بل هي على سبيل المثال والقصر...!

ووجود الأعداد من (١-١٠) هو وجود ضمني لجميع الأعداد؛ لأنَّ مكونات أي عدد لا تخرج عن الأرقام من (٠) إلى (٩)[4].

وهذه بعض من هذه الإحصائيات العددية لكلمات القرآن الكريم:

١- فهناك كلمات متقابلة تتكرر بشكل متساوٍ في القرآن الكريم منها:

الحياة تكررت ١٤٥ مرة... الموت تكررت ١٤٥ مرة.

الصالحات تكررت ١٦٧ مرة... السيئات تكررت ١٦٧ مرة.

الدنيا تكررت ١١٥ مرة... الآخرة تكررت ١١٥ مرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٤-١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٤) ينظر: إشارات قرآنية: ٢٧-٢٨.

الملائكة تكررت ٨٨ مرة... الشيطان تكررت ٨٨ مرة.

المحبة تكررت ٨٣ مرة... الطاعة تكررت ٨٣ مرة.

الهدى تكررت ٧٩ مرة... الرحمة تكررت ٧٩ مرة.

الشدة تكررت ١٠٢ مرة... الصبر تكررت ١٠٢ مرة.

وتكررت جهنم ومشتقاتها ٧٧ مرة... الجنة ومشتقاتها تكررت ٧٧ مرة.

٢- وهناك كلمات بينها علاقات في المعنى وردت ضمن علاقات رياضية دقيقة ومتوازنة منها:

الجزاء تكررت ١١٧ مرة... المغفرة تكررت ٢٣٤ مرة أي: الضعف.

الفجار تكررت ٣ مرة... الأبرار تكررت ٦ مرة أي: الضعف.

العسر تكررت ١٢ مرة... اليسر تكررت ٣٦ مرة أي: ثلاثة أضعاف.

الرحمن تكررت ٥٧ مرة... الرحيم تكررت ١١٤ مرة أي: الضعف.

ولفظة الشهر بلغ ١٢ مرة (وكأنه يقول: إنَّ السنة ١٢ شهر) ولو تدبرنا عدد حروف لفظ الدنيا لوجدناها ستة حروف، وأيضاً حروف لفظ الحياة هي ستة حروف، وعناصر الدنيا هي السماوات وما فيها... والأرض وما عليها، فهذه تشير إليها... وتعتمد عليها... وقد قرر القرآن أنَّ الله ﷻ قد خلق السماوات والأرض في ست أيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

والدنيا ولفظها يتكون من ستة حروف خلقت في ستة مراحل والإنسان

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

وحروفه سبعة خلق في سبعة مراحل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1].

وأن فاتحة الكتاب وهي أول سور المصحف الشريف ونصها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2].

تتكون من سبع آيات بما فيها البسملة اعتبرت آية.. وهذه تتكرر في كل السور ماعدا سورة (براءة)... ولا تعبّر فيها كلها أنها آية... فالفاتحة سبع آيات بالبسملة وست بغير البسملة، وآخر سور المصحف الشريف هي سورة الناس ونصها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[3] تتكون من ستة آيات بغير البسملة.

وقد تكرر لفظ (اعبدوا) ثلاث مرات موجهاً إلى الناس عامة، وثلاث مرات إلى أهل مكة، وثلاث مرات على لسان نوح إلى قومه، وثلاث مرات على لسان هود إلى قومه، وثلاث مرات على لسان صالح إلى قومه، وثلاث

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٢-١٤.

(٢) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٧.

(٣) سورة الناس، الآيات: ١-٦.

مرات على لسان عيسى إلى قومه.

كما أنَّ هناك بعض التوافقات بين عدد كلمات بعض الجمل التي بينها علاقة، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1]. وهي (١٤) كلمة يقابلها قوله تعالى في الموضوع نفسه: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[2] وهي (١٤) كلمة كذلك[3].

س/ لماذا تكررت الآية ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٣١ مرة؟

ج/ بعد البحث الطويل في هذه الآية وعدد مرات تكرارها في سورة الرحمن وجد بعض الباحثين بأنَّ هنالك علاقة رياضية مذهلة أساسها الرقم (سبعة)، وهذه العلاقة هي تأكيد من الله تعالى أنه لا تكرار في كتاب الله بل إعجاز وتناسق وإحكام. والرقم (سبعة) له دلالات كثيرة، وأنَّ الآيات التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فوجد أنَّ هذه الأرقام تبدأ بالآية (١٣) وتنتهي بالآية (٧٧) كما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ... ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[4] صدق الله العظيم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٥.

(٣) ينظر: معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، الإعجاز العددي للقرآن الكريم: ١٩٧٥.

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١-٧٨.

إذا قمنا بعد مرات تكرار هذه الآية نجدها (٣١) مرة، وأرقام الآيات هي: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧.

المطلب الثاني: طريقة صف الأرقام

في أبحاث الإعجاز العددي تتبع طريقة محددة وهي أن نضع الأرقام بجانب بعضها ونقرأها دون أن نغيّر فيها أي شيء، أي: نقوم بصفها ونقرأ العدد الناتج، والعجيب جداً أن أرقام هذه الآيات الــ(٣١) عندما نقوم بصفها فإنَّها تشكل عدداً ضخماً وهو:

٧٧٧٥٧٣٧١٦٩٦٧٦٥٦٣٦١٥٩٥٧٥٥٥٣٥١٤٩٤٧٤٥٤٢٤٠٣

٢٨٢٥٢٣٢١١٨١٦١٣ ٨٣٦٣٤٣٢٣٠

وهذا العدد الضخم الذي يمثل أرقام الآيات حيث وردت ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من مضاعفات الرقم سبعة! أي: إنَّنا إذا قسمنا العدد على سبعة ينتج عدد صحيح بلا فواصل. وهذا يدل على إنَّ الله تعالى قد وضع أرقام الآيات بحيث تتناسب مع الرقم سبعة. ولكن ما هو الإثبات على إنَّ هذا التناسق لم يأتِ بالمصادفة[1]؟

❑ **قراءة العدد باتجاه معاكس:**

الآية تتحدث عن الإنس والجن وتخاطبهما وتذكرهما بنعم الله تعالى عليهما، ولو تأملنا العدد جيداً نجد إن معكوسه من مضاعفات الرقم سبعة،

---

(١) ينظر: إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم: ٥٧-٥٨.

فلو قرأنا هذا العدد الضخم والذي يمثل أرقام الآيات الإحدى والثلاثين باتجاه معاكس، أي من اليمين إلى اليسار لوجدنا عدداً هو:

٣١٦١٨١١٢٣٢٥٢٨٢٠٣٢٣٤٣٦٣٨٣٠٤٢٤٥٤٧٤٩٤١٥٣٥٥

٥٧٥٩٥١٦٣٦٥٦٧٦٩٦١٩٣٧٥٧٧٧

وهذا العدد عندما نعالجه نجده أيضاً من مضاعفات الرقم سبعة! إذن العدد الذي يمثل أرقام الآيات ينقسم على سبعة باتجاهين، وكيفما قرأناه وسؤالنا: أليست هذه النتيجة المذهلة دليلاً صادقاً على إنه لا تكرار في القرآن، بل نظام مُحكم ومتكامل؟

والنتيجة: أرقام الآيات حيث وردت الآية الكريم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) جاءت لتشكل عدداً من مضاعفات السبعة بالاتجاهين.

العدد التسلسلي من ١ وحتى ٣١ أيضاً جاء ليشكل عدداً من مضاعفات السبعة بالاتجاهين.

ولا نملك إلا أن نقول: سبحان الذي أحكم هذه الأعداد ورتبها ليؤكد لكل من يشك بهذا القرآن أن القرآن ليس كتاب تكرارات بل هو كتاب المعجزات[1]! وهو القائل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2].



(١) القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة المنورة)، وإرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم: ٣٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٩٣.

المبحث السادس

الإعجاز الدعوي في القرآن الكريم

❑ **الإعجاز الدعوي:**

نقصد به هو ذلك الإعجاز الحاصل في بيان العقيدة الصحيحة بكل تفاصيلها، والإعجاز في الوصول بها إلى مكامن النفوس بحيث تستقر فيها وترسخ نقية صافية من كل غبش، والإعجاز في تحويلها -بعد بيانها- إلى قوة فاعلة في شتى مجالات الوجود الإنساني.

والعقيدة التي جاءت بهذا القرآن هي عقيدة التوحيد. وهي عقيدة الأنبياء جميعاً وأنها لم تدخل إلى نفوس الناس من كل منافذها كما دخلت عن طريق هذا الكتاب، ولا كانت مؤثرة في واقع الحياة على أوسع نطاق كما انبثقت من هذا الكتاب. ولا عجب فإن القرآن هو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية جمعاء، التي اكتمل بها الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1].

ومن الإعجاز الدعوي:

المطلب الأول: مشكلة البشرية

حيث نرى أنَّ مشكلة البشرية الكبرى لم تكن إنكار وجود الله، إنما كانت هي الشرك. ودعك مما سرى في الجاهلية المعاصرة من إلحاد ينكر وجود الله، فقد نشأ من ظروف خاصة، وهو لون خاص من الانحراف لم يقع بصورته تلك في أي جاهلية من جاهليات التاريخ. والذين حكى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

القرآن عنهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ونجد أيضاً أنَّ المرض الأكبر في الجاهليات هو الشرك[3]. وهو الذي أرسل كل رسول لينتزعه من نفوس قومه. ثم أرسل الرسول الأعظم ﷺ لينتزعه من قلوب البشرية جمعاء، فآمن به من قدر له الهدى، وأبى من أبى بقدر من الله.

المطلب الثاني: عبادة الشيطان

والشرك -وتوابعه- يسميها الله تعالى «عبادة الشيطان»، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[4] والأصل في الفطرة هو التوحيد، ولكن الشياطين يحاولون دائماً إخراج الناس من صفاء التوحيد إلى كدر الشرك.

وقد ينشأ من فساد في الفطرة يهبط بها عن حالتها السوية التي فطرها الله عليها، والتي تتسع للإيمان بما تدركه الحواس (عالم الشهادة) والإيمان بما لا تدركه الحواس (عالم الغيب)، فتنحصر في الإيمان بما تدركه الحواس، وتنشئ آلهة محسوسة، تتعبدها بدلاً من الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[5].

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٤٩-٣٥٠-٣٥١.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٦٠-٦١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وقد ينشأ من تضخيم الذات، فيعبد الإنسان ذاته، أو بالأحرى أهواءه وشهواته.

ونجد إنَّ الإعجاز في كتاب الله تعالى يعرض لهذه الأسباب كلها، لا يغادر شيئاً منها فيبرزها، ويندد بها، ثم يعالجها، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[3].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[4].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٧-٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

تلك كانت أفكارهم ومعتقداهم وسلوكياهم التي يعيشون فيها، والتي تصدهم عن الإيمان بالله واليوم الآخر والوحي والنبوة، ولها في حسهم ثقل الأمر الواقع من جهة، وثقل الأمر الموروث من جهةٍ أخرى. ويتوهمون أهم على دين إبراهيم، ويحتفظون ببعض ما كان في دين إبراهيم عليه السلام، فيعظمون الكعبة، ويحجون إلى البيت الحرام، وإن كانوا يرتكبون في حجهم مخالفات ما أنزل الله بها من سلطان.

والقرآن الكريم يتترّل مرة بعد مرة ليبيّن العقيدة الصحيحة من جهة، وليفنّد أوهام المشركين واعتراضاهم من جهةٍ أخرى، تارةً ببيان ما اشتملت عليه من سخف لا يقبله منطق ولا عقل، وتارةً ببيان الأسباب الدافعة لهم إلى التمسك بالشرك وعدم الإقلاع عنه، وأها أسباب تنبع من انطماس في البصيرة، وانحراف في الفطرة.

المطلب الثالث: تعريف الناس بحقيقة الإلوهية

وكانت الأداة الكبرى في كل ذلك هي تعريف الناس بحقيقة الإلوهية، وبتفرد الله تعالى بالرزق والخلق والإنشاء والتدبير، وانتفاء هذه العضات كلها عن الآلهة المزعومة التي يتمسكون بها، بحيث يتبيّن عجزها، فتسقط إلوهيتها المزعومة، وتسقط استحقاقها للعبادة مع الله أو من دونه...[2].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٧.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٥٤-٣٥٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(١)] لوحة عريضة واسعة حافلة بالحيوية والحركة، والإيحاءات والدلالات.. إنها مشاهد معروضة أمام الحس البشري، ولكن الحس يتبلّد أحياناً فيغفل عما فيها من الإيحاءات، ويمر بها لا يكاد يعيرها اهتماماً. لكن القرآن يحيي المشهد بأسلوبه الفريد، فينتفض حياً متحركاً، فيلتقط الوجدان ما يرسله من الإشارات. إنَّ السماوات والأرض المذكورة في الآية ليست هي ذلك المشهد المكرر المألوف الذي كان يراه الإنسان، فلا يهتز له وجدانه، فيغفل عن الحقيقة الكامنة فيه، وهي أنَّ السماوات والأرض مخلوقتان، وأن الله هو الخالق!

إنَّ الحس المتبلّد يراهما موجودتين دائماً أمامه، فيغفل وينسى! ولكن السياق القرآني يوقظه من أول لفظه إلى الحقيقة المنسية.. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهما ليستا موجودتين من ذات نفسيهما، ولا هما أزليتان. إنما هما مخلوقتان، أي: أنهما لم تكونا موجودتين ثم وجدتا[(٢)].

وهي حقيقة هائلة، تترتب عليها حقائق أخرى.

فأما الجاهلية العربية فقد كانت تقر أنَّ الله هو الذي خلق السماوات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٦٣-١٦٤.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٦٢-٣٦٣.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1] ولكنها لم تكن ترتب على هذه الحقيقة مقتضاها الطبيعي المباشر، وهي أنَّ الإله الذي خلق هو الحقيق بالعبادة وحده بلا شريك. وأما الجاهلية المعاصرة فقد أدركت أنَّ هذه القضية ذات شأن كبير، وأدركت أنَّها إن أقرت بأنَّ الله هو خالق السماوات والأرض فقد لزمها أن تعبده، فنفت أنَّ الله هو الخالق، وراحت تتخبط على غير هدى. نقول مرة: إنَّ الكون قد وجد من ذات نفسه بغير موجد، وتارة أخرى تردد قولة: دارون الحمقاء: الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق! كلتاهما جاهلية! وكلتاهما في حاجة إلى هداية الله![2].

المطلب الرابع: مخاطبة الفطرة

يدخل القرآن إلى النفوس في قضايا العقيدة من كل منافذها وأقطارها، فلا يترك منفذاً لا ينفذ منه، ولا يترك مدخلاً لا يطرقه ليوصل العقيدة الصحيحة إلى القلوب. وتوجد في النفس البشرية منافذ فطرية، أودعها الله في الفطرة لتتعرف على خالقها، وتتوجه إليه بالعبادة، ومن هذه المنافذ أنَّ القرآن ينفذ إلى النفوس، فيوقظها من غفلتها، فتنبعث متوجهةً إلى الله. ولا عجب في ذلك، فالله هو خالق الفطرة، وهو مترل القرآن ليلتقي بالفطرة النقاء كاملاً شاملاً مفصلاً، فيلتقيان على تعارف كامل وتوافق واتساق! ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3] الكون بضخامته المعجزة يروع الحس

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٢) ينظر: إرهاصات الرقم سبعة في القرآن الكريم: ١٤٩، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٦٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

البشري، فيروح يتأمل في هذه الضخامة التي يعجز عن الإحاطة بها، فيرد على الخاطر سؤال فطري لا يملك الإنسان دفعه: من خالق هذا الكون؟ فيهتدي إن كتب له الهدى، فيعلم أنَّ الله هو الخالق، أو يضل فيتصورها إلهاً آخر أو آلهة أخرى غير الله ينسب لها الخلق. ولكنه -حتى في ضلاله- لا يتصور أنَّ الكون يمكن أن يوجد بغير خالق.

«ودع عنك ضلالات الجاهلية المعاصرة التي أكدت نتيجة ظروف خاصة في أوربا غير مسبوقة في البشرية. وحتى هذه لم تستطع أن تتهرب من هذا السؤال الفطري، فنسبت الخلق إلى الطبيعة! التي قال عنها دارون إنَّها تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق! فابتدع إلهاً خالقاً -غير الله- وأفضت عليه بعض صفات الله تعالى والخلق والتدبير، ولكن كانت أهم صفة في هذا الإله المزعوم أنَّه ليست له كنيسة تضطهد النساء، وتطاردهم في يقظتهم ومنامهم! وتلك كانت عقدة الجاهلية المعاصرة التي أدت بها إلى الإلحاد!»[1].

والكون بدقته المعجزة يروع الحس البشري كذلك. فهذا الكون ليس ضخماً فقط، وليست ضخامته التي تتجاوز كل تصور هي وحدها التي تروع الحس، ولكن يروعه كذلك أنَّه مع ضخامته تلك دقيق إلى درجة معجزة.

ولهذا فإن الإنسان يهتدي إن كتب الله له الهدى، فيعلم أنَّه الله ﷻ، أو يضل فينسب الأمر إلى آلهة مزعومة، أو يغفل عن إيقاعات الكون غفلة تامة فكأنَّه في حسه غير موجود[2].

ونجد إنَّ النماذج في كتاب الله كثيرة. منها تصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض كما ذكر في آية البقرة (١٦٤)، ثم بيّن الله تعالى

---

(١) ينظر -إن شئت- حديثاً مفصلاً عن هذه القضية في كتاب (مذاهب فكرية معاصرة).

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٥٩، وينظر: الإعجاز العددي في القرآن بين الحقيقة والوهم: ٩٦.

في الآية الكريمة السحاب المسخر بين السماء والأرض فيقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[2] وقوله ﷻ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[3] وقوله أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[4] وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[5] ففي الآية الأولى يصف الله ﷻ كيفية تكوّن السحاب التراكمي بمراحله المختلفة، وذلك في وقت لم يكن أحد قد صعد إلى الأجواء العليا ولا علم شيئاً عن تراكم السحاب.

وفي النص الثاني يجيء ذكر السحاب مع ما يصحبه من رعد وبرق وصواعق، في معرض القدرة الإلهية من ناحية، وجدال الكفار حول الإلوهية من جهة أخرى، لبيان تهافت هذا الجدل وقيامه على غير أساس.

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٢-١٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٩.

وفي الآية الثالثة يجيء ذكر السحاب جزءاً من لوحة الظلام المطبق التي تحدث في المواجهة الرائعة بين أنور نور وأظلم ظلام.

وفي الآيتين الرابعة والخامسة إشارة إلى إرسال الله للرياح فتثير السحاب الذي يصرفه الله كيف يشاء. ولكنا نلاحظ التنويع بين قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ والاختلاف مقصود للتنويع. ولكن الآية الأخيرة فيها إضافة أحدثها تغير زمن الفعل (مضارع في الأولى وماضٍ في الثانية) فقوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ تفيد أنَّ من شأن إرسال الرياح أن تثير سحاباً. كأنَّما أوكل الله إلى الرياح أن تقوم بهذا الأمر، تكليفاً منه ﷻ. فحين يرسل الله الريال تقوم هي بما كلفها الله به، فتثير السحاب! وهذا وذاك من أمر الله وتدبيره، ولكن التنويع يضيف إلى المشاهد غنى، ويجدد تأثيرها في النفس، وإن تشابهت الألفاظ[1].

ونجد إنَّ النصوص القرآنية تركّز كثيراً على خاصية الإحياء -التي هي خاصية إلهية- لتثبيت قدرة الله على إحياء البشر يوم القيامة بعد أن يكونوا قد أصبحوا عظاماً ورفاتاً. وتأخذ هذه القضية حيزاً واسعاً في النصوص القرآنية في مقابل الإنكار الشديد الذي كان العرب المشركون يواجهون به قضية البعث والنشور والحساب والجزاء حتى قالوا كما حكى القرآن عنهم ﴿هَلْ

---

(١) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم: ١٨٥، والإعجاز العلمي في الرياح: ٩١، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٦.

نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾[1] ثم يجيء التركيز على ظاهرة الإحياء والإماتة تارةً بتعبير مباشر، وتارةً في مشهد من مشاهد الحياة الدنيا، وتارةً في مشهد من مشاهد القيامة، وفي جميع الأحوال نلحظ التنويع الواضح في النصوص، كما نلحظ الإحاطة بالقلب البشري من جميع منافذه في هذه القضية كما في غيرها من القضايا، بحيث لا يملك أن يفلت من التأثر إلا أن يكون الران قد علاه كالصدأ، فلم يعد يستجيب.

ونورد بعض الأمثلة الدالة على كلامنا وضده الأمثلة هي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4].

هذا في باب تعريف الناس بربهم... أنَّه هو الحي بذاته ﷻ الحي الذي لا يستمد الحياة من غيره، لأنَّه هو الحي القيوم، الحي الذي لا يدركه الفناء ولا الموت[5]: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[6]. ولا يحتاج الحس البشري إلى

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٧-٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٥) ينظر: الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز العلمي في الإسلام بين العلمية والغلو: ٣٦، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٨.

جهد ليدرك معنى هذه الخاصية من خواص الله تعالى. فهو يدرك بالممارسة الواقعية أن الكائنات كلها تموت، فإذا كان هناك من هو حي دائم الحياة، لا يموت أبداً، فهو الإله الذي ليس كمثله شيء، وهو الذي تتعين عبادته وحده بلا شريك، لأنَّه هو المتفرد بالحياة والدوام، كتفرده بالقدرة وبالتدبير.

ويتحدث القرآن عن خاصية الإحياء والإماتة[1] حيث يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[3] ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾[5].

وهذا إخبار مباشر بأنَّ الله سبحانه وتعالى يحيي ويميت، وأنَّه -وحده- هو الذي يحيي ويميت[6].

❁ ❁ ❁

---

(١) ينظر: الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز: ٣٨، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٩.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣١، والروم: ١٩.

(٤) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٥) سورة ق، الآية: ٤٣.

(٦) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٩.

الفصل الثالث

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

الإعجاز البلاغي: معناه أوجه البلاغة التي يعجز البشر عن مثلها، والبلاغة -كما عرفها أهلها- هي: بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز بالكناية على وجهها...

وقيل في تعريفها أيضاً: البلاغة هي أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال(1)..

إنَّ نزول القرآن بلسان عربي مبين، وفي قوم بلغوا الغاية في الفصاحة والبلاغة والبيان، وتحدي القرآن لهم على تنوع مراحل التحدي، فضلاً عن أنَّ الوقفة المتطورة والمتأنية إزاء تعبيرات القرآن، وأساليب بيانه الرائعة، وطرائق نظمه الخالية، ودلالات تراكيبه الفاعلة، تجعل المدخل الرئيس إليه هو المدخل البلاغي؛ لأنَّه عام في القرآن الكريم كله حتى القصار من السور فيه.

في حين تظل المداخل الأخرى المذكورة جانبية أو ثانوية؛ لأنَّها تمثل الإعجاز في آي معدودة فقط فلا تشمل القرآن كله. ومن المهم أنَّ المدخل البلاغي لا يستبعد المداخل الأخرى بل يوظفها ويستفيد منها في حدود ما تتطلبه الإبانة عن الخصائص البلاغية للإعجاز القرآني، وهذا الأمر لا يتعارض مع إجماع الباحثين على القول بالإعجاز البلاغي.

---

(1) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٠٦.

وهكذا فإعجاز القرآن الكريم ينتمي إلى المجال البلاغي؛ باعتباره إعجازاً ينشد التأثير، والاستيلاء على النفوس، واكتناه جماليات النص القرآن بكافة مستوياته وأنساقه[1].

المبحث الأول

مظاهر الإعجاز البلاغي

يتجلى هذا الجانب من الإعجاز بمظاهر عدة نوجزها فيما يلي:

❑ **الخصائص المتعلقة بأسلوب القرآن:**

إنَّ المظهر الأول من مظاهر الإعجاز البلاغي هو أنَّ القرآن يجري على نسق خاص في أسلوبه، لا يستطيع أحد أن يجاريه فيه وهذه الخصائص هي:

أ. **نظمه البديع**: فالقرآن يجري على نسق بديع، خارج على المعروف والمألوف من نظام كلام العرب، فهو لا تنطبق عليه قوافي الشعر، كما أنَّه ليس على سنن أسجاع النثر.

ب. **المحافظة على جمال اللفظ وروعة التعبير**: إنَّ التعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ لأبهى تعبير، ويظل جاري على مستوى رفيع من هذا الجمال اللفظي، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، مهما تنوعت أبحاثه، واختلفت موضوعاته، وهذا مما يخرج عن طوق البشر.

ج. **صياغة الموافقة لحال المخاطبين**: إنَّ ألفاظ القرآن وعباراته مصوغة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة، بحيث تصلح أن تكون خطاباً لمختلف المستويات من الناس، وبحيث يأخذ كل قارئ منها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ويراها مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته.

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني: ١٢٨١.

د. **التجديد في الأسلوب**: الخاصة الرابعة، هي تصريف بعض المعاني وتكرارها بقوالب مختلفة من التعبير والأسلوب البياني، بشكل يضفي عليها الجدة، ويلبسها ثوباً من التجسيم والتخييل غير الذي كانت تلبسه، بحيث تظهر وكأنها معنى جديد.

وأنَّ أهم هذه الوجوه التي يرجع إليها إعجاز القرآن من حيث نظمه العجيب البديع الذي لا يستطيعه أحد من البشر فإننا نجد عبد القاهر الجرجاني يقول: «أعجزتهم مزايا ظهرت لهم من نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيِهِ ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلِّ مثلٍ، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حُجَّة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنَّهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنَّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حكَّ بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتقول، وخَلَدتِ القروم فلم تملك أن تصول»[١].

فألوان البلاغة كلها من استعارة وتشبيه وكناية وتعريض، وما يكمن وراء التراكيب من حذف وذكر وتقديم وتأخير وقصر وإيجاز، وغير ذلك من مسائل البلاغة وألوانها، كلها في سياقاتها التي سلكت فيها ونظمت، روافد تتجمع في نظم بديع عجيب، مبهر للعقول، معجز للجمهور، خرست

---

(١) دلائل الإعجاز: ٣٩.

الألسنة أمامه عن أن تدعى وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول كما ذكر عبد القاهر.

ونلاحظ أنَّ هذه الروافد التي تكوّن الإعجاز البلاغي تشمل كل بحث بلاغي يُستقص في آيات الذكر الحكيم، فبرز صاحبه باستقصائه ما يتجلى له من دقائق وخصائص ومزايا بلاغية... وهذه البحوث لا تنتهي، ولذا يظل القرآن الكريم معجزاً إلى قيام الساعة، تتكشف للناس جوانب من جوانب إعجازه بتلك البحوث[1].

ولهذا نجد إنَّ كل ما أحصاه العلم من أنواع البلاغة في القرآن الكريم، فإنّما هو جملة ما في طبيعة هذه البلاغة مما يمكن أن يقلب عليه الكلام في وجوه سياستين البيانية والمنطقية، بحيث يستحيل أن يوجد في كلام عربي نوع من ذلك وقد خلا هو منه، إلا أن يكون من باب الصنعة والتكلف الذي يتلوم الأدباء على صنعه، ويذهبون فيه المذاهب الكثيرة من النظر والإعداد ونحوها، ثم لا يعطيه معنى البلاغة مع كل هذا العنت إلا اصطلاحهم أنفسهم على إنَّه من البلاغة[2]. والعلماء يقولون: إنَّ كل ذلك فنون من البلاغة وقع بها الإعجاز، لأنَّهم اصطلحوا على هذه التسمية التي حدثت بعد العرب، ولو قالوا: إن القرآن معجز في العربية لأن الفطرة والعقل لا يبلغان مبلغه في سياستا البيان والمنطق بهذه اللغة، لكان ذلك أصوب في الحقيقة، وأبلغ في حقيقة الصواب، وأمكن في معنى الإعجاز، وأتم في هذا الباب كله، مادام في لسان الدهر حرف من العربية.

---

(١) ينظر: روافد نهر الإعجاز: ١٤، وينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم: ١٠٦.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٠٢.

ونجد إنَّ العبارة البليغة الواحدة كثيراً ما تقع المواقع المختلفة على طبقات متعددة في أهل النظر حين يتأملونها ويصفونها. فإن بقيت على بلاغتها مع جميعهم لم يردها أحد ولا أنكرها، فلابد من اختلاف هذه البلاغة حينئذٍ حتى تكون عند أقواهم كأنها ما هي عند أضعفهم، وحتى يخيل إلى الضعيف أن القوي إنّما يتعنت في حكمه، ويذهب بنفسه مذهب قوته، ويخيل إلى هذا القوي أنَّ الضعيف لا يمحض نفسه ولا يستقص في نظره ولا يقول بعلم؛ ولكل وجهة هو موليها، وإنَّما اختلاف بينهم من حيث اختلفت القوة[1].

ونجد البلاغة في سورة الإخلاص قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2].

البلاغة في السورة الكريمة تضمنت وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن ﴿قُلْ هُوَ﴾ للتعظيم والتفخيم.

تعريف الطرفين ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لإفادة التخصيص.

الجناس الناقص (لم يلد) (ولم يولد) لتغير الشكل وبعض الحروف.

التجريد فإن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الكفء والولد، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في العموم وذلك زيادة في الإيضاح والبيان.

السجع المرصع وهو من المحسنات البديعة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ٢٠٤.

(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤.

لطيفة: هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله ﷻ عن صفات العجز والنقص، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية، ونفت التعدد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وأثبتت الثانية كماله تعالى، ونفت النقص والعجز ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه، ونفت الذرية والتناسل ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وأثبتت الرابعة عظمته وجلاله، ونفت الأنداد والأضداد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال، وتتريه للرب بأسمى صور التتريه من النقائص[1].

ونجد إنَّ علماء البلاغة قد وضعوا ضوابط يحكم بها على الكلمات بالفصاحة أو بعدم الفصاحة واعتمدوا المقاييس اللغوية والصرفية أسسا لتلك الضوابط، فلكي تكون الكلمة فصيحة لابد من موافقتها المقاييس اللغوية والصرفية.. لابد من وضوح معناها اللغوي فلا يكون غريباً... وعند استعمال الكلمة في معنى مجازي أو في معنى كنائي لابد أن يكون هذا الاستعمال جارياً على وفق العادات والعرف العربي، وإلا تعقد المعنى، والتعقيد المعنوي يخل بفصاحة الكلام... وعند تأليف الكلام وبناء جملة لابد من مراعاة انسجام الكلمة في سياقها واتساقها مع جاراتها وملائمة معناها لمعاني تلك الجارات وإلا تنافرت تلك الكلمات ورفض بعضها بعضاً وثقلت على اللسان واختلت فصاحة الكلام الذي تألف منها...

ونلاحظ الخطابي يقول: «اعلم أنَّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام

(١) صفوة التفاسير: ٣/٤١٠.

موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل غيره مكانه جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»[1].

ويقول الجرجاني: «وهل تجدل أحداً قال هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: «لفظة متمكنة ومقبولة» وفي خلافه: «قلقة ونابية ومستكرهة» إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في مؤداها»[2].

إذن إنَّ الحكم على الكلمة بالفصاحة أو بعدم الفصاحة هو السياق وقرائن أحواله، فلابد من الوقوف على حال قائل الكلمة ومعرفة المقام الذي قيلت فيه، ولا يحكم الناقد على الكلمة بالفصاحة أو بعدم الفصاحة دون أن يعرف حال قائلها ويحيط بالمقام الذي قيلت فيه... فمثلاً كلمة «الهعخع» التي هي العلم على ثقل الكلمة وتنافر أحرفها وغرابة معناها حيث استشهد بها البلاغيون لشدة تنافر الأحرف وحكموا عليها بعدم الفصاحة... لا ينبغي أن يحكم عليها هذا الحكم إلا بعد معرفة حال قائلها والمقام الذي قيلت فيه، فقد قالوا: إنَّها كلمة للمعاياة لا يعرف لها معنى، وقالوا: إنَّها كلمة تطلق على شجر مُرّ المذاق كريه الرائحة، وكأنَّ صوتها عند النطق بها يحكي صوت المتقيئ ويوحي بمعناها المذكور، إنَّها كلمة قالها الأعرابي عندما سئل عن ناقته،

---

(١) بيان إعجاز القرآن: ٢٩.

(٢) دلائل الإعجاز: ٤٤.

قال: «تركتها ترعى الهعخع» فقبل أن نحكم على تلك الكلمة بالفصاحة أو بعد الفصاحة ننظر في حال ذاك الأعرابي عندما قال هذه العبارة...[1].

المطلب الأول: مواقع الفتيل والنقير والقطمير في آيات الذكر الحكيم «دراسة تطبيقية»

نجد إن هذه الألفاظ الثلاثة الفتيل والنقير والقطمير وهنالك لفظ رابع وهو الثغروق قد اجتمعت في النواة ويضرب بها المثل للشيء القليل الحقير الذي لا يعتد به، واللفظ «الثغروق» لم يرد في آيات الذكر الحكيم، أما الثلاثة الأخرى: «الفتيل والنقير والقطمير» فقد وردت في القرآن الكريم ممثلاً بها للشيء التافه الحقير القليل، أي: لا يظلمون قدرها، ولا يملكون قدرها، ولا يؤتون الناس قدرها...

يقول ابن عربي: «وقد ضربت العرب المثل في القلة بأربعة أشياء اجتمعت في النواة وهي: الفتيل والنقير والقطمير -وهذه الثلاثة واردة في الكتاب العزيز- والثغروق وهو ما بين النواة والقمع الذي يكون في رأس التمرة كالعلاقة بينهما»[2].

وعلى الرغم من إنَّ هذه الألفاظ قد اجتمعت في النواة وتقاربت معانيها اللغوية واستعملت مجازاً في معنى واحد إلا أنه يبقى لكل منها معنى مستقل له إيحاءاته وله ظلاله. وهكذا ألفاظ القرآن الكريم حتى تلك الألفاظ التي قالوا عنها إنَّها أخوات أو مترادفات تلتقي في معنى واحد ثم تجد لكل منها إفادة خاصة لا تفيدها الألفاظ الأخرى[3].

---

(١) ينظر: روافد من نهر الإعجاز: ٩٥-٩٦.

(٢) الفتوحات الإلهية: ١/٣٩٠.

(٣) ينظر: روافد من نهر الإعجاز: ١٠٥.

وقد وردت كلمة «الفتيل» في ثلاثة مواضع اثنان منها في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[2] أما الموضع الثالث في سورة الإسراء فهو في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[3].

أما كلمة «النقير» فقد وردت في موضعين اثنين كليهما في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[5].

ونجد كلمة «القطمير» قد وردت في موضع واحد من سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ

(١) سورة النساء، الآية: ٤٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

﴿تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾[1].

المطلب الثاني: السَّنَةُ وأخواتها في القرآن الكريم

لقد استخدمت «السَّنَةُ» في آيات الذكر الحكيم، واستخدام أخواتها: «العام والحول والحجة» فهل استخدام هذه الكلمات، واستعمالها في النظم القرآني بمعنى واحد؟ فإننا عندما نقول بأخوة هذه الألفاظ وترادفها، حيث يطلق كل منها على معنى واحد: «اثنا عشر شهراً» أمد تمام دورة الشمس، وتمام اثنتي عشرة دورة للقمر، فإنَّ لكل لفظة منها معنىً خاصاً تستقل به وتنفرد، لا يوجد في أخواتها، ويرجع هذا المعنى الخاص إلى اشتقاقات هذه الكلمات الأربع.

وبتتبع مواضع «السنة» في آيات الذكر الحكيم سيتجلى لنا أنَّها قد استعملت في معاني الشدة والقحط والجدْب وسوء الزمان والتعب والشقاء[2].

ونجد إنَّ اللبنات الأربعة «السنة والعام والحول والحجة» تلتقي جميعها في معنى واحد هو الدلالة على اثنى عشر شهراً أمد تمام دورة الشمس، وتمام اثنتى عشرة دورة للقمر... وبهذا المعنى ترادفت وكانت أخوات.. إنَّ هذا المعنى يجمعها، وهو الرابطة التي تربط بينها، ولكن اشتقاقات تلك الألفاظ دلّت على معانٍ خاصة ينفرد بها كل لفظ.. وصار المعنى الذي تستخدم فيه «السنة» يقابل المعنى الذي يستخدم فيه «العام» والمعنى المعبّر عنه «بالحول» لا يصلح التعبير عنه بأحد مرادفاته «السنة والعام والحجة» وكذا السياق

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٣.

(٢) ينظر: أسئلة بينانية في القرآن الكريم: ٥٣، وينظر: روافد من نهر الإعجاز: ١٤٥-١٤٦-١٤٧.

الذي عبّر فيه بلفظ «الحجج» يرفض أن يكون في موضعها واحد من تلك الأخوات المترادفة[1].

وقد وردت كلمة «سنة» و«سنين» و«السنين» في المواضع الآتية:

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[3].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[5].

---

(١) ينظر: روافد من نهر الإعجاز: ١٥٠، والقرآن يتحدى: ١٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٥-٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤-٩٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠، وينظر: القرآن يتحدى: ١٧-١٨.

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[2].

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[3].

قال تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[4].

قال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[5].

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[6].

أما كلمة «عام» و«عامين» و«عامهم» فقد وردت في المواضع الآتية:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ١٨-١٩.

(٤) سورة الروم، الآيات: ١-٥.

(٥) سورة المؤمنون، الآيات: ١١٢-١١٣.

(٦) سورة طه، الآيتان: ٤٠-٤١، وينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم: ١٢٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(1).

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾(2).

قال تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(3).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(4).

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(2) سورة يوسف، الآيات: ٤٧-٤٩.

(3) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(4) سورة العنكبوت، الآية ١٤-١٥.

﴿فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

وقد وردت كلمة «حولين» في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

ووردت كلمة «الحول» في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

أما كلمة «حجج» فقد وردت في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[4].

ونجد أيضاً إن القرآن الكريم قد صوّر مصارع القوم وذكر منها مصرع «عاد» قوم «هود» عليه السلام فقد تنوع في تلك المواضع التسعة عشر التي ذكرت

---

(١) سورة لقمان، الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣، وينظر: أسئلة بيانية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٧-٢٨.

فيها قصة «عاد» تنوع السياق الذي ورد فيه التصوير، فتصوير مصارع القوم خاضع للسياق الذي ورد فيه، منسجم معه، ولذا نجده في بعض المواضع لا يزيد عن مجرد الإخبار بهلاكهم، وحلول العذاب ونزوله بهم، وفي بعضها يخبر بوجوب الوعيد ووجوب العقاب: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾... ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾[1] وفي بعضها يخبر بأنَّه تعالى لم يظلمهم، ولكن ظلموا أنفسهم، وكأن السياق في تلك المواضع، قد اقتضى أن يفسح الميدان أمام العقل ليتصور ما يعكس أن يكون وراء الأخذ ووجوب العقاب والوعيد من أهوال وشدائد[2].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[3] على المرء أن يتصور العذاب والهلاك الذي يمكن أن يكون وراء ظلمهم أنفسهم، ولقد أفصحت عن ذلك الآية الكريمة ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[4].

وقد أطالت الآيات الكريمة في الإخبار عن إهلاك الكفرة، وخلو مساكنهم، وتوريثها من خاف مقام الله، وخاف وعيده ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى

(١) الآيتان بالترتيب، سورة ق، آية: ١٤، وسورة ص، الآية: ١٤.

(٢) ينظر: روافد من نهر الإعجاز: ٢١٠-٢١١.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٣٠-٣١.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٢.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1] ولم تقتصر على هذا الإخبار، بل أطالت في تصوير الوعيد، وخيبة كل جبار عنيد وتصوير شدة العذاب في جهنم: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[2] وهذه الإطالة في الوعيد والإخبار عن الإهلاك وتصوير عذابهم في جهنم، تتلاءم مع الإطالة في تصوير عنادهم وتكبرهم...

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز البلاغي في الرسم العثماني

إنَّ أي تغيير في رسم الكلمة بالزيادة أو النقصان لابد أن يتبعه تغيير في المعنى، فكل اختلاف في الرسم العثماني يجب أن نقف أمامه متأملين حتى نهتدي إلى الحكمة التي وراء هذا التغيير. منها مثلاً: زيادة الألف حيث تأتي الألف زائدة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ولها في كل موطن تزاد فيه إعجاز دلالي يجب أن يعيه كل ذي لب بما فتح الله به عليه ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[3] حيث يقول السيوطي: «زيدت الألف تنبيهاً على إنَّ المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً»[4] وعلى ذلك زيدت الألف، لأنَّ الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار[5].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٣-١٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٥-١٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ١/٢٦٦.

(٥) ينظر: الإعجاز الدلالي: ٤٩.

«أريكم– سأريكم »

وردت كلمة (أريكم) على لسان فرعون مرة واحدة هكذا «أُريكُمْ» ووردت كلمة (سأريكم) بهذه الصورة «سأوريكم» بزيادة الواو بعد الألف وفي قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[2] فلما جاءت على لسان فرعون جاءت (أريكم) بصورتها الطبيعية في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[3].

إذا تأملنا الآيتين نجد إن قول فرعون دليل على قدرته المحدودة وإنْ تجبَّر فهي قدرة ضعيفة مهما بلغ ظلمه، أما قدرة الله وآيات إعجازه فهي غير محدودة، ولذلك كان لابد من زيادة المبنى حتى يتحقق زيادة المعنى لقوم يتدبرون القرآن، فيعرفون عظمة قدرة الخالق التي سيريها لخلقه فالسين تدل على الاستمرار والتجدد والحدوث في المستقبل، ومد الواو يوحي باستمرار تجدد الآيات والمعجزات في كل العصور[4] مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٤) ينظر: الإعجاز البلاغي: ١٠٩، وينظر: الإعجاز الدلالي: ٥٠.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

«آباء- أمهات»

وردت كلمة (آباء) (٢١) مرة في القرآن الكريم وكلها بالألف الصريحة، أما كلمة أمهات فقد وردت (٨) مرات من دون الألف الصريحة كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

فهذا يدل على التقارب والارتباط بين الأم وأبنائها كما يوحي بشدة الالتصاق وتبادل المودة والرحمة بين الأم وأبنائها.

أما كلمة آباء فقد وردت بالألف الصريحة وهي توحي بالقوامة على أمر الأسرة، والعمل من أجلها، والتفاني في سبيل إسعادها[3].

«ساحر- سحر »

وردت كلمة (ساحر) بالألف الصريحة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٣) ينظر: الإعجاز الدلالي: ٦١.

وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[3].

إذا تأملنا كلمة (ساحر) في الآيات نجد إنَّها تدل على متمرس في السحر زائغ أمره بين الناس، مشهور بسحره.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ﴾[4] فهي نكرة تفيد الشمول، وتقلل من شأن السحر وصاحبه، وتهوّن من شأنه فهو شأن ضعيف، يقول تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

«سموات– سموت»

وردت (١٨٨) مرة في القرآن الكريم من دون ألفي المد وكتبت «سموت» ووردت مرة واحدة بالألف الصريحة بعد الواو في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[5].

حيث وردت بهذه الصورة عند بيان قدرته تعالى في خلق سبع سماوات في يومين، وجاءت الكلمة بزيادة المبنى لتدل على زيادة المعنى، فالإشارة إلى قدرة الله تعالى في الخلق، وتقدير كل شيء فيها بحكمة عظيمة تستحق

---

(١) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٢، وينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع ابن الأزرق: ١٨٧.

(٤) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٢.

التوقف والتأمل في مظاهر قدرة الله تعالى حيث يقول ﷻ: ﴿ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾[1]. حيث جاءت في تفصيل خلق السماوات والأرض في سورة فصلت فاقتضى زيادة في الرسم تدعو إلى التدبّر في معاني القدرة الإلهية[2].

«سندع»

وردت مرة واحدة من دون (واو) في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾. ومجيء الفعل المضارع المعتل الآخر بدون حرف العلة بدون جزم دليل على سرعة الحدوث، وشدّة العقاب الواقع على المجرمين، كما تدل على سرعة استجابة الزبانية، وسرعة تنفيذ العقاب الواقع بالمجرمين[3].

حذف الياء: حيث تحذف الياء اكتفاءً بالكسرة نحو: «فارهبون» «فاعبدون».

قال أبو العباس: الياء الناقصة في الخط ضربان: ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيهما. فالأول هو باعتبار ملكوتي باطن ينقسم قسمين: ما هو ضمير المتكلم، وما هو لام الكلمة.

إذا كانت الياء ضمير المتكلم مثل: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[4] ثبتت الياء الأولى؛ لأنَّه فعل ملكوتي، وكذلك قوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ

(١) سورة الملك، الآية: ٤.

(٢) ينظر: الإعجاز الدلالي: ٨٠.

(٣) ينظر: الإعجاز الدلالي: ٨٠.

(٤) سورة القمر، الآية: ١٦.

ءَاتَىٰكُم﴾[1] حيث حذفت الياء لاعتبار ما أثار الله من العلم والنبوة، فهو المؤتى الملكوتي من قبل الآخرة وفي ضمنه الجسماني للدنيا؛ لأنَّه فانٍ والأول ثابت[2].

«يأت»

جاءت محذوفة الياء إشارة إلى السرعة في الحدوث، وغالباً ما يكون الحديث عن يوم القيامة، وشدة الهول فيه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[3] فإذا ذكرت الياء فهذا دليل على التمهل في الحدوث، والإمهال في الأمر[4] كقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[5].

وكذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6].

حذف النون: تحذف النون وهي لام «فعل» تنبيهاً على صغر الشيء وحقارته، وأنَّ منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غير الله مثل: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾[7] حيث حذفت النون تنبيهاً على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره، بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثم يترقى في أطوار التكوين.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٦.

(٢) البرهان: ١/٢٧٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٥.

(٤) ينظر: الإعجاز الدلالي: ١١٤ وصفحة ١١٧، وأسئلة بيانية: ١٠٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٧) سورة القيامة، الآية: ٣٧، وينظر: الإعجاز البلاغي: ٨٥.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾[1] فقد جاء حذف النون دليلاً على إنَّ الله تعالى برحمته الواسعة يضاعف أجر الحسنات، وإن صغرت، وفي ذلك فتح لباب المسارعة في الخيرات، وعدم تحقير الطاعة أو الحسنة مهما صغرت؛ فإنَّ الله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، قال تعالى: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾[2].

أما إذا كان الأمر تاماً ولا يحتاج إلى تصغير أو تقليل ذكرت النون وجاءت كلمة (يكن) كاملة الحروف إشارة إلى التمام والكمال والاتساع كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3] وفي ذلك إقامة الحجة على من توفتهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم حيث يقولون لهم: فيم كنتم؟ فيقولون: كنا مستضعفين في الأرض. فيقولون لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ وهي تؤكد اتساع فضل الله ونعمه، وما على العبد إلا السعي على رزقه وعدم التكاسل فإنَّ أرض الله واسعة، وخيراته كثيرة[4].

حذف الواو: تسقط الواو بدون جزم في أربعة أفعال دلالة على سرعة الحدوث وسهولة وقوع الفعل، ومفاجأة الظالم وأخذه بالعقاب الأليم كقوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٤) ينظر: الإعجاز الدلالي: ١١٨-١١٩.

(٥) سورة القمر، الآية: ٦، وينظر: الفاصلة القرآنية: ٦٤.

فهي تفيد سرعة دعوة الزبانية جهنم لإقامة الحجة على المجرمين ويؤكد ﷻ على إنَّ الباطل ضعيف مهما قوي في الدنيا، فإذا جاء الحق زهق الباطل بسرعة حيث يقول ﷻ: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾[1] وهي توحي بسرعة زوال الباطل والقضاء عليه، وتخليص الناس من شرّه ففي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾[2].

حيث ترى إنَّ (أم) بمعنى (بل) يقولون: افترى على الله الكذب فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، ويمحو الله الباطل بسرعة ويحق الله الحق بكلماته أي: يظهره بقوّته فيكون الحق ظاهر والباطل زهوقاً[3].



(١) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

(٣) ينظر: الإعجاز الدلالي: ١١٩-١٢٠.

المبحث الثاني

الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم

إنَّ الذي يهمنا من هذه الدراسة هو الإعجاز الصرفي في بيان: فصاحة ألفاظه، وتنوع دلالات مفرداته بتنوع اشتقاقاتها الصرفية، وبلاغة عباراته وقوة تأثيره، ويتجلى هذا لمن كان له ذوق عربي في تشبيهاته وأمثاله، وحججه ومجادلاته، وفي إثباته للعقائد الحقة وإفحامه للمبطلين.

ولقد بذل علماء اللغة جهودهم لدرس معاني الأبنية، للوصول إلى معانيها عن طريق النظر والموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ، وهذا النظر قائم على الاستعمال القرآني أولاً، وعلى دراسة الضوابط العامة والأصول التي وضعها علماء اللغة، وعلى المعاني التي يُفسرون بها المفردات أو الأبنية. ومما توصلوا إليه:

المطلب الأول: دلالة الاسم والفعل في القرآن الكريم

يقول اللغويون: إنَّ الاسم يفيد الثبوت، والفعل يفيد التجدد والحدوث. فإذا قلنا: (خالدٌ مجتهدٌ) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، في حين إننا إذا قلنا: (يجتهدُ خالِد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن. وكذا إذا قلنا: (هو حافظ) أو (هو يحفظ) فالاسم يدل على ثبوت الحفظ له على سبيل الدوام، والفعل يدل على حدوث الحفظ وتجدده عنده[1].

يقول القزويني: «وأما كونه -يعني: المُسْنَد- فعلاً، للتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة، على أخصر ما يكون، مع إفادة التجدد، وأما كونه اسماً فلإفادة عدم

---

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية: ٩٢، وينظر: إعجاز القرآن: ١٤ و١٦.

التقييد والتجدد»[1]. ومن هنا؛ نفهم السرّ في مجيء كلمة (باسطٌ) على وزن اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[2].

يقول الجرجاني: «فإنّ أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وإنَّ قولنا: «كلبهم يبسُطُ ذراعيه» لا يؤدي الغرض. وليس ذلك إلا لأنَّ الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً»[3].

ونلاحظ روعة التعبير ودقته في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾[4] كيف فرق بينهما، قال الزمخشري: «فإن قلت: لَمَ قيل: (ويقبض)، ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأنَّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهارية على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهنّ القبض تارة بعد تارة، كما يكون من السابح»[5].

ولكون الاسم دالاً على الثبوت كان الوصف به أقوى من الوصف بالفعل، فقلونا: «الحمد لله» أقوى من (حمداً لله) أو (أحمد الله) وأهل البيان

---

(١) الإيضاح: ١/٨٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٣٣.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٥) الكشاف: ٣/٢٥٤.

يُفرقون بين التعبير بالرفع والنصب، ويَعُدّون الرفع أقوى، قال الزمخشري: «الحمد لله: ارتفاع الحمد بالابتداء، وخبرهُ الظرف الذي هو (الله) وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنَّه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار، كقولهم: شكراً، وكُفراً، وعجباً. ومنها: سبحان الله، ومعاذ الله، يُنزلونها منزلة أفعالها، ويسدُّون بها مسدّها، ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء، للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾[1] رَفْعُ السلام الثاني للدلالة على إنَّ إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم، لأنَّ الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدّده وحدوثه، والمعنى: نحمدُ الله حمداً»[2].

المطلب الثاني: النماذج التفصيلية للاختيار في الصيغ

☐ اختيار صيغ الاسم:

لقد نحى الباحث بعرض أمثلة الاختيار للصيغة المختارة دون تقيد بالبديل المطروح لها في تلك السياقات؛ وذلك لأنَّ البدائل للصيغة الواحدة قد تتعدد، وتتنوع، فالمصدر مثلاً قد يحل محله الفعل أو اسم الفاعل، أو اسم المفعول، وسيكون العنوان مثلاً (اختيار صيغة المصدر) دون أن نقيد ذلك بالبديل، وذلك تفادياً للتكرار، وكثرة التقسيمات والعناوين.

وتم اختيار صيغة المصدر (فعلان) منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٥.

(٢) الكشاف: ٣/٢٥٤.

ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

حيث جاء اختيار صيغة (الفعلان) للتعبير عن الحياة في الدار الآخرة بما تشتمل عليه من حركة ونشاط وابتهاج مع دوام ذلك واستمراره وتجدد ألوانه، وذلك في مقابل الحياة الدنيا -حياة اللهو واللعب- بما تشتمل عليه من انكسار وسأم من رتابة صور الحياة وتكرارها بلا تجدد[2].

ولذا قال الزمخشري: «وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة»[3].

❑ اختيار صيغة اسم المرة:

من المواضع التي وظفت فيها صيغة اسم المرة توظيفاً بليغاً قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾[5] حيث جاء بناء النعمة في الآيتين بناء

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن: ٩٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ١٥٩/٣، وإرشاد العقل السليم: ٤٧/٧، وينظر: الإعجاز الصرفي: ٩٤-٩٥.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٥) سورة المزمل، الآيات: ١١-١٣.

اسم المرة، وكان يمكن مجيئه على غيرها من المصادر كالتنعم أو الإنعام أو النعمة بالكسر أو غير ذلك، إلا إنَّ الآية قد آثرت هذه الصيغة، قال الرازي: «والنعمة والتنعم وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة» ولم يزد الزمخشري قوله: «إنَّ النعمة بالفتح التنعيم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المرة» وتابعه على ذلك أكثر المفسرين بعده، ناقلين كلامه بنصه[1].

وزاد الآلوسي في موضع آخر[2] على كلام الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾[3] فقال: «واختير ههنا تفسير النعمة بالشيء المنعم به؛ لأنَّه أنسب للترك، وهي كثيراً ما تكون بهذا المعنى» وذلك بعد نقله لكلام الراغب في مجيئها على بناء المرة[4].

والذي أراه في تعليل ذلك -والله أعلم- أنَّ وجه الإفراد في سورة الدخان شبيه بما وجه به الزمخشري الإفراد في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[5] وحاصله أنه «من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه... الخ كلامه»[6].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٤/١٥٥، ومفاتيح الغيب: ١٤/١٤٩، ١٥/٨٠٩، والدر المصون: ٦/٢١٤، ٤٠٧، والمحرر الوجيز: ٥/٧٢، ٣٨٩، وروح المعاني: ٢٩/١٠٧.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٥/١٢٣.

(٣) سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٤) ينظر: المفردات: ٤٩٩، وينظر: الإعجاز الصرفي: ٩٧-٩٨.

(٥) سورة التكوير، الآية: ١٤.

(٦) الكشاف: ٤/١٨٩.

❑ **اختيار اسم الهيئة:**

من ذلك لفظ (النعمة) جاء على بناء الهيئة في سبعة وأربعين موضعاً في القرآن للفت الأنظار إلى هيئة النعمة الواحدة، وما اشتملت عليه من نعم عديدة هي تفاصيل تلك النعمة، ولعل هذا يرجح عدم مجيئه على غيرها من الصيغ كاسم المرة أو الإنعام أو غير ذلك. وأمثلتها في الشعر، قول الأعشى:

كأنَّ مشيتها من بينِ جارتِهـــا   مرُّ السَّحابَةِ لا ريثٌ ولا عَجل[1]

حيث لعب التعبير باسم الهيئة دوره في استحضار هيئة تلك المرأة وهي تمرُّ كَمرِّ السحاب، ولا تقوم صيغة أخرى في هذا الموضع كاسم المرة أو غيره من المصادر في الدلالة على المعنى المراد تصويره[2].

❑ **اختيار صيغة اسم الفاعل:**

من أمثلة الاختيار المتكلف لاسم الفاعل قول البستي:

إذا ملـــك لم يكـــن ذا هبـــة   فدعـــه فدولتـــه ذاهبـــة[3]

حيث تعمّد الشاعر الإتيان بصيغة اسم الفاعل (ذاهبة) لإحداث إيقاع متكلف، وليس هذا تكرار للصيغة؛ لأنَّ (ذاهبة) الأولى بمعنى صاحب هبة. أو كقول البستي أيضاً:

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا

ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا[4]

---

(١) ديوان الأعشى: ١٧.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٠٠.

(٣) ينظر: نهاية الإيجاز: ١٣٢.

(٤) نهاية الإيجاز: ١٣٢.

حيث أتى بصيغة الماضي (جاملنا) ليجانس قافية البيت الأول (جام لنا) متكلف لأجل الإيقاع[1].

❑ اختيار صيغة المبالغة:

منها صيغة (فعّال): قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[2] جاء التعبير هنا بصيغة المبالغة (سحّار) في هذا الموضع دالاً على مقابلة الملأ وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيده على إنه يريد أن يخرجهم من أرضهم (بسحره) فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحار عليم يفوق سحره سحر موسى.

ومثلها أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾[3].

وقد علل بعضهم مجيء صيغة المبالغة في الشعراء دون الأعراف؛ لأنَّ المبالغة في الشعراء مناسبة لقول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[4] ولكن يضعف من هذا التعليل أن الملأ قد وصف موسى كذلك في سورة الشعراء بأنَّه (ساحر عليم) وأرى أنه لم تأتِ المبالغة (سحار) في سورة الأعراف؛ لأنَّه

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٠٢-١٠٣.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٣٤-٣٧.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٠٩-١١٢.

(٤) ينظر: تفسير الرازي: ١٢/١٢٠، والكرماني: ٨١.

لم ينص على إنَّ المحذور -وهو إخراج موسى لهم من أرضهم- إنَّما يقع (بسحرة) فلم تذكر هذه الكلمة في سورة الأعراف، ومن ثم لم تقابل بصيغة المبالغة (سحار) في وصف السحرة، فكأن الملأ في هذا الموضع لم يتصور أن ما جاء به موسى -وهو ما وصفوه بكونه سحراً- يكون له من القوة والتأثير أن يخرجهم من أرضهم، فمن لا يحتاج إبطال سحره إلى الإتيان بمهرة السحرة. أما في سورة الشعراء فإنَّ الكلام فيها على لسان فرعون -لا الملأ- وهو يؤكد لهم أنَّ معجزة موسى عليه السلام والتي سماها فرعون سحراً تبلغ من القوة والتأثير أن يخرجهم موسى من أرضهم بها[1].

❑ اختيار الصفة المشبهة:

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[2].

عبّرت الآية عن وصف هؤلاء المكذبين بالصفة المشبهة على غيرها من الصيغ كاسم الفاعل مثلاً (عامين).

ونستطيع أن نتبين سر اختيار هذه الصيغة إذا ما راجعنا سياق الآية من أوله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3] نجد في الآية أن الملأ من قوم نوح قد برروا تكذيبهم

---

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٠٣-١٠٤، وأسئلة بيانية: ٦٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩-٦٠.

لنبيهم بادعائهم ضلاله، وكان طريق إثبات هذه الدعوى الكاذبة هو افتراؤهم عليه بإثبات رؤيتهم له في ضلال مبين، ولما كان أساس تلك الدعوى الكاذبة هو ادعاء الرؤية المبالغ في إثباتها بـــ(إن واللام)، واستخدام حرف الجر (في) الدال على انغماسه في الضلال وإحاطته به، فضلاً عن ادعاء كون ذلك الضلال بيّناً واضحاً[١].

قال الطيبي: «الدلالة الصفة المشبهة على الثبوت... ولأن اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت»[٢].

ويقول الزمخشري بهذا الصدد: «(عمين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عامين)، والفرق بين العمى والعامى أن العمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث»[٣].

❑ اختيار صيغة (فَعَّل):

جاء في قوله تعالى في وصف الطوفان الذي أهلك قوم نوح عليه السلام: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[٤] حيث جاءت صيغة (فَعَّل) لتتلاقى مع ظلال التكثير في هذا البيت الناشئة من العناصر الأخرى، قال الآلوسي: «جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله فجرنا عيون الأرض، فغير إلى التمييز للمبالغة بجعل الأرض كلها متفجرة مع الإبهام والتفسير»[٥]

---

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٠٥.

(٢) فتوح الغيب: ٥٧٥/١.

(٣) الكشاف: ٦٨/٢، والدر المصون: ٢٨٩/٣، وينظر: روح المعاني: ١٥٤/٨.

(٤) سورة القمر، الآية: ١٢.

(٥) ينظر: روح المعاني: ٨٢/٢٧.

فناسب تلك المبالغة وذلك التكثير مجيء الفعل على صيغة (فعل) الدالة على التكثير والمبالغة كذلك.

وقال اليزيدي:

مَلَّكْتُه حبلى، ولكنه ألقاه من زهد على غاربي[1]

حيث اختار الشاعر صيغة (فعّل) في قوله: (ملّكْتُه) للدلالة على إفراط تمكينه إياه من قلبه حتى استولى عليه وامتلكه تمام الامتلاك، ليقابل ذلك بتخليه عنه تمام التخلي وإلقاء حبل مودته زاهداً في وصله غير حريص على ما ملكه إياه[2].

❑ اختيار صيغة (افتعل):

وقد جاء التعبير بصيغة (افتعل) في قوله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] أي: لا تتبع هوى النفس في الحكومات[4].

ويقول البقاعي: «إنَّ التعبير بصيغة الافتعال أفاد أنه سبحانه وتعالى عفا عن الخطرات وما بادر الإنسان الرجوع عنه والخلاص منه توبة إلى الله»[5].

وأيضاً ما جاء في رد الرسول الكريم ﷺ على الكافرين حينما طلبوا منه أن يأتيهم بآية فأجابهم بأنّه إنما يتبع ما يوحى إليه[6] حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذَا

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٣٧.

(٢) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٢٩-١٣٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٨٧/٢٣.

(٥) نظم الدرر: ٣٦/١٦.

(٦) ينظر: الكشاف: ١١١/٢.

﴿لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾[1].

وقال الزمخشري: «اجتبى الشيء معنى حياة لنفسه أي جمعه كقولك: أي جمعه أو جبى إليه فاجتباه أي: أخذه كقولك: جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعال من عند نفسك؛ لأنَّهم كانوا يقولون: إنَّ هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذها مترلة عليك مقترحة ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها[2].

فالمشركون قد طلبوا من النبي ﷺ أن يفتعل الآيات سخرية منهم له ﷺ أو يتكلف طلبها لهم ويتعمده لأجلهم فناسب ذلك أن يقابل القرآن هذا التكلف والتعمد المقترح في الاقتراح على الله تعالى والتقدم بين يديه بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ أي: أتعمد وأتكلف الاتباع[3].

المطلب الثالث: النماذج التفصيلية للعدول

غالباً ما يقع العدول لأجل مراعاة الإيقاع كالوزن أو القافية أو غير ذلك ودراستنا هنا تتحدث عن العدول في الصيغ وذلك لإظهار الجانب الإعجازي في النص القرآني ومنه:

١- العدول إلى صيغة الاسم:

العدول في المصادر:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[4] حيث عدل عن المصدر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣.

(٢) الكشاف: ٢/١١١.

(٣) ينظر: صيغة افتعل في القرآن: ٧٦، وينظر: الإعجاز الصرفي: ١٣٦.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٨.

(تبتلا) إلى (تبتيلا) وقد جرى معظم المفسرين الذين تعرضوا لبيان سر العدول في هذا الموضع على تعليله برعاية الفواصل[1] كالزمخشري -وتبعه الآلوسي في ذلك- حيث جعل (تبتل) هنا بمعنى (بتل)، ولكن هذا يثير سؤالاً آخر وهو لماذا عدلت الآية إذاً عن (بتل) إلى (تبتل)؟ والأقرب من هذا وهو الأصوب أن نقول: لماذا عدلت الآية عن (التبتل) إلى (التبتيل)؟ وهل السر في هذا العدول هو مجرد رعاية الفاصلة؟

قال الآلوسي: «(تبتيلا) ونصبه (تبتل) لتضمنه بتل على ما قيل»[2].

وأتى في المصدر «تبتيلا» وهو على وزن «تفعيل» الدال على التكثير[3] ليدل على إنَّ المراد هو الإكثار من هذا التبتل والانقطاع، وذلك لحاجة الداعي إليه في أول الطريق حتى ينال نصيبه من زكاة النفس، ومجاهدتها، وجمعها على محبوبها وفاطرها استغناءً به عمن سواه، وبهذا يتضمن الأمر معنى المحاولة والمجاهدة[4].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[5] حيث عدلت الآية عن المصدر (إنباتا) إلى (نباتا)، وقد علل أغلب المفسرين للاختيار في ﴿أَنۢبَتَكُم﴾ أنه ضمنه معنى الإنشاء[6] وكان الأولى أن يبيّنوا سر العدول في اسم المصدر (نباتا)

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٥٣/٤، والدر المصون: ٤٠٥/٦، والقرطبي: ٦٨٣٦/١٠، والجلالين: ٧٧٣، والآلوسي: ١٠٦/٢٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٠٦/٢٩.

(٣) ينظر: شذا العرف: ٤٣.

(٤) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٦٦.

(٥) سورة نوح، الآية: ١٧.

(٦) الكشاف: ١٢٤/٤، والدر المصون: ٣٨٤/٦، الآلوسي: ٧٥/٢٩.

إلا إنهم اكتفوا بتوجيهه بقولهم: (والمعنى: أنبتكم فنبتم نباتا)[1].

٢- العدول إلى اسم المرة:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

ويمكن أن نلاحظ العدول في الآية عن صيغة المصدر (ضلال) إلى صيغة اسم المرة (ضلالة) وسر هذا العدول يرجع إلى إنَّ الملأ من قوم نوح قد اتهموا نوحاً عليه السلام بالضلال اتهاماً مؤكداً (بإن واللام) مبالغاً فيه بادعاء رؤيتهم له في ضلال مبين بما يفيده لفظ الرؤية من اليقين والتثبت ولفظ (في) ما معنى الإحاطة والانغماس في الضلال، ولفظ (مبين) بصيغة (اسم الفاعل) على ضلال بيّن واضح ثابت، فناسب ذلك أن يسلك نوح عليه السلام في نفي هذا الاتهام مسلكاً آكد وأبلغ من إثباته؛ فلذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة وأوقعتها نكرة في سياق النفي لإفادة العموم، واختار حرف الجر (الباء) لنفي أدنى ملابسة له بالضلالة. فكأنَّه قال: (ليس بي شيء من الضلال)[3] أو (ليس بي نوع من الضلال البتة، فكان هذا أبلغ في عموم السلب)[4] وذلك لأنَّ اسم المرة لا يدل إلا على الفعلة الواحدة ونفي الأدنى من نفي الأكثر[5] (فيرجع حاصل المعنى ليس بي أقل

---

(١) الكشاف: ١٢٤/٤، والمحرر الوجيز: ٣٧٥/٥، والدر المصون: ٣٨٤/٦، والآلوسي: ٧٥/٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ٦٠-٦١.

(٣) الكشاف: ٦٧/٢.

(٤) الرازي: ١٦٤/٧. وينظر: البحر المحيط: ٣٢١/٤. إرشاد العقل السليم: ٢٣٥/٣.

(٥) ينظر: الجلالين: ٢٠٢.

قليل من الضلال فضلاً عن الضلال المبين)[1]، ولذا قال الطيبي: (أي: ضلالة نزرة)[2] ومن ثم أفاد اسم المرة نفي أي نوع من أنواع الضلال، أو نفي أقل القليل منه وهو الأرجح[3].

٣- العدول إلى اسم الفاعل:

يوجد في القرآن الكريم مواضع تتضمن العدول إلى اسم الفاعل منها قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾[4] حيث عدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل التي عبّرت بها في حق أهل الكتاب إلى صيغة الاسم في حق النبي ﷺ فجاء التعبير باسم الفاعل منفياً لينفى عن النبي ﷺ أهليته لهذا الأمر من الأصل، ويؤيد ذلك أن اسم الفاعل يأتي للنسبة ومن ثم كان التعبير باسم الفاعل منفياً لأدنى احتمال في انتساب النبي ﷺ لمتابعة الكتاب، وذلك على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾[5]. ولذا قال الآلوسي: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ أي: لا يكون ذلك منك ومحال أن يكون وقال الزمخشري: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾ حسم لأطماعهم[6]. هذا فضلاً عن إن الإخبار باسم الفاعل في هذه الجملة أدى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيداً ومبالغة في النفي

(١) الآلوسي: ١٥١/٨.
(٢) التبيان: ١٧١/١.
(٣) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٦٨-١٦٩، وأسئلة بيانية: ٨٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.
(٥) سورة الكافرون، الآية: ٣. وينظر: العدول إلى اسم الفاعل.
(٦) ينظر: الكشاف: ١٠١/١، والرازي: ٥٠٩/٢، الآلوسي: ١١/٢.

المؤكد (بالباء)[1].

وقال سيد قطب: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ ليس من شأنك أن تتبع قبلتهم أصلاً. واستخدام الجملة الاسمية المنفية هنا أبلغ في بيان الشأن الثابت الدائم للرسول الكريم تجاه هذا الأمر[2].

وبهذا نرى كيف جاءت هذه الصيغة دالة على معنى النفي الحاسم لتيئيس أهل الكتاب من أطماعهم في إتباع النبي ﷺ لقبلتهم رجاء أن يتبعهم في دينهم، فجاء التعبير بهذه الصيغة منفية للدلالة على انتفاء أهلية الرسول الكريم لهذا الأمر من أصله، ومن ثم انتفاء نسبته إليه[3].

٤- العدول إلى المفرد:

من أمثلة العدول إلى المفرد في القرآن الكريم هو توحيد النور وإفراده في مقابل جمع الظلمات، حيث ورد النور مفرداً في مقابل جمع الظلمات في أحد عشر موضعاً في كتاب الله تعالى ولم يرد خلاف ذلك في موضع واحد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[6].

---

(١) ينظر: الدر المصون: ١/٤٠١.

(٢) ينظر: الظلال: ١/١٣٥.

(٣) ينظر: الإعجاز الصرفي: ١٦٩-١٧٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١.

ففي هذه الآيات كلها جاءت الظلمات مجموعة ثم عدل عن هذا الجمع بإفراد النور، ويتجلى هذا العدول في أوضح صورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[1]. ففي هذا الموضع يتضح للقارئ والسامع مخالفة قاعدة السياق المطردة في الجمع بين الصيغ المتناسقة إفراداً وجمعاً، ومن ثم تبدو نعمة هذا العدول متميزة تنادي بالالتفات إلى سر تلك المخالفة، وذلك العدول، ويسهل على المتدبر لهذا العدول معرفة سرّه والوقوف عليه، وهو وحده سبيل النور والإيمان، وتشعب كل السبل دونه وتفرقها ومن ثم أفرد صراط الله المستقيم في مقابل سبل الضلال، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[2].

قال أبو حيان: «جمعت الظلمات لاختلاف الضلالات، ووحد النور؛ لأنَّ الإيمان واحد»[3].

ويذكر الآلوسي وجهاً في إفراد النور وجمع الظلمات، وهو الإيحاء إلى قلة أتباع الحق، وكثرة أتباع الباطل، حيث ردد كلامه بين القول السابق أو أن الأول (أي: النور) إيحاء إلى القلة والثاني (أي: الظلمات) إلى الكثرة[4].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٩-٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) البحر المحيط: ٢/٢٨٣.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٣/١٤.

المطلب الرابع: النماذج التطبيقية للتكرار الصيغي

سنعرض للجوانب التطبيقية من التكرار الصيغي، وكيف اتفقت الدراسات القديمة والحديثة في رصد هذه الظاهرة وعدّها أساساً من أسس التوظيف الإعجازي لبيان صيغ الكلام والوقوف على إعجازه.

١- دلالة التكرار في صيغة اسم الفاعل:

نلاحظ أنَّ دلالة اسم الفاعل لها سمات فريدة تتميز بها بين الصيغ السابقة. ويرجع السبب في ذلك إلى ما يميز هذه الصيغة من جمعها بين سمات كل من الاسم والفعل معاً؛ ففي التقسيم القديم للنحاة لأقسام الكلم نجد إنَّ البصريين يصنفونها في قسم الأسماء؛ بينما يصنفه الكوفيون في قسم الأفعال؛ حيث ماضي ومضارع دائم، ويعنون بالدائم صيغة اسم الفاعل[1] الأمر الذي جعل ذلك مثار جدل كبير في الدراسات اللغوية القديمة وبلغ غايته في الدراسات الحديثة والمعاصرة؛ حيث اعترضت العديد من الدراسات على هذا التصنيف، فالبعض يجعلها من قبيل الأفعال، والبعض يخصها بقسم خاص بها وبنظائرها كأسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة؛ فيميز ذلك كله بمصطلح الصفة[2].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾[3] فحينما ننظر إلى اسم الفاعل ﴿بَٰسِطٌ﴾ في مقابل البديل الآخر المتاح في هذا السياق وهو

---

(١) ينظر: مجالس النحويين: ٢٤٩. ومعاني القرآن: ١/٤٥-١٦٥. والفعل زمانه وأبنيته: ١٩.

(٢) ينظر: اللغة العربية: ٦٨-١٠٠. وأقسام الكلام: ٢١٤-٢٤٣. والفعل زمانه وأبنيته: ٤١. والزمن واللغة: ٤٦-٥٤. وفي النحو العربي: ١٣٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(يبسط) نجد إن اسم الفاعل من حيث كونه اسماً يتميز عن الفعل في هذا الموضع في الدلالة على إثبات والجمود؛ «فإنَّ أحداً لا يشك في امتناع الفعل هاهنا، وأنَّ قولنا: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ لا يؤدي الغرض. وليس ذلك إلا أنَّ الفعل يقتضي مزاولة الصفة وتجددها في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً...»[1].

نجد كل من الزمخشري والطيبي يقارن بين اسم الفاعل وبين الصفة المشبهة معللاً سر العدول عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[2] قال الزمخشري: (عمين) عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ (عامين)، والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث»[3] ويوضح الطيبي ذلك ويعلله بقوله: لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت؛ ولأنَّ اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت»[4]. ومن ثم يحدد د. تمام حسان دلالة اسم الفاعل بقوله: «صفة الفاعل تدل على وصف الفاعل بالحدث منقطعاً متجدداً»[5]. وقد ذهب إلى ذلك باحثون آخرون من المعاصرين[6].

وكذلك قوله تعـالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: ص١٧٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٤.

(٣) الكشاف: ٦٨/٢.

(٤) فتوح الغيب: ٥٧٥/١.

(٥) اللغة العربية: ٩٩.

(٦) ينظر: أقسام الكلام: ٢٢١. وفي النحو العربي: ٤١.

ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[1] نلاحظ فيها التكرار في صيغ المبالغة تكرار صيغة (فُعَلة)[2].

قال الزمخشري: «الهمزة: الكسر كالهزم، واللمز: الطعن.. والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم، وبناء فعلة يدل على إنَّ ذلك عادة منه قد ضرى بها، ونحوهما اللعنة والضحكة، قال:

وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة[3]

وقال ابن المنير في تعليقه على كلام الزمخشري: «ما أحسن مقابلة الهمزة للمزة بالحطمة؛ فإنّه لّما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت إلى إنَّها راسخة فيه ومتكمنة منه اتبع المبالغة بوعيده بالنار التي سماها بالحطمة يلقى فيها، وسلك في تعيينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي ضمنه الذنب حتى يحصل التعادل بين الذنب والجزاء، فهذا الذي ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التي هي ضاربة بحطم كل ما يلقى إليها»[4].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾[5]

---

(١) سورة الهمزة، الآيات: ١-٩.

(٢) هي صيغة غير قياسية قليلة الورود. ينظر: البحر المحيط: ١٠/٥٤١.

(٣) الكشاف ومعه حاشية ابن المنير: ٤/٢٣٢. وينظر: إرشاد العقل السليم: ٥/٩٠١. والبيضاوي بحاشية الشهاب: ٨/٣٩٦.

(٤) حاشية ابن المنير على الكشاف: ٤/٢٣٢، والإعجاز الصرفي في القرآن: ٢٤٢.

(٥) سورة النازعات، الآيات: ٦-١٤.

نلاحظ هنا أن دلالة اسم الفاعل تختلف عن الموضع السابق، فالراجفة رجفة واحدة، من أثر نفخة واحدة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[1] والرادفة هي النفخة التالية كذلك، وهي واحدة ومن ثم فلا يظهر في دلالة اسم الفاعل هنا في الموضعين معنى التجدد، وإنَّما يظهر فيهما معنى الثبوت وذلك كأمثاله في (الحاقة والواقعة والطامة والصاخة والقارعة) أن الدلالة الرئيسية لاسم الفاعل في هذا المقطع إنَّما هي الدلالة على ثبوت نسبة تلك الأوصاف لليوم الآخر ثبوتاً مؤكداً، يفيده التعبير بصيغة اسم الفاعل المكررة.

ونلاحظ لفتة أخرى وهي دور الصيغة في تغيير الإيقاع السريع الثابت في هذا المشهد كله مشهد اليوم الآخر[2] وذلك حتى يؤدي ذلك الإيقاع الصرفي أو الصيغي دوره كذلك في عقد تلك المقابلة بين تقلب الدنيا، وثبات الآخرة.

ومن الظواهر الأسلوبية الأخرى في هذه الآيات تكرار صيغة المصدر (غرقا- نشطا- سبحا- سبقا)، ومعلوم -حسب ما سبق بيانه في الجانب النظري من البحث- أنَّ الاختيار هنا إنَّما هو بين ذكر تلك الصيغة وحذفها؛ أي إنَّ الاختيار هنا إنَّما هو بين دلالة الذكر ودلالة الحذف لتلك الصيغ.

والراجح هنا هو دلالة الذكر؛ وذلك لما أفادته تلك الصيغ من توكيد وبيان للحقيقة والماهية يقتضيه السياق والمقام؛ فالسياق سياق قسم بتلك المخلوقات العظيمة من الملائكة -على الراجح من أقوال المفسرين- أو غيرها، وهو قسم على بعث الله تعالى للناس ولهؤلاء الكفار المعاندين من

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ١٣-١٥.

(٢) الظلال: ٣٨١٣/٦.

كفار مكة[1].

ومما يلفت النظر في توظيف الصيغ في تلك الآيات استخدام صيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ حيث اختارت السورة الكريمة صيغة المفرد (أمرا) على (أمورا) والملائكة إنَّما تدبر في الحقيقة أموراً كثيرة لا أمراً واحداً.

ولعل النكتة في ذلك -والله أعلم- أن توحيد المأمور به إنَّما جاء مفرداً للدلالة على وحدة الآمر، وهو الله سبحانه، ففيها من الدلالة على وحدانيته سبحانه وتفرده بالأمر والنهي ما فيها.

أو يكون ذلك دلالة على وحدة المأمورين في أداء أمره سبحانه وتنفيذه، فهم جميعاً في ذلك يد واحدة، مجتمعون على طاعته سبحانه ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[2].

ويتبين قيمة هذا الإفراد وفضله على الجمع وما يلقيه من ظلال وإيحاءات دلالية في هذا الموضع.

والذي يلفت النظر أيضاً استخدام النظم القرآني لصيغة المرة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ حيث اختار صيغة المرة زجرة، فضلاً عن توكيدها بلفظ ﴿وَٰحِدَةٞ﴾ مع دلالتها في نفسها على الواحدة؛ وذلك مبالغة منه سبحانه في الرد على هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث، وبيان أنَّ الأمر جدّ هين عليه سبحانه فما هي إلا نفخة واحدة من الملك الموكل بالنفخ في الصور فإذا الخلائق جميعاً قد بعثوا وخرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها ليعرضوا

---

(١) وهذا على أرجح الأقوال أن جواب القسم محذوف، وتقديره (لتبعثن يا كفار مكة) ويؤيده سياق السورة وذكر الطامة الكبرى والحشر في آخرها. ينظر: تفسير الجلالين: ٧٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٦، والروم: ٢٦.

على ربهم[1].

وهكذا نجد إن الصيغ المستخدمة في كل آية من آيات هذا النظم الشريف قد وظّفت توظيفاً رائعاً لخدمة الغرض الذي سيقت الآيات لأجله بطريقة تميز الأسلوب القرآني في غيره من أساليب الكلام بتلك البراعة الفائقة في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؛ ما يدلنا على إنَّ هذا الجانب من الإعجاز القرآني لا يزال بحاجة إلى العديد من الدراسات التي تكشف عن أسراره وتستخرج كنوزه العامرة.



(١) ينظر: الإعجاز الصرفي: ٢٤٣.

الفصل الرابع

علم المناسبات القرآنية (مدخل إلى علم المناسبات)

المبحث الأول

تعريفه، وموضوعه، وثمرته

المناسبات لغةً: جمع مناسبة، والمناسبة المُشَاكَلَةُ، ونَاسَبَ فلاناً شَرَكَهُ في نَسَبِه وشَاكَلَهُ، يُقَالُ: بينهما مناسبةٌ، ويُقالُ: ناسَبَ الأمرُ أو الشّيءُ فلاناً، أي: لاءَمَهُ ووافقَ مِزَاجَهُ، والتّناسبُ التّشَابُهُ، والمقاربةُ، وفلانٌ يُنَاسبُ فُلاناً، أي: يَقرُبُ منهُ ويُشاكِلُهُ، ومنه النّسيبُ الذي هو القريبُ المتّصِلُ وفي لغة العرب ثلاث معان:

الأول: وفي القرابات منه فلان نسيبي، وهؤلاء أنسابي ورجل نسيب، والنسبة مصدر الانتساب.

والثاني: النسيب في الشعر ما كان نسيباً، وشعر منسوب وجمعه مناسيب وهو الشعر في النساء.

والثالث: الطريق الواضح كطريق النمل والحية، وطريق حمر الوحش الى المورد وهو طريق واحد[1].

وعند الأصوليين: المناسبة في العلة في باب القياس، وهي تعيين العلة بمجرد إبداء المناسبة، مع السلامة عن القوادح[2].

---

(١) ينظر العين: ٢٧١/٧، وتهذيب اللغة: ١٤/١٣، القاموس المحيط، مادة (نسب)، مختار الصحاح، باب النون (٦٥٦)، المعجم الوسيط، باب النون: ٩٥٦/٢.

(٢) ينظر: المحصول في علم أصول الفقه: ٢١٧/٢، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٦٢٥/٢.

وعند البلاغيين: هو الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر ونقل التهانوي أن المناسبة عند البلاغيين هي جمع أمر وما يناسب لا بالتضاد. تلا ذلك تداول للفظ المناسبة من قبل البلاغيين ي ابواب مختلفة من علمي المعاني، والبديع كالمقابلة، ومراعاة النظير، وتشابه الأطراف وقسم منهم يطلقونها على الفصل والوصل[1].

وفي اصطلاح المفسّرين: «هو علمٌ تُعرفُ منه عِلَلُ ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادةُ فيه على معرفةِ مقصودِ السّورة المطلوب ذلك فيها» [2].

وعرّفه ابن العربي بقوله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، مُنتظِمة المباني علمٌ عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[3].

وعَرّفه الزّركشي: «المناسبة أمرٌ مَعْقُولٌ، إذا عُرِضَ على العقول؛ تَلَقّتْهُ بالقَبول»[4].

(١) الفوائد المشوق: ٨٧، والمعجم المفصل في علوم البلاغة: ٤٣٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/٥، وينظر: بديع القرآن: ١/١٤٩ والإيضاح: ١٤٧ والتلخيص: ١٧٥، وينظر: المناسبات في القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة: ٢٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٦، الإتقان في علوم القرآن: ٢/٩٧٦، نقلاً عن ابن العربي من كتابه «سراج المريدين».

(٤) البرهان: ١/٣٦، وينظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم: ٣١.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأنَّ علم المناسبات عِلمٌ يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقاً من مقاصدها وأغراضها، للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها. وتعريف البقاعي تعريف جامع، إذ يشمل مناسبة الآية والمقطع والسورة، ولعلّهُ أعتمد على ما تقدم من تعريف الزركشي مثل ضرورة وجود رابط يربط بينهما على ما تقدم لكن البقاعي اكتفى عن تعديد الروابط بما صاغه في التعريف السابق وفيه إشارة الى الروابط التي ترجع إليها المناسبة.

موضوعه: أجزاء الشّيء المطلوب علم مناسبته من حيثُ التّرتيب.

هذا بالنسبة لموضوع علم المناسبات عموماً، أمّا علم مناسبات القرآن الكريم فموضوعه السور والآيات القرآنية.

ثمرته: الإطلاع على الرُّتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتّعلق، الذي هو كلُحمةِ النّسَبِ[(١)]، وبه يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّنُ من اللبّ، وذلك أنّه يكشفُ أنّ للإعجاز طريقين:

أحدهما: نَظْمُ كلِّ جملةٍ على حيالها بحسب التّرتيب.

والثّاني: نَظْمُها مع أختها بالنّظَر إلى التّرتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً[(٢)].



(١) نظم الدرر: ١/٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٠.

المبحث الثاني

نشأته

أدرك فصحاءُ العربِ، وبلغاؤهم تناسبَ القرآن الكريم منذ فترة تَنَزُّله، مع أنهم استهزَؤُوا به، وَوَسَمُوهُ بالسِّحر وبأساطيرِ الأوّلين، وكان الدّافع لأقوالهم تلك هو العناد والمكابرة.

ومِمّا يَدُلُّ على ذلك موقف الوليد بن المغيرة بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول ﷺ، حيث عَلِمَ أبو جهل بذلك فأتاه فقال: يا عمّ إنَّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنَّك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مِنِّي، ولا أعلم بِرَجْزٍ ولا بقصيدةٍ مِنِّي، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنّ لِقَوْلِه الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنَّه ليعلو وما يعلى، وإنَّه لَيُحَطِّم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلمّا فكّر قال: هذا سحرٌ يُؤثر، يَأْثُرُه عن غيره، فترلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[1].

إنَّ اعتراف الوليد بن المغيرة لَيَدُلُّ دلالةً واضحة على تأثير القرآن الكريم على النّفس البشرية وإن كانت كافرة، وهذا التّأثير إنَّ دلّ على شيء فإنَّما يدلّ على روعة القرآن وسلاسته وترابطه، وقُوَّة إعجازه البلاغي.

---

(١) سورة المدثر، الآية: ١١، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ٥٠٦/٢ وقد أورد هذه الرواية ابن كثير في تفسيره: ٤٤٣/٤.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ﷺ قال: أتى رسول الله ﷺ ابن مِشْكَم في عامة من يهودٍ سماهم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئت به، حقٌّ من عند الله ﷻ فإنّا لا نراه متناسقاً كما تَنَاسَقَ التوراةُ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنّكم لتعرفون أنّه من عند الله تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به»[1].

وقال ابن مسعود ﷺ: «إذَا سَأَلَ أحَدُكُمْ صَاحِبَهُ كَيْفَ يَقْرَأ آيةَ كَذَا وَكَذَا؛ فَلْيَسْألْهُ عَمَّا قَبْلَهَا»[2].

يريد -والله أعلم- أنَّ ما قبلها يدله على تحرير لفظها بما تدعو إليه المناسبة.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بأُذُنَيَّ هاتين -وأشار بيده إلى أُذُنَيْه-: «يُخرِجُ اللهُ قوماً مِنَ النّارِ فَيُدْخِلُهُم الجَنَّة»، فقال له رجل: إنَّ الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[3]، فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عامّاً، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]، هذه للكفار[5].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٤٧/١٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، باب تعاهد القرآن ونسيانه: ٣٦٥/٣، رقم [٥٩٨٨].

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٥) أخرجه ابن حبّان في صحيحه، باب صفة النار وأهلها: ٥٢٦/١٦، رقم [٧٤٨٣]، قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

وذكر الزّركَشِي أنَّ أول من أظهر علم المناسبات هو أبو بكر النيسابوري، وكان يُزْري[1] على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبات بين الآيات، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية أو السورة: «لِمَ جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟»[2]، أمّا أول من وضع مصطلح (المناسبة) لهذا الفن فليس معلوماً، إلا أنَّه يمكن القول إنَّ أول من استخدم هذا المصطلح هو الرازي عند تفسيره لآخر سورة المائدة، وكلامه عن مناسبة آخر السور لافتتاحيتها[3].

ومن خلال استعراض ما سبق يتبين أن نشأة علم المناسبات وتطبيقاته على القرآن الكريم أثناء بيان مراده مرتبطة بالزمن الذي بدأ فيه تنزل القرآن الكريم، منذ كان الرسول ﷺ في مكة قبل الهجرة، وقصة الوليد بن المغيرة تدل على ذلك دلالةً واضحةً، كما نلاحظ أيضاً تناول الصحابة ﷺ لهذا العلم الشريف، من خلال تفسيرهم لبعض الآيات، وربطها بما قبلها، وإن لم يشيروا إلى مصطلح (المناسبة) بالاسم، كما يؤيد ذلك استدلالُ أبي بكر الصديق ﷺ

---

(١) زَرَى عليه فِعله أي: عابه، والإِزْرَاء التّهاون بالشيء، وازْدَرَاهُ أي: حقره. ينظر: القاموس المحيط، مادة (زرى)، باب الواو والياء، فصل الزاي: ٤/٤٩٠، مختار الصحاح، باب الزاي: ٢٧١، المعجم الوسيط، باب الزاي: ١/٤١٨.

(٢) البرهان: ١/٣٦، وينظر: البيان القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٣.

(٣) قال الرازي عند تفسيره آخر سورة المائدة: «فمفتتح السورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته، وقدرته، وعُلُوِّه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح، وهذا المختتم». مفاتيح الغيب: ١٢/١٣٩.

على قتال مانعي الزكاة بسبب اقترانها بالصلاة في القرآن الكريم(١)، وكلام الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ.

ولا يكاد يخلو كتابٌ من كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة من الإشارة إلى ربط الآيات ببعضها وإن لم يصرح مؤلفوها بمصطلح المناسبة. وهناك عدة دراسات تناولت الموضوع بشيء من السعة والتفصيل والإسهاب (٢) ومن أراد الاستزادة والإفادة يرجع إليها.



(١) أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب ﷺ لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يقولوا لا إلهَ إلا الله، فَمَنْ قالَ لا إلهَ إلا الله، عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونفسَهُ إلا بحقِّه وحسابُهُ على الله»؟ فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعته، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ: ٢٢٧٤/٤، رقم [٧٢٨٤]، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله: ٥٧/١، رقم [٢٠].

(٢) ينظر: المناسبات في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة: ٢٦-٥٨، وقد أخذنا أكثر التفصيلات والتقسيمات من هذه الرسالة لأنّها الأوضح في عرض المادة، بحسب رأينا، ونشأة علم المناسبات، وفواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، والتناسب البياني في القرآن.

المبحث الثالث

موقف العلماء من علم المناسبات

انقسم العلماء حول علم المناسبات بين الآيات والسُّوَر إلى فريقين، وسوف أعرِضُ آراءهم، مع ذكر أدلة كل فريق، ثم سأُبيِّن الراجح بإذن الله تعالى.

أ. القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

تُعَدُّ مناسبة الآيات والسور، وارتباط مبانيها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويُعَدُّ الإمام أبو بكر النيسابوري أول من دعا إلى هذا العلم، وكان مُتَفقِّهاً في الشريعة والأدب، وقد تقدم أنه كان يقول: «لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى؟ وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد لإهمالهم علم المناسبات»[1].

والمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أنَّه على الرغم من نزوله مُفَرَّقاً، إلا أنه اكتمل مترابطاً مُحْكَماً.

كما قال به ابن العربي، حيث قال في كتابه: «سراج المريدين»: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علمٌ عظيمٌ، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه»[2].

واهتم به الإمام فخر الدين الرازي، الذي ضَمَّنَه تفسيره مفاتيح الغيب.

---

(١) نظم الدرر: ١/ ٢٧.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٢٨.

وقال به الإمام برهان الدين البقاعي، حيث قال: «علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو[1]»[2].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونُكَت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو مَنزَعٌ جليلٌ، قد عُنِيَ به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: «نظم الدرر في تناسب الآي والسُّوَر»، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع»[3].

ومن خلال ما سبق يتبين أن عدداً من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين الآيات والسور، مع العلم أنَّ علماء آخرين -غير الذين ذُكِروا- قالوا بهذا القول.

ب. المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسُّوَر:

وَرَدَ عن بعض العلماء معارضةٌ لهذا الفن، بزعم أنَّه تَكَلُّفٌ مَحْضٌ، وكان من أبرزهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام، والإمام المفسِّر محمد ابن علي الشوكاني.

---

(١) علم البيان يهتم بدراسة حُسن تركيب الجمل وقُبحها، أما علم النحو فيهتم بدراستها من حيث صحتها وفسادها.

(٢) نظم الدرر: ١/٢٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١/٨.

قال العز بن عبد السلام: «واعلم أنَّ من الفوائد أنَّ من محاسن الكلام أن يرتبط بعضُه ببعض، ويتشبث بعضُه ببعض، لئلا يكون مقطّعاً مُتَبَّراً، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر مُتّحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو مُتكَلِّف، لما لم يقدر عليه إلا بِرَبطٍ ركيكٍ، يُصانُ عن مثله حَسَنُ الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإنَّ القرآن نزل على الرسول ﷺ في نَيِّفٍ[1] وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب»[2].

ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك.

فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر مُتّحد، وماعدا ذلك فهو يراه أمراً مُتَكَلَّفاً.

أما الإمام الشوكاني فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[3]، فقال: «اعلم أنَّ كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم مُتَكَلَّف،

---

(١) النّيف: الزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة، القاموس المحيط، مادة: (نيف)، باب الفاء، فصل النون: ٣/٢٧٣، مختار الصحاح، باب النون: ٦٨٧، المعجم الوسيط، باب النون: ٢/١٠٠٥.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : ٢٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٧.

وخاضوا في بحر لم يُكَلَّفُوا سباحته، واستغرقوا أوقاقم في فنٍّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يَتَبَرَّأُ منها الإنصاف، ويتنزّه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الربِّ سبحانه»[1].

إنَّ رأي الإمام الشوكاني يستلزم مناقشته مناقشةً مستفيضة؛ كونه يمثل الاتجاه المقابل للقائلين بالتناسب بين الآيات.

ولكن لابدَّ من إدراك أن للمناسبة فوائدَ جمَّةً، إذ إنَّها تساعد في ترجيح رأي على آخر إذا تساويا في القوة، وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، فإنَّ العقل يتوجه بداهةً لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام، وأن ما ذمه الشوكاني من التكلّف في هذا العلم لاشك أنه ذمٌّ في محله، إذ التّكلف غير مقبول عموماً.

أما قوله بأنَّ فن المناسبة كلامٌ بمحض الرأي المنهي عنه ففيه مبالغة، لأنَّ الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى، أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

قال الإمام الشاطبي: «إعمال الرأي في القرآن جاء ذمّه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله... فما كان موافقاً كلام العرب، والكتاب والسنّة؛ فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية؛ فهذا هو الرأي المذموم المنهي عنه»[2].

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : ١٧١/١.

(٢) الموافقات في أصول الفقه: ٢٧٦/٤.

كما أنَّ ذكر المناسبة بين الآيات والسور ليس تكلّماً بمحض الرأي، بل يُبرِز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره، كما أنَّه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه.

أما قوله: «فقد جاؤوا بتكلفات وتعسفات...»؛ ففيه حيفٌ على المفسرين، فما أكثر المناسبات البديعة التي يقبلها العقل، ويطرب لها الذوق، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم.

وقد خالف جمهورٌ الأمة أصحابَ هذا الرأي، ووهَّموا قائليه، وأكدوا وجود التناسب بين الآيات والسور.

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول -وهو القول بالتناسب بين الآيات والسور- هو القول الراجح، كون التناسب بين الآيات قد أشار إليه بعض الصحابة عند تفسيرهم للقرآن الكريم، مثل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله ﷺ، إلى جانب أن كثيراً من المفسرين اعتنوا بهذا العلم في تفاسيرهم، وأقرّه جمعٌ كبيرٌ من العلماء؛ لأنه يبرز وجهاً مهمَّا من وجوه إعجاز القرآن.

كما أنَّ الإمام الشوكاني قد أشار في تفسيره إلى التناسب[1]، ممّا يدلّ دلالة واضحة أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير، ولا يمكن للمفسر إغفاله

---

(١) قال -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥]: «لما ذكر تعالى جزاء الكافرين؛ عقّبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه». فتح القدير: ١٤٢/١.

وإن ذمّه، بل نجده يُثني على الإمام البقاعي، وعلى كتابه نظم الدرر حيث قال: «ومن أمعن النظر في كتابه المترجَم في التفسير، الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثير ما يشكل عَلَيَّ شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب»[1].

إنَّ إمعان النظر في كلام كل من الإمامين، العزّ بن عبد السلام، والشوكاني؛ يُظهِر فرقاً بينهما، فالعزّ بن عبد السلام يُقِرّ بالمناسبات إلا أنه يمنع التكلّف في طلبها، والإمام الشوكاني يردها جملةً وتفصيلاً، ويعتبر طلبها تَعَدِّياً على القرآن الكريم.

وبين القولين فرقٌ شاسعٌ.

لكن لماذا التباين في موقف الإمام الشوكاني من المناسبات؟ ألم يشن هجمةً قويةً على القائلين بالتناسب مرّة، ويُثني على كتاب نظم الدرر المهتم بالتناسب بين الآيات والسور تارة أخرى؟!

ألم يَعتبِرْ طلبَ المناسبة تَكَلُّفاً ورأياً محضاً، ثم يوردها بين الآيات في تفسيره؟!

إنَّ هذا التباين في موقفه -رحمه الله- يستوجب وقفة تأمل، ولعل الجواب الذي يلتئم مع الواقع، هو أنَّ الإمام الشوكاني لما رأى البعض يتكلف في طلب التناسب بين الآيات والسُّوَر؛ خشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساسي للتفسير؛ فَشَنَّ تلك الهجمة

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ١/١٩.

عليهم، ولكنه لما شرع في تفسيره -فتح القدير- لم يغفل الربط بين بعض الآيات، وكأنه يقول بلسان الحال: إنَّ الممنوع في طلب المناسبة هو التكلّف في طلبها إذا لم تكن ظاهرة، وتحميل القرآن ما لا يحتمل، أما إذا كانت متبادرة إلى الذهن فلا مانع من بيانها. والله تعالى أعلم.



المبحث الرابع

أهميته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه

تبرز أهمية علم المناسبات من خلال الآتي:

١- كونه يمثل نوعاً فريداً من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم.

٢- يُعَدُّ من أهم قواعد التفسير التي اعتمد عليها المفسرون في اختياراتهم[1].

٣- قال أبو بكر بن العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم»[2].

٤- قال الزركشي: «واعلم أنَّ المناسبة علمٌ شريفٌ تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»[3].

٥- قال الباقلاني: «فأما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإنَّ العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه»[4].

٦- قال مسلم بن يسار: «إذا حدّثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[5].

٧- قال صالح بن كيسان مُستَدِلاً على صحة قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾[6]: «إنما يراد بها الكافر، اقرأ ما

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/١٢٥.

(٢) نظم الدرر: ١/٢٧.

(٣) البرهان: ١/٣٥.

(٤) إعجاز القرآن: ١٩٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ١/١٣.

(٦) سورة ق، الآية: ٢١.

بعدها يدلك على ذلك»[1].

٨- قال الدكتور محمد دراز: «لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، لعمري أنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات»[2].

وجميع ما سبق يؤكد أهمية هذا العلم الشريف ومكانته، ولذلك جعله كثيرٌ من السلف مُعِيناً لهم على فهم معاني الكثير من الآيات التي أشكل عليهم معناها.

❑ **فائدته:**

لعلم المناسبات فوائد جمّة وعديدة منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- علم المناسبات يزيد الإيمان، ويشرح الصدر وأكد ذلك البقاعي على ذلك في تفسيره[3] وسبقه قبل ذلك الإمام الرازي[4].

٢- دحض شبه المفترين على كتاب الله تعالى بالادعاءات الكاذبة المشككة في تمام القرآن، وإثبات أن القرآن الكريم لا نقص فيه ولا تحريف، وذلك من خلال ترابط آياته دون أيّ خلل.

٣- المساعدة على فهم كتاب الله تعالى، وبيان المراد من الآية، ورفع اللبس عن قصدها.

---

(١) جامع البيان: ١٦٢/٢٦.

(٢) النبأ العظيم: ٢١١.

(٣) نظم الدرر: ١١/١.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/٣.

٤- إبراز وجه مهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

٥- توجيه الإنسان إلى التدبر والتفكر في كتاب الله ﷻ.

٦- يُعين على استنباط معان جديدة يقتضيها السياق.

وهناك فوائد كثيرة ذكرها العلماء سنذكرها ان شاء الله في كتاب مُستقل خشية الإطالة. وسبقنا إليها الباحث عبد الله بن مقبل القرني[1].

❑ أشهر المؤلفات فيه:

ألّف عدد من العلماء -المتقدمين والمتأخرين- مؤلفاتٍ عديدةً عَنَوا فيها بعلم المناسبات، فمنهم من تناوله في كتب علوم القرآن، ومنهم من أفرده بالتأليف، ومنهم من أشار إليه إشارات لطيفة في بعض المواضع.

ولما كانت النفس تتشوق لمعرفة أهم وأشهر المؤلفات في هذا الفن، طمعاً في الاستزادة، وتحصيلاً للفائدة، كان لابد من عرض أهم تلك المؤلفات، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: المؤلفات والبحوث من غير كتب التفسير، ومن أهمها:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ-١٩٩٢م).

٢- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، للإمام بديع الزمان سعيد النورسي. نشر: دار المحراب، أنقرة، [د.ط]، [د.ت].

٣- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، لعبد الحكيم الأنيس. بحث منشور في مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

---

(١) ينظر: المناسبات في القرآن الكريم: في سورتي الفاتحة والبقرة: ١٢٥-١٣٩.

٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم. نشر: دار المطبوعات الدولية، القاهرة، ط١، (١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).
٥- إمعان النظر في نظام الآي والسور، لمحمد عناية الله محمد هداية الله. نشر: دار عمار، عَمَّان، ط١، (١٤٢٤هـ).
٦- البرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي. نشر: وزارة الأوقاف، المغرب، [د.ط]، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي. نشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
٨- البيان القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أ. د. عقيد خالد العزاوي، دار العصماء، دمشق ٢٠١٠.
٩- التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي. نشر: دار عمار، عَمَّان، ط١، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
١٠- التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد. رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، (١٩٩٢م).
١١- تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، (١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).
١٢- فواتح السور وخواتيمها، لعبد العزيز الخضيري. رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٩٩٧م).
١٣- فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، لمنال بنت منصور محمد القرشي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لجلال الدين السيوطي. نشر: المكتبة المكية، مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، ط١، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
١٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدِّيْن، ط١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
١٦- مناسبات الآيات والسور، نشأة علم المناسبة، محلها ودلالتها، وأثرها في التفسير، لعلي عبد العزيز سيور. بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد (٢٥)، ربيع الثاني (١٤٢٤هـ)، يونيو (٢٠٠٣).
١٧- المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، لعبد الله بن مقبل القرني. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤١٣هـ).
١٨- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).
١٩- المنهج البياني في تفسير القرآن في العصر الحديث، د. عقيد خالد العزاوي. دار العصماء، دمشق، (٢٠١٠م).
٢٠- النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز. نشر: دار القلم، الكويت، ط٣، (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

ثانياً: المؤلفات من كتب التفسير، ومن أشهرها:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٩م).

٢- الأساس في التفسير، لسعيد حَوّى. نشر: دار السلام، القاهرة، ط٥، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي. نشر: مكتبة دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ).

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٤هـ).

٥- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي. نشر: دار الفكر، بيروت، [د.ط]، (١٤٢٥-١٤٢٦هـ).

٦- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، [د.ط]، (١٩٩٧م).

٧- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. نشر: مطبعة المنار، القاهرة، [د.ط]، (١٣٤٦هـ).

٨- التفسير القيم للإمام ابن القيم. نشر: دار العربي، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٩- التفسير المنير، لوهبة الزحيلي. نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، (١٤١١هـ-١٩٩١م).

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري. نشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١، (١٤٢٤هـ).

١١- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله بن محمود الصديق الغماري. نشر: عالم الكتب، بيروت، [د.ط]، (١٤٠٦هـ-١٩٩٦م).

١٢- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي. {نشر: المكتبة الإسلامية، تركيا، [د.ط]، [د.ت]}.

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

١٤- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣١١هـ).

١٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري. نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، (١٣٨١هـ-١٩٦٢م).

١٦- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، [د.ط]، (١٣٧٩هـ-١٩٥٩م).

١٧- في ظلال القرآن، لسيد قطب. نشر: دار الشروق، القاهرة، ط٧، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

١٨- لطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم القشيري. نشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، [د.ط]، [د.ت].

١٩- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣٠٨هـ).

٢٠- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).



المبحث الخامس

أنواع المناسبات

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبات في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها، ومن خلال التأمل والتتبع، اتضح أن المناسبات تنقسم على قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وله خمس صُوَر:

١- تناسب كلمات الآية الواحدة.

٢- تناسب ترتيب الآيات.

٣- تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

٤- تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

٥- تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله ثلاث صُوَر:

١- تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

٢- تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.

٣- تناسب مقاصد السورة مع السورة التي قبلها.

وبناءً على هذا التقسيم سيكون الحديث عنها، مع إيراد الأمثلة عليها.

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة

❑ تمهيد:

الآية لغةً: العلامة، والأمارة، والعبرة، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[1]، وتأتي بمعنى المعجزة[2]، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾[3].

واصطلاحاً: هي قرآن مُركَّبٌ من جُمَلٍ ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة، وقيل: هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها، وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السُّوَر، وسميت به، لأنَّها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدَّى بها[4].

قال القرطبي: «قال ابن عطية: وجه التحدي في القرآن إنَّما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيءٍ عِلماً، وأحاط بالكلام كله عِلماً، فعلم بإحاطته أي لفظ تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يَعُمُّهُم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة النظر يبطل قول من قال: «إنَّ العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعَجَزوا عنه»[5].

---

(١) سورة يونس، من الآية: ٩٢.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٤/٤٣٦، ومختار الصحاح: ٣٧، والمعجم الوسيط: ١/٥٥.

(٣) سورة المؤمنون، من الآية: ٥٠.

(٤) ينظر: البرهان: ١/٢٦٤، الإتقان: ١/٢٠٨.

(٥) إعجاز القرآن: ٥١.

والصحيح أنَّ الإتيان بمثل القرآن لم يكن قطُّ في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في إن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حَوْلاً كاملاً، ثم تُعطى لآخر بعده، فيأخذها بقريحة جامة، فيبدل فيها ويُنَقِّح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نُزِعَت منه لفظة، ثم أُديرَ لسان العرب أن يوجِدَ أحسنَ منها لم يُوجِد»[1].

وممّا يدل على إعجاز القرآن الكريم هو وضع الألفاظ المناسبة في موضعها الملائم لها، حسب الغرض الذي سيقت له، والذي أراده الله ﷻ، ولو بُدّل ذلك اللفظ بلفظ آخر لتغير المعنى، ولما تحقق الغرض الذي أراده الله تعالى، ولظهر العوار والخلل في النظم القرآني، ولفقدت الآية بلاغتها ومدلولها، لأنَّ الآية الواحدة تعتبر لبنة أساسية في الإعجاز القرآني.

❑ صور التناسب بين الآيات في السورة الواحدة:

الصورة الأولى: تناسب كلمات الآية الواحدة:

ويقصد بهذه الصورة الترابط بين أجزاء الآية الواحدة مع بعضها، من حيث ترابط خاتمتها بمطلعها، وتناسب ألفاظها لمدلولها ومقصودها وغرضها.

ووجه التحدي في القرآن إنَّما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه.

والتناسب بين أجزاء الآية، يكون من حيث اللفظ أو المعنى:

أما من حيث اللفظ –وهو مناسبة اللفظ لبقية ألفاظ الآية– فمثاله قول

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١/١٢٠، ونقل هذا القول عن ابن عطية السيوطيُّ في الإتقان: ٢/١٠٠٧. ولم أقف عليه في تفسير ابن عطية.

الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾[1].

فقد جاءت الألفاظ بحيث يلاءم بعضها بعضاً، وذلك بأنه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في الغرابة.

فالتاء: أغرب ألفاظ القسم، وذلك لأنها أقل استعمالاً من الواو، والباء.

وأتى بـ(تَفْتَؤُاْ). وفتئ: أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات (كان).

وأتى بلفظ (حَرَضاً): وهو أغرب ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم، أن تُجَاوَرَ كل لفظة بلفظة من جنسها تَوَخِّياً في حسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم، وجاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حال يعقوب عليه السلام التي وصل إليها، وإشفاق أبنائه على حاله، وخَشْيَتهم عليه من الهلاك[2].

وأما تناسب اللفظ من حيث المعنى فمثاله قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[3].

إذِ الرُّكون إلى الظّالم والميل إليه لَمّا كان دون مشاركته في ظلمه؛ كان العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ المسّ الذي هو دون الإحراق والاصطلاء[4].

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ٨٥.

(٢) ينظر: الإتقان: ٩١١/٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٤) ينظر: البرهان: ٣٧٩/٣، الإتقان: ٩١٢/٢.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

شَبّه الله تبارك وتعالى قلوب الكفار بالحجارة التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيّى حيّ، والحجر أجمد جامد، و لم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين[2].

ومن المناسبات بين أجزاء الآية مراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى والسياق، مع مراعاة الانسجام في فواصل الآيات، لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

ولاشك أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضاً يقتضي الفاصلة التي ختمت فيها كل آية من الآيتين، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم، في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فختم الآية بصفة الإنسان، وأن الآية الثانية في سورة النحل في سياق صفات الله تعالى،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ١/١٧٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ .

(٤) سورة النحل، الآية: ١٨.

فذكر صفاته[1].

ويقول الطاهر بن عاشور عند تفسير الآية (٣٤) من سورة إبراهيم: «وصيغتا المبالغة في ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ اقتضاهما كثرة النعم المفاد من قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، إذ بمقدار كثرة النعم يكثر كفر الكافرين بها إذا أعرضوا عن عبادة المنعم وعبدوا ما لا يغني عنهم شيئاً، فأما المؤمنون فلا يجحدون نعم الله ولا يعبدون غيره»[2].

ومن خلال ذلك يتضح أن التناسب والتلاؤم قائم بين أجزاء الآية الواحدة، وأن ألفاظها ناسبت الغرض الذي سيقت له، فأعطت للآية معنًى رائعاً، وبلاغةً لا توصف.

الصورة الثانية: تناسب ترتيب الآيات:

وهذه الصورة كثيرة في القرآن الكريم، اهتم بها كثيرٌ من المفسّرين في ثنايا تفاسيرهم، وتعني تلاؤم الآيات مع بعضها بحيث تظهر كلُحمة واحدة، غير منفصلة، لوجود رابط أو أكثر يربطها ببعضها، وقد يحصل التّناسب بين عدد من الآيات المتتابعات وبين ما بعدها، ولا ينبغي التكلُّف والمبالغة في الوصول إلى المناسبة؛ لأن ذلك يؤدي إلى تحميل القرآن ما لا يحتمل، فالمناسبة قد تظهر وقد لا تظهر.

ومثال ذلك المناسبة الظاهرة بين قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤

---

(١) ينظر: التعبير القرآني: ١٩٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٣٨/٧.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1]، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2].

لَمّا أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين، وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين، وكان المنافقون قسمين: جُهّالاً من مشركي العرب، وعلماء من كفار بني إسرائيل؛ كان الأنسب -ليفرغ من قسم بِرَأسه على عَجَل- البداءة أوّلاً بالمصارحين، فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين؛ لأنّ أمرهم أهون، وشأنهم أيسر، لقصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف، على إنَّ ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام، فقال مخاطِباً لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال: «هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟»[3].

الصورة الثالثة: تناسب مطلع السورة مع مقاصدها:

وفي هذه الصورة إشارات بلاغيّة عظيمة، ودلالات على تلاحم القرآن بعضه ببعض.

ويجب أن يكون الكلام بارع المطلع، له روعة تستهوي اللب، وتخفّ على السّمع، ويكون عذب اللّفظ، حسن السّبك، صحيح المعنى؛ لأنّه أول ما يقرع السمع، فإذا كان بهذه المترلة؛ وقع من القلب موقعاً حسناً، وأقبل عليه السامع.

ومثال هذه الصورة تَنَاسُب مطلع سورة المائدة مع مقاصدها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٣) نظم الدرر: ١/٣٧.

غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[1].

حيث افتتحت هذه السورة بأمر المؤمنين بالوفاء، ثم كان فيها أحكام تشريعية، وآداب، وأمر، ونهي، وهذا كله مما يجب الوفاء به. ولَمّا كان مدار هذه السورة على الزّجر والإحجام عن أشياء اشتد إِلْفُهم لها، والتفافهم إليها، وعظمت فيها رغباتهم، من المِّيتات وما معها، والأزلام، والذّبح على النصب، وأخذ الإنسان بجريمة الغير، والفساد في الأرض، والسّرقة، والخمر، والسّوائب، والبحائر، إلى غير ذلك؛ ذكّر في أوّلها بالعود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة، حين تواثقوا على الإسلام من السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، فيما أحبُّوا وكَرِهوا[2].

وفي هذه القصة أوضح دليل على نقضهم للعهود التي بُنِيَت السّورة على طلب الوفاء بها، وافتتحت بها، وصرّح بأخذها عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى أن قال ﷻ: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾[3].

ومن الأمثلة على هذه الصورة أيضاً تناسب مطلع سورة الإسراء مع مقاصدها فقد أجاب ابن الزملكاني بأنَّ سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذّب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبهُ تكذيبٌ لله سبحانه وتعالى؛ أتى بـــ(سبحان) لتتريه الله تعالى عما نسب إلى نبيّه من الكذب[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣٨٧/٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٢، ينظر: نظم الدرر: ٤٢٨/٢.

(٤) الإتقان: ٩٩٣/٢.

الصورة الرابعة: تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها:

ويقصد به الترابط الحاصل بين خاتمة السورة وأهم مقاصدها، وقد ورد هذا النوع في بعض السور.

ومثال هذه الصورة تناسب خاتمة سورة يونس مع مقاصدها، وفي هذا الشأن يقول سيد قطب: «هذه خاتمة السورة التي تضمنت تلك الجولات حول العقيدة في مسائلها الرئيسية الكبيرة: توحيد الربوبية...، ونفي الشركاء والشفعاء، ورجعة الأمر كله إلى الله، وسننه المقدرة التي لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها، والوحي وصدقه، والحق الخالص الذي جاء به، والبعث، واليوم الآخر، والقسط في الجزاء...

هذه القواعد الرئيسية للعقيدة التي دار حولها سياق السورة كله، وسيقت القصص لإيضاحها، وضربت الأمثال لبيانها، هاهي ذي كلها تلخص في هذه الخاتمة»[1].

الصورة الخامسة: تناسب مطلع السورة مع خاتمتها:

سبق الإشارة إلى افتتاح الكلام، وأهمية سبكه، وبراعة مطلعه، أما ختامه فلابد أن يكون بارع المقطع، تهتزّ له النفس وتستوعبه، لأن ختام الكلام آخر ما يقرع الأسماع، فيجب أن يكون هذا القرع مُؤَثِّراً، ولأجل أن يكون مُؤَثِّراً يجب أن يحوي معاني بلاغيةً تُفهِم السامع أن الكلام انتهى؛ حتى لا تَتَشَوَّق النفس إلى سماع شيء بعده. ويسمّى براعة المقطع[2].

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/١٨٧.

(٢) براعة المقطع: هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذباً حسناً، لتبقى لذته في الأسماع. نهاية الأرب في فنون الأدب: ٧/١٣٥، معجم المصطلحات البلاغية: ٢٣٣.

ومثال هذه الصورة تناسب مطلع سورة النساء مع خاتمتها، فقد افتتحت السورة بالإشارة إلى أصل الناس جميعاً، مِمَّا يدلُّ على تساويهم في الحقوق والواجبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، واختتمت بالإشارة إلى التسوية في أصل الميراث، وإن اختلفت الأنصبة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[2].

وهذه الصورة من التناسب لا يلزم وجودها بين جميع السُّوَر، بل قد تظهر في سورة، ولا تظهر في أخرى.

إنَّ من أمعن النظر في هذه الأمثلة لا يستطيع أن ينكر وجود المناسبات بينها على الرغم من اختلاف زمن النزول وأسبابه وموضوعاته، ومن تتبع التفاسير التي أولت هذا الجانب اهتماما يجد الأمثلة الكثيرة في ذلك.

القسم الثاني: التّناسب بين السُّوَر:

❑ **تمهيد:**

السورة لغةً: مأخوذة من السُّور، وهو حائطُ المدينة، وتأتي بمعنى المنزِلة، وجمعها سُوَرٌ، وهي من البِنَاء ما طال وحَسُن[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سور)، باب الراء، فصل السين: ٢/١١٨، مختار الصحاح، باب السين: ٣٢٠، المعجم الوسيط، باب السين: ١/٤٨٧.

واصطلاحاً: هي قرآنٌ يشتملُ على آيٍ ذي فاتحـةٍ وخاتمـة، وأقلُّها ثلاثُ آيات[1].

إنَّ التآلفَ والتَّرَابُطَ والتّناسبَ كما هو حاصلٌ بين آيات القرآن الكريم في السُّورة الواحدة، حاصلٌ بين سُوَرِ القرآن، فمن قرأ سورةً من سُوَرِ القرآن بإمعانٍ وتدبُّرٍ؛ وجد بينها وبين سابقتها مناسبةً ورابطة، تُظهِرُ سرَّ الإعجاز في ترتيب سُوَرِه.

❑ صور التناسب بين السُّوَر:

الصورة الأولى: تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها:

ويُقصد به الترابط والتلاحم بين فاتحتي سورتين متتاليتين.

ومثال هذه الصورة افتتاح سورة الإسراء بالتّسبيح، وسورة الكهف بالتّحميد.

والتّناسب بين الفاتحتين أن التّسبيح -حيث جاء- مقدمٌ على التّحميد، تقول: سبحان الله والحمد لله[2].

فعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[3].

ومنها التناسب بين فاتحتي سورة الرحمن وسورة القمر، وفي بيان ذلك يقول فخر الدين الرّازي: «اعلم أوّلاً أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين، أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على

---

(١) ينظر: البرهان: ١/٢٦٤، الإتقان: ١/١٦٦.

(٢) ينظر: البرهان: ١/٣٩، الإتقان: ٢/٩٩٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]: ٤/٢٣٦٤، رقم [٧٥٦٣].

العِزَّة والجبروت والهيبة، وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شقّ القمر يقدر على هَدِّ الجبال وقَدِّ الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدلّ على الرحمة والرحموت، وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب»[1].

الصورة الثانية: تناسب فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها:

ويُقصد به التلاحم والتلاؤم بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي قبلها.

يقول الزّركشي: «إذا اعتبرتَ افتتاح كل سورة؛ وجدتَه في غاية المناسبة لما خُتِمَت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى»[2].

ومثال هذه الصورة ما ذكره البقاعي في حديثه عن تناسب فاتحة سورة الكهف لخاتمة سورة الإسراء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[3] وفي آخر سورة الاسراء: قال تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[4]. حيث قال: «لما خُتمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التّنزّه عن صفات النّقص لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بُدِئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص»[5].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٨٢/٢٩.

(٢) البرهان: ٣٨/١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١.

(٤) سورة الإسراء: الاية ١١١.

(٥) نظم الدرر: ٤٤١/٤.

وكذلك تناسب فاتحة سورة الطور مع خاتمة سورة الذاريات، فلمّا ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[1]؛ افتتحت سورة الطور بإثبات العذاب الذي هو روح الوعيد فقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[2]. ومثال آخر في سورة الطور ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[3] وفي أول سورة النجم قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[4].

وقد لا تظهر هذه الصورة بين سورتين، ومثال ذلك عدم ظهورها بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح، فسورة التين افتُتِحت بالقسم بالتين، والزيتون... الخ، وسورة الشرح خُتِمت بأمر النبي ﷺ بالاجتهاد في العبادة.

وهذا يدلُّ على أنَّه لا يلزم وجود هذه الصورة بين جميع سُوَرِ القرآن الكريم.

الصورة الثالثة: تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها:

وهذا النوع يشبه الحلقة التي تربط بين أجزاء الشيء حتى تجعله عِقداً واحداً، وقد أشار كثير من المفسرين إلى مناسبة مقاصد السورة مع مقاصد

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٩-٦٠.

(٢) سورة الطور، الآيات: ١-٨، والمناسبة ذكرها البقاعي في تفسيره نظم الدرر: ٧/٢٩١.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٩.

(٤) سورة النجم، الآية: ١.

السورة التي قبلها، لاسيما عند القائلين بأنّ ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي وليس اجتهاديّاً.

ومثال ذلك ما ذكره البقاعي -رحمه الله- في مناسبة مقاصد سورة البقرة لمقاصد سورة الفاتحة، حيث قال: «وأما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة، فهو أنه لَمَّا أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم -الذي هو غير طريق الهالكين-؛ أرشدهم في أوّل التي تليها إلى أن الهدى المسئول إنّما هو في هذا الكتاب، وبيّن لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثّاً على التخلّق بها، والممنوعين منها زجراً عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة»(١).

ومثال ذلك أيضاً التناسب الحاصل بين مقاصد سُوَرِ آل حم(٢)، فجميعها تدور مقاصدها حول قضية الوحي، وقضية الحق والباطل، وقضية العقيدة، وعرض آيات الله في الأنفس والآفاق، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة.

ولا يلزم وجود هذه الصورة بين جمع سُوَرِ القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين



---

(١) نظم الدرر: ١/٣٢.

(٢) يراد بها سورة (غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف).

الخاتمة

وهكذا ينتهي ما قَدَّر الله لنا أنْ نكتبه حول «البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن». حيث لا يستطيع دارس أن يقف في دراساته عند حد معين في الحديث عن الإعجاز. وذلك لغناء النص القرآني الكريم، وسعة معانيه، وتعدد جوانبه، التي لا يحدها وجه، ولا تحددها فكرة. أو يقف دونها معنى من المعاني، لأنَّ معانيها إلى غير نهاية.

ويستطيع دارس الإعجاز أن يقول شيئاً في كل عصر مع اختلاف الزمان، وتنوع المكان، لاختلاف الفردية في الثقافة والمعرفة ومستوى المتفنن.

ومن هنا تنوعت الدراسات واختلفت في الحديث عن النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، بل هو قرآن كريم من لدن حكيم خبير.

وهناك عدة نواحٍ لفهم الآي الكريم، واستقبال تراكيبه، والاشتغال بقضاياه وأسراره، والكشف عن وجوه إعجازه التي تتنامى حكمة ودقة معرفة.

وقد حرصنا أن نقدم فيه مباحث ضرورية باعتبارها مقدمات لابد منها لفهم الإعجاز، مثل: معنى إعجاز القرآن، ومعنى الآية والمعجزة والعجز، والصلة بين آية الرسول الأولى ﷺ -القرآن الكريم- ومعجزات الأنبياء السابقين، ودلالاتٍ من آياتِ التحدي في القرآن، والمرحلة بين المعاجزة والعجز والإعجاز والسيرة التاريخية لإعجاز القرآن.

وقد حاولنا أن نلقي فيه الأضواء على جهود السلف في إبراز الإعجاز في النظم القرآني، بعد أن ابتدع المعتزلة القول بالصرفة، وتصدى لمقولتهم علماء المسلمين، فكان سبباً لقيام صرح علم البلاغة.

ولما كانت المعجزة قرينة الرسالة، ولما كان القرآن الكريم معجزة الرسالة الخالدة، فلابد من أن تقام الحجة بالقرآن الكريم على كل جيل من الأجيال ليذعن أهل الإنكار والجحود في كل عصر لعظمة مترلته، ويوقنوا في قرارة نفوسهم أنه كلام الذي أحاط بكل شيء علماً، الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

وليست القضية ذات زوايا ضيقة، بل كل باحث يجد ما يريد ويقدم ما يصبوا إليه وهذا سر إعجاز القرآن الكريم مع كثرة الباحثين في لفظه وآيه ومعانيه، وسوره، والتعريف بموضوعاته وحاجات الناس إليه في دنياهم وأخراهم.

وأما فيما يتعلق بعلم المناسبة، فكان له الأثر الواضح في كشف أسرار القرآن الكريم من حيث موضوعه وثمرته ونشأته وموقف العلماء منه. والأمر المفيد لعرفان المناسبات هو أن ينظر القارئ الى الغرض الذي سبقت له السورة، وما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، ومراتبها من حيث القرب والبعد لينكشف للإجمال الغرض الذي سيقت إليه الآية من خلال المناسبة وهذا الجمال هو جانب إعجاز تناسب القرآن الكريم فيحتاج الى تأمل والى ربط الآيات وأحكامها في جمع أجزاء القرآن لينكشف للقارئ وجه النظم وإعجازه من خلال هذه المناسبات، والله الهادي الى سواء السبيل.

ونرجو الله أن يتقبّل هذا البحث بقبولٍ حسن، وأن ينفع به النفع الحسن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الأستاذ الدكتور

عقيد خالد العزاوي

بغداد/٢٠١٤م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (محمد بن محمد ابن مصطفى العمادي) (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، د. عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- إشارات قرآنية للعلوم الرياضية والإعجاز الحسابي، تأليف: عبد الباسط محمود بخيت، مراجعة وتقديم: دكتور زغلول راغب النجار- القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي -عمان، دار عمار، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، وسناء فضل عباس، عمان: الاردن، ط١، ١٩٩١.

- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، د. منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط١، ١٩٨١.

- إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض، محمد محمود إبراهيم، طبعة ممفيس في مصر، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- إعجاز القرآن والدلالات الصرفية، د. يوسف المرعشلي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١١م.

- إعجاز القرآن والدلالات الصرفية، د. يوسف المرعشلي، دار ابن حزم، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- إعجاز القرآن، الباقلاني، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ١٩٦٣م.

- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، مطبعة الخانجي، القاهرة، د.ت.

- الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين السيوطي، تقديم وتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، د.ت.

- الإسلام في عصر العلم، الأستاذ محمد أحمد الغمراوي، إعداد: الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام الكرداني، دار الكتب الحديثة، د.ت.

- الأسلوب النفسي لمكافحة الجريمة في القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المنعقد ببغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية، مطبعة الأمة- بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- الأصلان في علوم القرآن، د. محمد الفيعي، ط١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، نشر: مكتبة وهبه - مصر، ط١، ١٤٠٥هـ.

- الإعجاز البياني واللغوي في القرآن، أ. د. عمر يوسف حمزة، الجزء الأول.

- الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، د. خالد محمد القضاة، مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السابع إعجاز القرآن الكريم، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة- كلية الآداب- قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، جامعة الزرقاء الأهلية.

- الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في طرق التدريس، إعداد الطالبة: فوزية شحادة أحمد البراوي، إشراف: د. وليد محمد حسن العامودي، رسالة ماجستير، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن.

- الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، صباح جاسم محيسن العبيدي، بحث مقدم إلى الجامعة الإسلامية- بغداد، ١٩٩٩م.

- الإعجاز التشريعي في المواريث، مازن إسماعيل هنية، أستاذاً مشاركاً بكلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، بغزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثالث عشر، العدد الثاني: ص٤٩٧-٥١٦، يونيو ٢٠٠٥م.

- الإعجاز التشريعي قاعدة لاستمرار عملية الاجتهاد، للدكتور عابد السفياني، مجلة البيان، العدد ٢٦ - السعودية.

- الإعجاز الدلالي والبياني في الرسم العثماني، د. حمدي الشيخ، الناشر: منشأة المعارف، بالإسكندرية، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.

- الإعجاز العددي للقرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل، د. ط، ١٩٧٥م.

- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح، مكتبة آفاق- غزة، ط٢، سنة ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م.

- الإعجاز اللغوي في فواتح السُّور، سهام خضر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، سنة ٢٠٠٨م.

- الإعجاز في القرآن الكريم والسنّة النبوية وأحد علماء الأمة، «السيوطي إنموذجاً»، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية، إعداد الطالب: نور الدين طبارة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس، ١٤٢٦-١٤٢٧هـ/٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

- الإعجاز في نص الخطاب القرآني، د. عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين.

- الإعجاز والبيان في قصص القرآن، د. علي أحمد فراج علي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر- فرع أسيوط، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- الآيات العلمية، عبد الرزاق نوفل، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

- الإيضاح، للقزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، مطبعة السنّة المحمدية، (د.ت)، ج٢.

- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (أبي حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي) (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.

- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة.

- البيان القرآني، محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

- البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح الخالدي، دار عمار- الأردن، ط٢، ١٩٩١م.

- البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، عمان، دار عمار- المملكة الأردنية الهاشمية، ط٥، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي) (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (أبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي) (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

- الدر المنثور، للسيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي) (ت:٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت.

- الدراسات التي تناولت الإعجاز القرآني في النصف الثاني من القرن العشرين، أطروحة دكتوراه، للطالب: صباح جاسم محيسن، كلية العلوم الإسلامية، قسم علوم القرآن - بغداد، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- الرسالة الشافية، عبد القاهر الجرجاني (ضمن دلائل الإعجاز)، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٠هـ.

- الزمن واللغة، مالك يوسف المطلبي، ط. الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م.

- السيرة النبوية المعروفة بـــ(سيرة ابن هشام)، لأبي محمد عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعافري (ت:٢١٣هـــ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـــ.

- الطراز، العلوي، مكتبة المعارف - الرياض، د.ت.

- الفتوحات الإلهية على الجلالين للعلامة الجمل، ط١، الحلبي.

- الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السامرائي، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، ط. سنة ١٩٦٦م.

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، ابن القيم، مطبعة السعادة، د.ت.

- القرآن إعجاز تشريعي متجدد، للدكتور محمود أحمد الزين، ط١، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي، ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م.

- القرآن وإعجازه التشريعي، لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر، ط١- بيروت، ١٩٧٧-١٩٧٨م.

- القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم- عرض ودراسة د. إبراهيم بن منصور التركي، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القصيم.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (أبي القاسم محمود ابن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله) (ت:٥٣٨هـــ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـــ.

- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط. الهيئة المصرية للكتاب.

- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، د. أحمد جمال العمري، نشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، سنة ١٤١٠هـ.

- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، د. أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٠هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي) (ت:٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

- الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: الدكتور محمد فتح الله بدران، ط١، مطبعة الأزهر.

- المنتخب من تفسير القرآن، محمد متولي الشعراوي، الجزء الأول، دار النصر، بيروت- لبنان.

- النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، أ. د. صلاح الدين محمد عبد التواب، دار الكتاب الحديث، ج١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- النكت والعيون، الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي) (ت:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي) (ت:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي) (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة.

- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، د. فتحي أحمد عــامر، نشر: منشأة المعارف- الإسكندرية.

- بلاغة القرآن في أدب الرافعي، د. فتحي عبد القادر فريد، دار الرسالة، مصر، د.ت.

- بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلاّم، دار المعارف- القاهرة، ط٤، د.ت.

- تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، د. عمر الملاّ حويش، مطبعة الأمة - العراق، ١٣٩٢هـ.

- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت:٨٦٤هـ)، وجلال الدين أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، دار الحديث- القاهرة، ط١.

- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، ط٢.

- تفسير النسفي (مدارك التتريل وحقائق التأويل)، للنسفي (أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي) (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- تيسير البيان عن إعجاز القرآن، للدكتور محمود أحمد الزين، ط١، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٠م.

- تيسير العزيز المنّان في بيان إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي، الهفوف، ١٤١٣هـ.

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الأستاذ أحمد الهاشمي، نشر: دار الفكر- بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.

- حوار مع (الرمّاني) في وجوه الإعجاز القرآني، د. عبد السلام حمدان اللوح، كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية، بغزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني: ٢٠٠٨م.

- خلق الإنسان بين الطب والإسلام، د. محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- دراسات في الإعجاز البياني، د. محمد بركات حمدي أبو علي - عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

- ديوان الأعشى (ميمون بن قيس)، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.

- رسالة التوحيد، محمد عبده، مكتبة الثقافة العربية، مصر، د.ت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي) (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي (أحمد بن محمد بن أحمد)، تحقيق: د. حسني عبد الجليل، ط. مصطفى الحلبي، وأخرى ط. مكتبة الآداب.

- شرح البيان على ديوان أبي الطيب المتنبي، العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين)، ط. دار الطباعة العامرة.

- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- صفوة التفاسير، للصابوني (محمد علي الصابوني)، دار الصابوني للطباعة والنشر- القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- صيغة افتعل في القرآن الكريم في المجالات الدلالية، د. زين الخويلي، دار المعارف، مصر، د.ت.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القرَّاء) (ت:٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

- فتوح الغيب، للطيبي، تحقيق: د. جميل الحسين المحمود، بيروت، سورتي الأنعام والأعراف- دكتوراه- مخطوط بكلية اللغة العربية، دار المعارف.

- في ظلال القرآن: دراسة وتقويم مدخل إلى ظلال القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط٢، دار عمار، الأردن- عمان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت:١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

- لسان العرب، لابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري ابن منظور الرويفعي الأفريقي) (ت:٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤٦٤هـ.

- مباحث في إعجاز القرآن، أ. د. مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق، ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، د.ت.

- مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب- دمشق، العدد السابع، السنة الثانية، نيسان/ أبريل ١٩٨٢م، فهرس العدد: إعجاز القرآن وترجمته، د. جعفر دك الباب، جامعة دمشق.

- مع القرآن في إعجازه اللغوي، لطائف وأسرار، رشاد سالم، دار المنار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- معاني القرآن، للفراء (أبو زكريا يحيي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء) (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة- مصر، ط١.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، منهجه ومترلته بين كتب الإعجاز (دراسة نقدية ومقارنة)، إعداد الطالب: محمد بن حسن بن عقيل موسى، بحث مقدم لنيل درجة (الدكتوراه) من قسم الكتاب والسنّة بجامعة أم القرى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الجزء الأول.

- معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م.

- معجزة القرآن: الكتاب الأول، محمد متولي الشعراوي، مكتبة دار التراث الإسلامي- القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

- مفاتيح الغيب: التفسير الكبير، للرازي (أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري) (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

- مقالات الإسلاميين، للإمام الأشعري، تحقيق: الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج١.

- مقدمة في الإعجاز القرآني، أ. د. نعمان شعبان علوان، أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني، كلية الآداب- قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول: ص٤١٩-٤٤٢، يناير ٢٠١٠م.

- مناهج في تحليل النظم القرآني، د. منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف، بالإسكندرية، مطبعة الأخوة.

- نظرات في الإعجاز القرآني والتحدي، عيسى بن ناصر الدريبي، مجلة جامعة الملك سعود، م٢٠، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- نفحات من علوم القرآن، ط١، دار السلام للنشر والتوزيع، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- نهاية الإيجاز، تحقيق: د. بكري الشيخ أمين، ط. دار العلم للملايين، بيروت.

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري، د. فهد الرومي، رئاسة البحوث العلمية، الرياض، ط١، ١٩٨٦م.

- أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريــف التــوراة، د. زاهيــة الدجاني، دار التقريب بين المذاهب، بيروت - لبنان، ط٣، ٢٠٠١.

- الأخبار عن الغيب، احمد نافع سليمان الورعي، جامعة أم القــرى، مكة المكرمة.

- إرشاد الفحول الى تحقيق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

- إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم، دار الأبحاث والدراسات القرآنية الشارقة، الإمارات العربية.

- أسئلة بيانية في القرآن الكريم، د. فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات العربية، الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م.

- الأسرة المباركة في القرآن الكريم، احمد محمود الحليبــسي، الناشــر: مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط١، ٢٠٠٩.

- الإسلام وعصر العلم، د. الغمراوي دار الثقافة المصرية د.ت.

- الإشارة الى الإيجاز الى بعض أنواع المجاز، العز بــن عبــد الــسلام (ت:٦٦٠هـ) دار الحديث القاهرة.

- إشراقات الرقم سبعة في القرآن الكريم، عبد الدائم كحيل، جائزة دبي الدولية، دبي، ط١، ٢٠٠٦.

- الإعجاز البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القــاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

- الإعجاز البلاغي في كتب الجاحظ، أ. د. عقيد خالد العزاوي، بحث في مجلة الخطيب، العدد ٣١ لسنة ٢٠٠٤ بغداد.

- الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عماد ساليش، دار المعارف للنشر، ط١، ٢٠٠٣.

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.

- الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة، د. علي القره داغي، الدار العربية للعلوم، ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة، ط١، ١٩٨٠.

- الإعجاز التشريعي في النظم الإسلامية وأثره في الدعوة الى الله تعالى، رياض السيد عاشور، جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٠.

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د. عبد الحميد أحمد هنداوي، دار الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٨.

- الإعجاز العددي، عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٩٨٧.

- الإعجاز العددي في القرآن بين الحقيقة والوهم، فاتح حسين محمود، دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٢.

- الإعجاز العلمي في السُنة النبوية، د. صالح بن احمد رضا، مطبعة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠١.

- الإعجاز العلمي في القرآن، د. السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

- الإعجاز الغيبي، د. عبد الدائم الكحيل. www.kaheel١٧.com.

- الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، د. راغب السرجاني، موقع
.RTTP: is lamstorey. com.

- إعجاز القرآن، التحدي العجز الإعجاز، د. حسين نصار، مكتبة مصر.

- إعجاز القرآن الغيبي صفات اليهود في القرآن الكريم، د. سمير تقي الدين، مطبعة المعارف، مصر، ٢٠٠٣.

- إعجاز القرآن حقيقة ودلالته، هيام محمد كاظم آل شبير الخاقاني، مكتبة الخاقاني، النجف، ط١، دون تاريخ.

- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٥.

- أمراء البيان، محمد كرد علي، دار الفكر، بيروت، د. ت، د. ط.

- أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، أ. د. عبد الحي الفرماوي دار القاهرة للنشر، مصر، د.ت.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ت.

- براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن من الشكوك عليه، بقلم: عز الدين كزبر، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، مصورة عن طبعة أبو الفضل إبراهيم، مصر، د.ت.

- بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، بهجت عبد الواحد الشيخلي، الناشر: مكتبة دنديس، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠١.

- بلاغة القرآن في أدب الرافعي، د. فتحي عبد القادر فريد، دار الرسالة، ط١، مصر.

- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٨م.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، دار إحياء التراث، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- البيان القرآني عند الشنقيطي، أ. د. عقيد خالد العزاوي، مطبعة دار العلماء، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.

- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٥٣.

- تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، دار البيان، بيروت، ط١، ١٩٨١.

- تأملات في وجوه الإعجاز، عمر شكر، المغرب العربي، موقع آيات معجزات.

- التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة، جامعة بغداد، ط١، ١٩٩٧.

- تفسير القرآن الكريم، الشيخ محمود شلتوت، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٤.

- جامع الكتب المصورة، الأبحاث والرسائل العلمية الاسطوانة السادسة والسبعون، أبحاث قرآنية.

- جوامع كلم القرآن وشواهد الإعجاز، د. عبد العزيـز بـن محمـد السحيباوي، شركة المساهم، جامعة الإمام محمد بـن سـعود الإسـلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز العلمي في الإسلام بين العلمية والغلو صالح بن عبد الله عبد المحسن، جامعة أم القرى، ٢٠١٤.
- الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف ﷺ، د. عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون والتراث، ط١، ١٩٩٧م.
- سيد قطب الشهيد الحي، د. صلاح الخالدي، دار عمـار، الأردن، ط٢، ١٩٩٠.
- الصحاح، للجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبـد الغفور، عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان الفارسـي (ت:٧٣٩هـ) تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري، الجامع الصحيح للبخاري، المـتن مـع حاشـية السندي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- صحيح مسلم، لأبي السين مسلم بن الحجاج النيـسابوري، تحقيـق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت.
- صفوة العرفان في تفسير القرآن أو المصحف المفسر، محمـد فريـد وجدي، ط١، ١٩٧٠.
- صيغة افتعل في القرآن الكريم في المجالات الدلالية، د. زين الخـولي، دار المعارف، ط١.

- ضوابط الإعجاز العددي في القرآن الكريم، محمد زكي خضر، مصر، د.ت.

- طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

- الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، مطبعة جامعة الموصل، بغداد، ١٩٨٩.

- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، د. احمد بدوي، مطبعة مصر، د.ت.

- عبد القاهر الجرجاني ونقده، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، د.ت.

- العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي مطبعة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٢.

- الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار، الأردن، ط٢، ٢٠٠٠.

- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، د.ت.

- فتوح الغيب، للطيبي، تحقيق د. جميل الحسين المحمود، مخطوطة محققة، كلية اللغة العربية، الأزهر.

- قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمذاني، د. عبد الكريم عثمان، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠.

- القاموس المحيط، احمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر العـــربي، لبنان، ١٣٨٩هـــ.

- قبسات علمية، د. دلاور محمد، دار الأنوار، بغداد، ٢٠٠٠.

- القرآن يتحدى، د. محمد عمارة، مكتبة الإمام البخاري للنشر، ط١، ٢٠٠٩.

- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، د.ت.

- المباحث الغيبية، د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. فـــؤاد ســـزكين، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٩١.

- مجلة العربي، العدد (٢٤٤) لسنة ١٩٧٩، مقال د. إبـــراهيم محمـــد الغشلان، عن الإعجاز العلمي في النباتات.

- مجلة لواء الإسلام (العدد ١٠) للسنة الثانية، مصر، ١٩٥٧.

- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق طه جابر العلواني، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـــ.

- مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، دار المدني، جـــدة، ط١، ٢٠٠٣.

- المدخل الوجيز الى دراسة الإعجاز في الكتاب العزيز، د. محمود أحمد غازي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

- مدخل الى ظلال القرآن، د. صلاح الخالدي، دار عمـــار، الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م.

- مراجعات في أصول الدين البلاغي، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٥.

- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شـــارف مـــزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

- مظاهر من الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جانـــب العبـــادات، د. محمود طه كمال الدين احمد أبو موسى، كلية أصول الـــدين، القـــاهرة، ط، ٢٠٠٥.

- معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، شيرين زهير أبو عبدو، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم التفسير.

- المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، د. سعد الدين السيد صالح، دار المعارف، مصر.

- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مكتبة المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٣ و ١٩٨٨.

- معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٣م.

- المعجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب د. إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د.ت.

- المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، دار إحياء التراث، د. ط، د.ت.

- المغني في أبواب التوحيد والعدل: ج١٦ (إعجاز القرآن) قدّم نـــصه على نسختين خطيتين (أمين الخولي) وزارة الثقافة والإرشاد، مصر، ١٩٦٠م.

- مفاهيم القرآن، المجلد الثالث، جعفر السبحاني مطبعة قم طهران، د.ت.

- المفردات، الراغب الأصفهاني دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠١.

- مقارنة الأديان، احمد محمد الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.

من الآيات العلمية، د. عبد الرزاق نوفل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.

- من خلق القرآن، د. محمد عبد الله دراز، إدارة الشؤون الدينية، قطر، ط١، ١٩٧٩م.

- المناسبة في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة في تفسير الرازي عبد الله بن مقبل القربي، إشراف د. عبد الحميد عمر الأمـــين، ١٤١٣هـــ، جامعة أم القرى.

- مناهج في تحليل النظم القرآني، د. منير سلطان، منـــشأة المعـــارف، الإسكندرية، د.ت.

- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث، د. عقيـــد خالد العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط١، ٢٠١٠.

- المنير في أحكام التجويد مجموعة من العلماء، منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم عمان، الأردن، ط٢٢، ٢٠١٣.

- الموافقات: أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت٧٩٠هـــــ) تقديم العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، الرياض.

- موسوعة المورد، منير البعليكي، دار صادر، بيروت.

- نظرات في القرآن، د. محمد الغزالي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٢.

- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الفرقان، عمان- الأردن، ط١، ١٩٨٣.

- النكت في إعجاز القرآن، أبـــو عيسى الرماني، دار الفكر العـــربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.



المحتويات

كلمة الناشر

تتشرف دار العصماء للطباعة والنشر أن تُقدِّم للقّراء الكرام كتاباً جديداً للأستاذ الدكتور عقيد خالد العزاوي بعنوان: البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن، وهو يتناول إعجاز القرآن الكريم الذي هو كلام الله المعجزُ للخلـــق في أسلوبه ونظمه وتناسبه وتناسقه، وفي علومه وحكمه وفي تأثيره وهدايتـــه، وفي كشفهِ الحُجبِ عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وفي كل باب من هـــذه الأبواب للإعجاز فصول وفي كل فصلٍ منها فروع ترجع إلى أصول، لقـــد حار العلماء في كشف حُجُب البيان عن وجوه إعجاز القرآن، وبعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، حتى قال بعضهم إنَّ الله تعالى قد صرف عنه قدر القادرين على المعارضة بخلق العجز في أنفسهم وألسنتهم... وهذا ما قاله أهل الصِرفة من المعتزلة وقسم جعل الإعجاز في التشريع وآخر في الدعوة والبيان والعدد واللغة والصرف والتناسب وكل ذلك سيجدهُ القارئ مذكورا في هذا الكتاب، هذه العنوانات وغيرها من التفاصيل والدراسة التحليلية للكثير مـــن وجوه إعجاز القرآن الكريم سيجدها القارئ في هذا الكتاب ؛ لأنَّه المعجـــزة البيانية التي تخاطب بها القلوب والعقول معاً مع توثيق لأقوال العلمـــاء مـــن القدماء والمحدثين غايتنا في الدفاع عن كتاب الله وإظهار مكامن الإعجاز فيه، وهذا هو موضوع الكتاب.